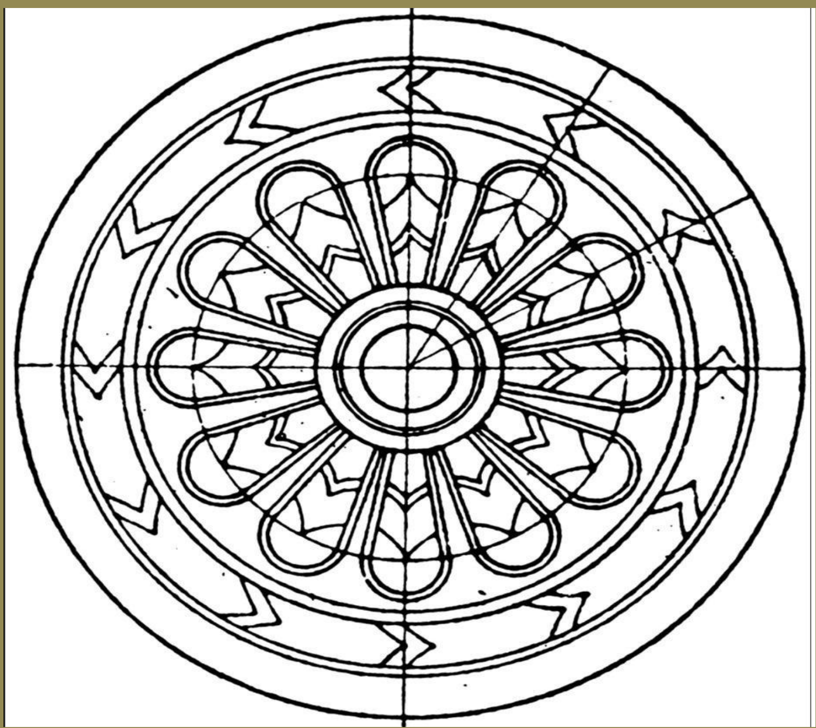
فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الرابع



فواز فرحان

التعاليم السومرية

الجزء الرابع

الطبعة الألمانية

2026

1Buche GmbH ... Oststrasse 72 ... 33332 Gütersloh
Email : info@1Buch.de Tel : 052419615700

دار الكتاب الأول للطباعة والنشر .. مدينة كوترسلوه ـ المانيا الاتحادية

فواز فرحان

التعاليم السومرية ــ الجزء الرابع

الاهداء

الى الأجيال التي تبحث عن الحقائق

في جوهر الأشياء

المقدمة

إن المجموعة الشهيرة من القوانين البابلية التي وضعها حمورابي تستند إلى مجموعات سابقة من القوانين السومرية والواقع أن كل جانب تقريباً من جوانب الثقافة البابلية والآشورية قد تشكل وتأثر بالثقافة السومرية إلى الحد الذي يجعل من السهل تحديد العناصر الموجودة في ديانة البابليين والتي هي من أصل شمساني بحت تثبته تلك التعاليم لمن يفهم طبيعة الدين الايزيدي ..

وهناك جانب آخر من خلفية الدين البابلي الذي يستدعي التعليق ، وهو تأثير البيئة الطبيعية والظروف على الدين الايزيدي نفسه . ففي كل من مصر وبلاد ما بين النهرين كان نمط الحضارة يتحدد بشكل أساسي بحقيقة مفادها أن الأنهار ، النيل بالنسبة لمصر ، ودجلة والفرات بالنسبة لبلاد ما بين النهرين ، كانت مصدر حياة هذه البلدان . وفي مصر لم يكن النيل الذي كان يُعبد كإله للفرح والسرور ، يُنظر إليه قط باعتباره قوة معادية ومدمرة . ولقد كان الفيضان الهادئ المنتظم ، الذي كانت تسيطر عليه وتوزعه سلطة مركزية ، كان السبب وراء توحيد مصر في وقت مبكر تحت ملكية سياسية واحدة شمسانية الطابع سبباً في إعطاء عنصر من الاستقرار للنمط الديني في مصر ، وهو العنصر الذي يفتقر إليه بلاد ما بين النهرين . ففي بلاد ما بين النهرين ، كان إنشاء حضارة منظمة نتيجة لصراع شاق ضد الفيضانات المدمرة وغير القابلة للقياس التي تعرض لها وادي النهر . ومن ثم فقد صيغت أساطير أصل بابل في إطار صراع مع قوى معادية تجسدت في تنين تيامات أو وحش لابو والحقيقة أن الموضوع بأسره كان رمزياً يشير الى من يعبر أبواب المعرفة الايزيدية المقدّسة في سومر أو بابل أو آشور فالعابر لأبواب المعرفة تفرض عليه تحديات في عالم المادة عليه تجاوزها قبل العبور الى النور وتحظيم حاجز السجن الزمني الذي وضعنا فيه ومن ناحية أخرى ، لم تكن مصر لديها أسطورة عن الفيضان . ولنفس السبب لم يكن هناك توحيد مبكر ومستقر للبلاد تحت سلطة واحدة ، كما كانت الحال في مصر. ويبرز اقتباس من المساهمة المثيرة للاهتمام التي قدمها البروفيسور جاكوبسن في كتاب حديث بعنوان (المغامرة الفكرية للإنسان القديم) ، هذا الجانب من الخلفية الثقافية للدين البابلي بشكل رائع ..

إن نفس النهج يكمن وراء دراما المعركة. ففي كل عام جديد عندما تهدد الفيضانات بإعادة الفوضى المائية البدائية ، كان من الضروري أن يخوض الآلهة مرة أخرى تلك المعركة البدائية التي فاز فيها العالم لأول مرة وهكذا اتخذ الإنسان هوية إله ففي طقوس العبادة ، أصبح الملك إنليل ، أو مردوخ ، أو آشور ، وباعتبارهم إلهة ، حارب قوى الفوضى . وحتى نهاية الحضارة الرافدينية ، قبل بضعة قرون من عصرنا ، كان الملك في كل عام جديد في بابل ، يتخذ هوية مردوخ ، ويهزم كينجو ، زعيم جيش تيامات ، بحرق حمل يتجسد فيه ذلك الإله ..

إن أحد أبرز السمات التي تميز الديانة في بلاد ما بين النهرين هو العدد الهائل من الآلهة الذين تم حفظ أسمائهم في النصوص الدينية المختلفة التي وصلت إلينا. ففي كتاب تالفيست القياسي (القاموس الآكادي للآلهة) ، تحتل القائمة الوصفية للآلهة الأكادية أكثر من 240 صفحة ، والعديد من الأسماء ، كما قال ذلك الباحث ، تتحدى

كل محاولات استعادة معانيها . ومن ثم فليس من الممكن هنا أن نفعل أكثر من إعطاء الأسماء ووصف وظائف أهم آلهة البانتيون البابلي والآشوري ..

وبقدر ما نستطيع أن نستدل من الأدلة الأثرية ، فإن ديانة سكان بلاد ما بين النهرين تبدو في مرحلة متقدمة من التطور شمسانية الطابع على الأقل من خلال مقارنة نصوصها مع نصوص الديانة الايزيدية ، يوجد على سبيل المثال في بلاد ما بين النهرين ما يتوافق مع ما يبدو أنه المرحلة الطوطمية للدين في مصر القديمة . إن بعض الأساطير البابلية تظهر آثار صراع بين الآلهة الأقدمين وأولئك الذين بلغوا السيادة في البانتيون في مرحلة لاحقة ،كما لدينا في اليونان أسطورة الإطاحة بكرونوس على يد زيوس . وقد تمثل مثل هذه النصوص العملية التي تم بها تقليص آلهة شعب غازٍ إلى وضع أدنى من آلهة السكان الأوائل للبلاد . وغالباً ما يبدو أيضاً أنه في سياق مثل هذه التغييرات ، أصبح الآلهة المخلوعة والمحرومون من عروشهم أشراراً وأرواحاً شريرة ومن المحتمل أن يكون هذا قد حدث في بلاد ما بين النهرين حيث كما سنرى لاحقاً ، لعبت الأرواح الشريرة دوراً مهماً في ديانة بابل وآشور . وعلاوة على ذلك فإن انشغال البابليين بأرواح الموتى وقدرتهم على إيذاء الأحياء قد يشير إلى مرحلة روحانية من التطور الديني والتي يمكن رؤية آثار أخرى لها في استخدام التمائم أو التماثيل الطينية لحماية المنازل أو الأفراد ..

إن السبب الرئيسي الذي وقف خلف فشل أغلب الترجمات المتعلقة بالألواح الدينية في سومر وبابل وآشور هو أن من كان يتصدى لهذه الترجمات كان يجهل تمام الجهل الإصول الحقيقية الشمسانية والنصوص التابعة لها سواء آكانت إيزيدية أو مندائية لهذا تم إستبعاد أن تكون بابل أو سومر أو آشور شمسانية في ديانتها وتم بالفعل تشويه وتحقير الآراء حولها الى أن وصل الأمر في تصويرها على أنها كانت تتبنى ديانة وثنية أو عبادة ظواهر الطبيعة !!

فتعريف الوثنية بالنسبة لمن ترجموا الألواح السومرية هو كثرة المعابد الشمسانية التي تمجد إلهي القمر والشمس (شيسن وشيشمس) في سومر وبابل وآشور ، ولو أخذنا هذا القياس الضيق كما أعتبره وقمنا بتطبيقه على الأديان في العصر الحديث سنجد أن الملايين يطوفون حول الكعبة وهو أيضاً طقس وثني من وجهة نظر هؤلاء ، وكذلك هناك الآلاف من الكنائس في العالم يتجه اليها المسيحيون في أعيادهم وهي أيضاً طقوس وثنية من وجهة نظر هؤلاء وكذلك ينطح اليهود رؤوسهم أمام حائط المبكى آلاف المرات في السنة وهو أيضاً وفق المقياس ذاته طقس وثني بحث لا علاقة لهُ بالإله الأوحد خالق الوجود وخالق الجميع ..

لقد تعرضت ديانة وادي الرافدين الحقيقية الى تشويه وتحقير متعمديّن من قبل مترجمي الألواح ومن قِبل الكتاب العرب الذين إستندوا الى هذا التشويه والتحقير كمصدر لنشر هذا النوع من الأكاذيب عن الحضارة الشمسانية في سومر وبابل وآشور ، ومثلما نسمي الديانات اليوم تسمية تختلف عن أنبياءها سمى السومريون ديانتهم بالشمسانية وكان لها عقيدة وقوانين وشرائع تستمد عظمتها وقوتها من نصوص للملكين شيسن وشيشمس لأنهما أصحاب اللوح والقلم وهذا ما لم يفهمه علماء الآثار ومترجموا الألواح ، فيسوع بن يوسف أسست بإسمه ديانة إسمها المسيحية وليس اليسوعيون ، وكذلك الرسول محمد أسست ديانة باسم الإسلام ولم يطلق أحد عليها تسمية المحمديون ، وكذلك اليهودية لم يطلق أحد على المنتمين لها إسم الموسويون !! وهذا الأمر ينطبق على الشمسانية في سومر

وبابل وآشور والتي كان إلهتها آدي وإيزيد وطاوسملك والحرم المقدّس الأعلى لها في لالش تذهب الناس اليها في عموم الكومنويلث السومري مشياً على الأقدام وبطقوس تبدأ من أحد جسور نينوى القديمة الذي كان يمثل أولى بوابات لالش الستة ولم يطلق أحد عليها اسم الايزيدية لأنه كان إسم إله من آلهة الايزيدية في الثالوث المقدس الايزيدي الذي كان يجمع (آدي وطاوسملك وايزيد) وكان السومريون يطلقون عليه تسمية أور آدي (بيت آديا) ..

إن إحدى السمات المميزة للدين الرافديني والتي نجدها أيضاً في الديانات القديمة الأخرى ، جديرة بالملاحظة وهي تحفظها الشديد . على سبيل المثال ، نجد أن الأشكال الليتورجية والصلوات التي كانت مستخدمة في أور وإيسن حوالي عام 2300 قبل الميلاد استمرت في الاستخدام حتى أواخر العصر السلوقي حيث كانت طقوس شمسانية بحتة ، على الرغم من أن التغييرات السياسية في تلك الفترة حلت محل آلهة أخرى ، أولئك الذين كانت الصلوات موجهة إليهم في الأصل . كان لآدي معابد في بابل وبورسيبا ، وفي آشور كان لهُ زقورة مخصصة له وحده في الأصل . كان يمتلك معبداً مشهوراً في حلب كان يسمى (آدي ليبو . آلي ليبو) ، حيث كانت تُقدم فيه القرابين من قِبل ملوك آشوريين مختلفين خلال حملاتهم في سوريا . سجل شلمنصر الثالث ، في نقش الثور ، مثل هذه القرابين المقدمة لآدي في حلب خلال حملة في عامه السادس . الإلهة الأنثوية المرتبطة بالثالوث الثاني هي الإلهة الأكثر شهرة والأكثر عبادة في جميع الآلهة البابلية والآشورية ، وهي الإلهة عشتار . الشكل المعتاد لاسمها في السومرية هو إنانا . على الرغم من أنها ، كما ذكرنا سابقاً مرتبطة بالثالوث الثاني من الآلهة ، إلا أنها في وقت مبكر ، أطاحت بزوجة آنو الشرعية ، الشخصية عديمة اللون أنتو من مكانها وأصبحت هي نفسها زوجة الإله العظيم آنو بشكل رمزي (أخذت مكانها في الأخوية البابلية) . واستوعبت تدريجياً صفات معظم الآلهة الأنثوية الأخرى وأصبحت تُعرف باسم الإلهة بامتياز . وتبرز في الأساطير البابلية ، وخاصةً في قصص الطوفان وملحمة جلجامش التي سنتناولها بمزيد من التفصيل لاحقاً . أما عشتار ، فلها جانبان متمايزان . فمن جهة ، هي إلهة الحب والإنجاب وكانت الشخصيات المقدسة المعروفة باسم هيرودول ، أو مرنمات المعابد ، مرتبطة بمعابدها . ومن جهة أخرى كانت أيضاً إلهة الحرب ، وخاصةً في آشور ، وتُصوَّر على الأختام وهي مسلحة بالقوس والجعبة بل إنها تُصوَّر ملتحيةً مثل الإله آشور . وفي علم التنجيم البابلي ، كان جسمها السماوي هو كوكب دلبات ، أو الزهرة ، كما نُسب إليها نجم القوس ، أو الشعرى اليمانية . كان رقمها المقدس 15 ، أي نصف رقم أبيها المقدس . وكان رمزها نجمة ثمانية أو ستة عشر رأساً . تُصوَّر عادةً وهي تركب على وحشها المقدس ، الأسد ، أو برفقته مع أنها كما هو الحال في بوابة عشتار في بابل ، تُربط أيضًا بشكل التنين، الموشروسو .

كما هو متوقع ، كانت هناك مدن عديدة تُعبد فيها عشتار ، وكانت فيها معابدها إلا أن مركزها الرئيسي كان مدينة إوروك ، حيث ضمت عصي معبدها تماثيل ذكورية وأنثوية . وهناك ، عُبدت كإلهة الأم ، وإلهة الحب والإنجاب . ومن مراكز عبادتها الأخرى آشور ، وبابل ، وكالح ، وأور ، ونينوى ، وأربائيلو وفي المدينة المذكورة ، كانت تُعتبر إلهة الحرب ، هناك شخصية وثيقة الصلة بعشتار وهي الإله السومري القديم تموز . اسمه السومري ،

دوموزي ، يعني الابن الحقيقي في قوائم الملوك البابليين ، نجد اسم دوموزي الراعي ، بين الملوك الذين حكموا قبل الطوفان بينما بعد الطوفان ، من بين ملوك سلالة إوروك الأولى (التي سبقت جلجامش مباشرة) ، دوموزي ، الصياد من الصعب الجزم ما إذا كان هذان الشخصان في الأصل واحداً (ديموزي هو ملك في السلالات السومرية وتموز هو أحد الآلهة الإثنا عشر في البانتيون السومري) . في طقوس تموز العديدة ، نجد أسطورة نزول تموز إلى العالم السفلي ، وحداد عشتار عليه ، ونزول عشتار إلى العالم السفلي بحثاً عن تموز ، والعودة المنتصرة للإلهين إلى الأرض جالبين الفرح والخصوبة مع الربيع . من الواضح أن تموز يلعب دور إله النبات ، يموت مع السنة المحتضرة ويولد من جديد مع أزهار الربيع والذرة الصغيرة . في التطور اللاحق للعبادة في بابل ، أصبحت أسطورة وطقوس الإله المحتضر والقائم نمطية كمهرجان رأس السنة البابلية العظيم ، والذي سنتحدث عنه أكثر لاحقاً . ولكن بينما لم تعد عبادة تموز عبادة رسمية في بابل وآشور ، فقد حُفظت بين عامة الناس ، وانتقلت إلى سوريا وكنعان .

الفصل الأول

جوهر الدين في سومر

في العصور السومرية المبكرة ، قبل فترة طويلة من ظهور السلالة البابلية الأولى ، كانت هناك قوائم مختلفة للآلهة وفي منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد تقريباً ، ربما في اوروك ، تم وضع قائمة موحدة وعلى الرغم من حدوث تغييرات في الأهمية النسبية للآلهة المختلفة مع مرور الوقت ، إلا أن الترتيب العام للآلهة البابلية والآشورية ظل قائماً ..

أولاً، في هذا الترتيب القائم ، يظهر الإله الأعظم آدي ، الذي يعني اسمه في السومرية (الرب) ، والذي يمكن القول إنه يتوافق مع إله السماء اليوناني ، زيوس ، في الفترة السومرية المبكرة ، كان إسم آدي غامضاً نسبياً ولم يرد اسمه في أي من القوائم الثماني عشرة التي تنتمي إلى هذه الفترة بسبب خوف السومريون من ذكر إسمه وكانوا يستبدلونه بـ (هو الأعظم) . ولكن منذ زمن جوديا الكاهن الايزيدي أو الملك الكاهن الشهير لاجاش (حوالي 2060-42 قبل الميلاد وفقاً للتسلسل الزمني الحديث لفورير) ، بدأ آدي في تولي السيادة التي احتفظ بها خلال التاريخ اللاحق للدين البابلي . وفقاً لملحمة الخلق البابلية ، في الشكل الذي وصلت إلينا به ، فإن سلسلة نسب كل الآلهة السومرية تعود إلى آدي وبيته أو الجنة السومرية ، أما محيط العالم السفلي ، وتيامات ، الفوضى البدائية فقد إكتشفه السومريون من تحليل القوى الطاقية لكوكب الأرض وإكتشفوا أن هذا الكوكب محكوم بقانون الخير والشر الكونيين . لذلك كان السومريون يُعرّفون آدي على أنه كان مسكنه في السماء الثالثة ، وكان يُلقَّب بـ(الأب) و(ملك الآلهة) ولكن رمزه كان حسب الألواح المترجمة في الضريح المقدس الذي يعلوه القباب المخروطية الثلاث في الحرم الايزيدي في الشمال السومري (لالش) ، غالباً ما نجده على أحجار الحدود البابلية . وكان رقمه المقدس 60 ، وكان خط الاستواء السماوي هو الجزء الخاص من السماوات المخصص له . وفي الفترة المبكرة ، ولكن في الفترة التاريخية ، حلت إنانا أو عشتار، الإلهة العظيمة كقوة إنثوية من قوة آديا في العصر السومري ، والتي كانت تحت أسماء مختلفة وأشكال متنوعة ، أهم موضوع للعبادة في الشرق الأدنى القديم والذي لم يفهمه الكثير من علماء الآثار والمستشرقين بسبب جهلهم بإصول الديانة الشمسانية ورموزها وأبواب معرفتها المقدّسة . وكان يُعتقد أنه من اتحاد آدي وإيزيد ، الذي يعني اسمه السومري (الأرض) ، لهذا بنى السومريون أول معبد على كوكب الأرض لايزيد لأنه يمثل عالم المادة الموضوعي الذي يختلف عن العوالم الثلاث العليا ..

كانت أهم مراكز عبادة آدي هي أور التي تم تحديدها خصيصاً كمدينة لآدي ، وإوروك ، ونيبور ، ولجش حيث بنى جوديا معبداً إيزيدياً لآدي ، وسيبار ، وفي بابل شارك معبداً مع نين آب (ناسردين) ونين آي (سجادين) وهي الآلهة التي كانت مسؤولة عن الحرب وأخذ الأرواح في البانتيون السومري ، بينما كان في آشور زقورة مزدوجة كبيرة لآدي في تل بلا وفي أربيل مدينة الآلهة الأربعة للهواء والماء والنار والتراب . في طقوس ثوريو دانجين ، لدينا قائمة بالقرابين اليومية لمعبد آدي في إوروك ، وطقوس مهرجان رأس السنة الجديدة الشرقية في الربيع ، وطقوس

صنع طبلة ليليسو المقدسة لآدي (الدف والشبّاب) . كان الحيوان المقدس لأدي هو الثور السماوي . وعلى الرغم من تفوقه ، كان يُنظر إليه على أنه إله الملوك والأمراء الذين اعتادوا على وصف أنفسهم في النقوش بأنهم (محبوبون لأنو) ..

كان العضو الثاني في الثالوث البابلي العظيم هو طاوسملك الذي يعني اسمه في السومرية (إله الرياح أو العواصف) وكان مرتبطاً بشكل خاص بمدينة نيبور ، وكان ، مثل آدي ، إلهاً سومرياً تبناه الجميع . في الفترة السابقة لحمورابي ، يبدو أن طاوسملك كان له الأسبقية على الإلهين الآخرين في الثالوث عند البعض ولكن من خلال إطلاعنا على الطرق الشمسانية فهو يمثل إله القاتانيون في البانتيون السومري ، ولكن من بداية الألفية الثانية فصاعداً كان مكانه دائماً هو الثاني . في شظايا الأساطير القديمة التي تكمن وراء ملحمة الخلق في شكلها الحالي فهو الذي كان له الدور الرئيسي في إحداث الطوفان ، وهو الذي يُصوَّر على أنه غاضب من نجاة أحد أفراد الجنس البشري من الدمار

من ناحية أخرى ، فهو خالق البشرية في العديد من الأشكال السابقة لأسطورة الخلق السومرية وعدد من الأسماء الشخصية المركبة مع اسم طاوسملك على سبيل المثال هو المساعد وتُظهر أن إنليل كان يُنظر إليه على أنه مصدر للفضل والمساعدة ، أي أن أنليل إستعان بقوة طاوسملك لتحقيق الطوفان كما ورد في ملحمة الخلق السومرية وتزودنا الألواح المترجمة بنص يقول أن أحد أهم وظائف أنليل كانت الوصاية على ألواح القدر ومنحهُ طاوسملك حمايتها وتمنحه في نفس الوقت السلطة والسيطرة على مصير كل الأشياء ..

في الفكر البابلي المبكر، كان تحديد مصير أي شيء ، حياً كان أم غير حي ، يعني تحديد مكانه في النظام الخلقي وفي الشكل السومري المبكر لقصة الخلق ، من خلال إعطاء أسماء للحيوانات ، حدد آدي مصيرهم ، أي أنه عيَّن لهم مكانهم في نظام الخلق من خلال آلية الدفق والإنحسار . كانت إحدى النصوص الملونة المبكرة في العصر السومري هي قصة كيف سرق طائر العاصفة أنزو ألواح القدر من إنليل ، وكيف استعادها إنليل . ومن بين المشاهد التي تُصوَّر كثيراً على الأختام الأسطوانية المبكرة مشهد إحضار طائر أنزو الأسير ، الذي يُمثَّل بنصف رجل ونصف طائر أمام إنليل للحكم عليه . ومثله كمثل أنو ، يُمثَّل إنليل على أنه صاحب سلسلة نسب آدانية طويلة وكان رئيس وزرائه نوسكو ، إله النار ، وبالإضافة إلى ذلك ، كان يمتلك الحاشية المعتادة من الآلهة الأصغر الذين خدموا كحراس وطهاة ، ورعاة ، ورسل . وكان المركز الرئيسي لعبادة إنليل هو المعبد الشهير في نيبور ، المسمى إيكور ، (بيت الجبل) وهو الاسم الذي انتقل إلى الاستخدام العام كتعيين للمعبد الشمساني . ولكن إنليل كان يُعبد في العديد من المدن الأخرى أيضاً كشخصية شمسانية معصومة من الأخطاء ، كان له حقوق ضيف في معبد آدي التابع لجوديا في لجش ومن المحتمل أن يكون معبد مبكر في آشور ، يُدعى إيمكوركورا ، (بيت الثور البري في الأراضي) ، معبداً لإنليل وهناك أدلة على عبادته في بورسيبا . كان رقمه المقدس هو 50 وكان طريق إنليل أي الجزء من السماوات المرصعة بالنجوم المخصص له ، يقع إلى الشمال من (طريق آدي) الذي يغطي خط الاستواء السماوي ومن الناحية النظرية ، كانت جميع النجوم الواقعة على بعد أكثر من 12 درجة شمال خط الاستواء تابعة له ، ويشار

إليها باسم (نجوم إنليل) في نص من نصوص بوغازكوي وكان رمزه الفلكي الخاص هو كوكبة الثريا ، والتي غالباً ما يتم تمثيلها على أحجار الحدود على شكل سبع دوائر صغيرة ..

كان إنكي ، أو إيا ، كما عُرف في النصوص اللاحقة ثالث الآلهة العظيمة وأكثرها إثارة للاهتمام ، فكما كان آنو إله السماء ، وإنليل إله الأراضي ، أصبح إنكي يُعتبر إله المياه تحديداً ، وكان يُعتقد أن مسكنه يقع في أبسو ، أو هاوية المياه ، وهو محيط العالم السفلي الذي يستقر عليه العالم ، وفقاً لعلم الكونيات البابلي . وكان لقب إنكي ، أو إيا ، بيل نيميكي ، أو (سيد الحكمة) ، من الألقاب المفضلة ، إذ كان يُعتبر مصدر كل المعارف السحرية السرية ، ومعلم البشرية في جميع الفنون والحرف اللازمة لرفاهية الإنسان .كان هو من كشف للبشر أسرار الكتابة والبناء والزراعة . والماء، الذي يُشار إليه غالباً باسم (ماء الحياة) ، عنصراً أساسياً في التعاويذ ، إذ يُنقذ البشر من الأمراض وهجمات الجن . ولذلك ، كان يُستدعى إيا ، بصفته إله المياه ، في التعاويذ ، وكان يُعرف باسم بيل شيبتي ، أي (سيد التعاويذ) وعلى عكس آنو وإنليل ، اللذين اعتُبر كلاهما ، كما رأينا ، في مرتبة أعلى ، كان إيا يُعتبر مُحباً للبشر بشكل خاص . في العديد من الأشكال المبكرة لأسطورة الخلق ، لعب دوراً في خلق الإنسان وفي أسطورة الطوفان ، من خلال تدخل إيا ، انكشفت خطة إنليل لتدمير البشرية لأوت نبشتيم ، الذي بنى سفينة عظيمة ونجا من الطوفان .

كان المركز الرئيسي لعبادة إيا في أريدو ، على رأس الخليج العربي ، أقدم المدن السومرية ، حيث سكن معبده ، إنغورا ، وحيث كانت شجرة الكيشكانو المقدسة ، التي كانت بحد ذاتها موضع تبجيل خاص . كان مرافق إيا هو مومو ، إله الحرف ، تجسيداً للمهارة التقنية ، وكانت زوجته الإلهة دامكينا ، وابنه مردوخ ، واسمه سامي ، على عكس معظم الآلهة الأقدم في البانثيون ، التي تحمل أسماؤها السومرية .

مع صعود بابل إلى السيادة في بلاد ما بين النهرين ، وربما كنتيجة لذلك ، حل مردوخ محل بعض الآلهة الأقدم في الطقوس العظيمة ، وأصبح الشخصية المركزية في العبادة البابلية . أما في آشور ، فقد حل آشور ، كبير آلهة آشور محله . في النصوص السحرية ، عادةً ما يُصوَّر إيا ومردوخ على أنهما يتعاونان في فعالية التعويذة أو التعويذة لدرجة أننا نجد في العديد من التعاويذ أسطورة استشارة مردوخ لأبيه تُستخدم كصيغة منتظمة . يُجيب إيا مردوخ بالكلمات (يا بني ، ما الذي لا تعرفه ، فماذا يُمكنني أن أُعطيك أكثر من ذلك ؟ يا مردوخ ، ما الذي لا تعرفه ، فماذا يُمكنني أن أُضيف إلى معرفتك ؟ ما أعرفه، تعرفه أنت أيضاً) ..

كان الرقم المقدس لإيا هو 40، وكان طريق إيا هو ذلك الجزء من السماء الواقع على بُعد 12 درجة جنوب خط الاستواء السماوي . وتُنسب إلى إيا في النصوص الفلكية العديد من النجوم والأبراج ، ومن بينها ، البرجان الأكثر ذكراً هما الحوت والدلو . كان رمز إيا ، كما هو مُمثل على أحجار الحدود ، إما رأس كبش ، أو سمكة الماعز ، وهي مخلوق أسطوري بجسم سمكة ورأس ماعز في القوائم الأولى ، ارتبطت شخصية الإلهة الأم ، المعروفة بأسماء مختلفة مثل نينماه ، ونينهورساج ، وأرورو، بالثالوث العظيم الأول للآلهة . كانت وظيفتها الخاصة تتعلق بالولادة وبصفتها أرورو ارتبطت بإينليل أو إيا في خلق البشرية . يأتي بعد ذلك في قوائم الآلهة المبكرة ثالوث

ثانٍ من الآلهة يرتبط به إله أنثى يتألف هذا الثالوث من سين ، إله القمر ، وشمش ، إله الشمس ، وآداي ، إله العاصفة ، بينما كانت الشخصية الأنثوية المرتبطة به هي الإلهة عشتار . يُعتقد أن سين من أصل سماوي وفي العبادة السومرية المبكرة ، القمر مذكر والشمس مؤنثة ومع أن اسم سين يرمز لمعرفة خفية وربما جلب العلوم من ابعاد أخرى خاصة بإله القمر ، إلا أنه وُجد في القوائم السومرية المبكرة باسم نانار ومع أنه يُدعى ابن إنليل في القوائم السومرية إلا أن نسبه لم يُنقل إلى ما هو أبعد من ذلك .

ويبدو أنه احتل مكانة مستقلة بين آلهة بلاد ما بين النهرين المبكرة . كانت لأطوار القمر أهمية خاصة في العبادة ، وكانت فترة الظلام تُسمى بوبولو ، وكان يُعتقد أنها فترة تكون فيها الأرواح الشريرة خطيرة بشكل خاص كان يُنظر إلى سين على أنه سيد التقويم ، الذي تُحدد به الأيام والشهور والسنين ولكنه كان أيضاً إلهاً للنبات ونُسبت إليه خصوبة الماشية . كان رقمه المقدس 30 وشعاره الهلال . وعلى نقش مالطا يُصوَّر راكباً على وحشه المقدس ، الثور المجنح . كانت أور وحران المركزين الرئيسيين لعبادته في بلاد ما بين النهرين . وبما أن النهار كان يُعتقد أنه يخلف الليل في علاقتهما على الطريقة الشرقية فقد اعتُبر الإله التالي في الثالوث ، شيشمس ، إله الشمس ، وشيسن وهو رمز سين . وهنا أيضاً ، وبينما أدخلوا عبادة إله الشمس إلى بلاد ما بين النهرين ، فإن شيشمس اسم شمساني آكادي ، وقد وُجد أيضًا في القوائم السومرية المبكرة تحت اسم بابار ، أو أوتو (لكل مرحلة زمنية تسمياتها وفقاً للخارطة الفلكية البابلية السرّية) .

كثيراً ما يُصوَّر شيشمس على الأختام البابلية صاعداً من الجبال ، وأشعة تنبثق من كتفيه وفي الليل ، كان يُعتقد أنه ينزل مجدداً عبر بوابات الجبال ، ويجتاز العالم السفلي إما سيراً على الأقدام أو في عربة تجرها بغال نارية كان يُعبد من قِبل جميع طبقات الشعب وكانت وظيفته الخاصة هي الدفاع عن الحق والعدل في حياة المجتمع . على المسلة التي تحتوي على قانون حمورابي الشهير ، يُصوَّر شيشمس وهو يُسلِّم القوانين للملك . إلى جانب آدي ، كان يُنظر إليه على أنه معنيٌّ بشكل خاص بإعطاء وتفسير النبوءات. كان رقمه المقدس هو 20، والرمز المعتاد الذي يُصوَّر به على الأختام والنصب التذكارية هو قرص الشمس ، بداخله نجمة رباعية الرؤوس ، وأشعة تنبثق من بين رؤوس النجمة. في آشور ، كان رمزه ، الذي يبدو أنه كان أيضاً رمزاً للملكية ، قرصاً مجنحاً ، يشبه إلى حد كبير قرص الشمس المجنح المصري . كان المقر الرئيسي لعبادة شمش في شمال بابل هو سيبار ، وفي جنوب بابل لارسا في آشور ، شارك معبداً مع شيسن . أما الشخصية الثالثة في الثالوث ، آدي ، إله العواصف ، فهو إله انتشرت عبادته على نطاق واسع في جميع أنحاء آسيا الصغرى وبلاد ما بين النهرين وسوريا وفلسطين . حمل بين الحثيين اسم تيشوب وفي سوريا ، عُرف بأسماء مختلفة مثل آدونيس ، وآدوناي في العهد القديم . في المراحل المبكرة من الديانة العبرية ، كان آدي إلهاً للعواصف بصفات تشبه صفات آدوناي . وليس من المستغرب أنه في شمال إسرائيل ، في عهد سلالة عُمري ، كان من السهل على عامة الناس الخلط بين صفات آدي وآدوناي ..

يذكر جوديا آدي باسم الرعد ، ولكن يبدو أن الانتشار العام لعبادته في بابل كان نتيجةً لعلاقات أوثق بين بابل والغرب . وبصفته إله العاصفة ، يُصوَّر آدي على أنه لعب دوراً بارزاً في العاصفة التي تسببت في الطوفان.

وكان رقمه المقدس هو 9 والرمز الأكثر تميزاً لأنشطته هو البرق الذي يُصوَّر عادةً وهو يمسكه بيده اليمنى بينما يحمل بيده اليسرى فأساً . وكان حيوانه المقدس هو الثور ، وهو رمز انتشر على نطاق واسع في جميع أنحاء الشرق الأدنى القديم .

بينما كانت حاكمة العالم السفلي والتي تُسمى عادةً أرض اللاعودة في النصوص الدينية البابلية ، هي الإلهة العظيمة إريشكيجال ، واسمها السامي ألاتو . ووفقاً للأساطير البابلية ، فقد حدث أن استدعت إريشكيجال نرجال للرد عليها لعدم وقوفه في مجلس الآلهة أمام رسولها نامتار . وعندما مثل نرجال أمامها ، أمسكها من شعرها وسحبها من عرشها ، عازماً على قطع رأسها . عندها رضخت الإلهة واقترحت أن يصبح نرجال قرينها . فقبل العرض ، ومن ثم تقاسم سلطة العالم السفلي مع إريشكيجال . في هيئته كإله للعالم العلوي ، يبدو أن نيرجال كان أحد جوانب شمش ومن أتباعه ، ممثلاً الجانب الشرير من أنشطة إله الشمس (كرمزية) إرسال الطاعون والحرب والدمار والفيضانات لتحقيق التوازن . كان يُعتقد أنه يقضي نصف العام في العالم السفلي والنصف الآخر في العالم العلوي كانت كوثا المركز الرئيسي للعبادة لكل من إريشكيجال ونيرجال لكن الأخير كان يُعبد على نطاق واسع في جميع أنحاء بلاد ما بين النهرين ، وكان له معابد في لارسا وإيسين وآشور ..

يظهر رسول إريشكيجال ، الإله نامتار بشكل متكرر في النصوص السحرية . كان نذير الموت وفي حاشيته ستون مرضاً كان لديه القدرة على إطلاقها على البشرية . كان من بين الآلهة التي ارتبطت بنرجال إله الطاعون إيرا العدو اللدود للبشرية . وكحماية من أنشطته ، غالباً ما كانت تُدفن لوحة تعويذة تحت المنازل . هذه من بين أهم الآلهة المذكورة في القوائم البابلية المبكرة . ولكن هناك آلهة أخرى لا تنتمي إلى هذه القوائم ، ويجب ذكرها . أولاً ، هناك الإله الرئيسي لآشور ، الذي تظهر أشكال مختلفة لاسمه في النصوص المبكرة فقد وُجد مكتوباً على النحو التالي: آسير ، ناسير ، آشار ، مع أشكال أخرى . ومن ثم ، فقد أُشير إلى ارتباطه باسم أوزوريس . ويظهر اسم آشور كاسم إله آداني . بينما سُجل في الطقوس السومرية اسم ناسير او ناسر ، كما زُعم أن اسم الإله مشتق من اسم مدينته . تولى آشور دور إنليل ومردوخ ، وكان أيضاً ، كما هو متوقع ، إله الحرب على وجه الخصوص . وكان أحد رموزه الأكثر شيوعاً هو القرص المجنح الذي يحيط بالجزء العلوي من الإله أثناء إطلاق سهم من قوسه ..

سبق أن رأينا أن عشتار كانت تُعتبر في آشور آلهة ، وتبوأت أعلى مكانة بين الآلهة الإناث . إله آخر ورد اسمه في النصوص الآشورية هو شولمانو (سلمان) ، الذي يبدو أنه الشكل الآشوري لنينورتا ..

ومن الآلهة القديمة جداً ، التي استُبعدت من القائمة الرسمية بسبب عدائها لآلهة آنو ، آلهة السماء ، تيامات ، إلهة الفوضى ، الممثلة في شكل تنين ، مع زوجها كينغو ، وأبسو ، إله محيط العالم السفلي . يلعب هؤلاء الثلاثة دوراً مهماً في ملحمة الخلق ومن الألقاب التي أُطلقت على آنو ، ولاحقاً على مردوخ وآشور ، لقب ملك الإجيجي ، بينما لُقّب إنليل بـ ملك الأنوناكي . يبدو أن هذين المصطلحين ، إيجيجي وأنوناكي ، مصطلحان جماعيان يُشيران إلى آلهة السماء والأرض والعالم السفلي ، كما هو وارد في القوائم الرسمية ولكن يبدو أن المصطلحين مترادفان . على سبيل المثال ، في ترنيمة للملك سين (شيسن) ، نجد الكلمات التالية عندما يتردد صوتك في السماء ، يُلقي

الإيجيجي أنفسهم على وجوههم وعندما يتردد صوتك على الأرض ، يُقبّل الأنوناكي الأرض . هنا ، يبدو أن الإيجيجي يُنسب إلى السماء والأنوناكي إلى الأرض . من ناحية أخرى، لدينا نص يُذكر فيه أن عدد الأنوناكي في السماء يبلغ 300 كما يختلف عدد الإيجيجي والأنوناكي اختلافاً كبيراً في المصادر المختلفة . ففي بعض النصوص نسمع عن ثمانية إيجيجي وتسعة أنوناكي ، بينما في نصوص أخرى ، نجد 300 إيجيجي و600 أنوناكي . غالباً ما يصعب التمييز بين الآلهة والشياطين فعلى سبيل المثال ، يُدرج نامتار في القائمة كإله ، ولكنه يُدرج أيضاً ضمن الأوتوكو السبعة ، أو الشياطين ، الذين يُذكرون غالباً في ألواح طرد الأرواح الشريرة . وقد لعبت المخلوقات السوداء ، بعضها خير ، ومعظمها شرير ، دوراً كبيراً في الحياة اليومية للبابليين ، وكان يُنظر إليها واقعياً على أنها تمتلك أشكالاً مميزة وأسماءاً فردية . في عهد آشور بانيبال ، كتب كاتب إلى سيده الملكي ، يُفيد بأنه أمر بإعداد صورة لابنة آنو (لاماشتو) ، وصورة لنامتارو ، وصورة لاتاراك ، وصورة للموت . وقد استُخدمت هذه الصور أو التماثيل لأغراض الحماية ، إما على ألواح موضوعة في المنازل ، أو كتماثيل مدفونة تحت عتبات المنازل .

كان من بين الآثار البابلية المألوفة لوحٌ واقي يحتوي على أحد وجهيه طقوس طرد الأرواح الشريرة المرعبة لاماشتو وعلى الوجه الآخر رسمٌ لأنثى من عالم الشر وهي تصعد من العالم السفلي لمهاجمة ضحيتها . تُظهر العديد من هذه الرسوم أشكالًا كابوسية ، بعضها بشري وبعضها وحشي . وعلى عكس المفهوم المصري لآلهتهم ، الذين غالباً ما يُصوَّرون بأشكال آلهة ، فإن الآلهة البابلية والآشورية تُصوَّر دائماً بأشكال بشرية ، على الرغم من أنها غالباً ما تُرافقها حيواناتها المقدسة .

من الممكن تخصيص مساحة أكبر بكثير لوصف البانثيون البابلي ، إلا أن الشخصيات الرئيسية قد رُسمت ويمكن القول إن العديد من الآلهة الكثيرة التي تُشكل البانثيون ليست أكثر من مجرد أسماء تعكس صفات معيّنة لم يفهمها علماء ترجمة المخطوطات . فالعديد من الآلهة الصغرى ، وبعضها حتى من الآلهة الكبرى ، هي مجرد تجسيدات لنفس الصفة ، أو لنفس الظاهرة الطبيعية تحت أسماء مختلفة . ومن الواضح أن العديد من الآلهة ليست أكثر من تجسيدات لأفكار مجردة . على سبيل المثال، زوجة نابو ، إله الكتابة ، تحمل اسم تاشميتو ، الذي يعني السمع بينما في بعض النصوص الدينية البابلية المبكرة يُصوَّر إيا على أنه خلق إلهة تُدعى زالتو ، أي الصراع ، كمقابل لعنف عشتار . علاوة على ذلك يُمكننا أن نرى من الأدبيات الدينية أن عملية دمج صفات آلهة مُختلفة في إله واحد كانت مستمرة وخاصةً في الفترة المتأخرة من التطور الديني البابلي . ومن الأمثلة المعروفة تعداد أسماء مردوخ الخمسين في ترنيمة مردوخ التي كانت تُغنى في عيد رأس السنة ، حيث استوعب مردوخ صفات آلهة أخرى عديدة . وفي إحدى الترانيم اللافتة ، تُمثَّل أجزاء جسد نرجال المختلفة على أنها مُساواة لآلهة أخرى على النحو التالي عيناه إنليل ونينليل ، سين هو حدقة عينيه ، آنو وإنتو شفتاه ، أسنانه سيبيتو (الآلهة السبعة) ، أذناه إيا ودامكينا ، جمجمته آدي ، رقبته مردوخ ، وصدره نابو ..

ومع ذلك ، يتضح من ترانيم التوبة البابلية أن الشعور بالعلاقة الشخصية مع الإله ، والشعور بشيء لا يختلف تماماً عن تجربة الذنب والاغتراب الموجودة في النصوص الايزيدية ، كان حاضراً في التجربة الدينية البابلية على الأقل في مراحلها الأخيرة . قبل أن نترك موضوع البانثيون البابلي ، هناك جانب واحد من اللاهوت البابلي يجب مناقشته بإيجاز ألا وهو مسألة الملكية الإلهية في بابل وآشور . في المقام الأول ، لا بد من الإشارة إلى وجود تمييز مهم بين الملكية في مصر والملكية في بلاد ما بين النهرين، وهو تمييز لم يُعترف به بشكل كافٍ في الكتب السابقة حول هذا الموضوع. وقد أوضح البروفيسور فرانكفورت هذا بوضوح شديد ، وخاصة في كتابه المذكور سابقاً، الملكية والآلهة في مصر كان الفرعون . والذي كان يُعرَّف منذ البداية برع ، الخالق وإله الشمس ساوِيَ بالإله أوزوريس ، بينما ساوِيَ خليفته بالإله حورس . ومنذ بداية التاريخ المصري وحتى نهايته ، كان الفرعون إلهاً بلا شك ، وكان يُعامل كإله ..

في بلاد ما بين النهرين ، كان الوضع أكثر غموضاً . فقد سبقت أسماء عدد من ملوك بلاد ما بين النهرين الرمز الإلهي (في الكتابة المسمارية ، الرمز الإلهي هو نجمة ثمانية الرؤوس) لا سيما في الفترة المبكرة . ومن الأمثلة البارزة على ذلك نارام سين ، الذي وُضِعَ الرمز الإلهي قبل اسمه ، وصُوِّر على شاهدته الشهيرة أكبر من الإنسان (كما هو الحال في التقاليد المصرية) ، وكان يرتدي القلنسوة المقرنة التي تُميز الآلهة. في طقوس تموز الشهيرة، نجد أسماء أحد عشر ملكاً من ملوك أور وإسن مصحوبة بالأمر الإلهي ، وفي احتفال رأس السنة ، كان الملك يمثل الإله في العديد من المواقف الطقسية المهمة ، وخاصةً الزواج المقدس. يشرح البروفيسور فرانكفورت ، الذي استمد ، كما سبق بيانه مؤسسة الملكية من الديمقراطية البدائية ، الطابع الإلهي للملكية من عنصر الزواج المقدس في الطقوس البابلية . وهذه كلماته قد يكون من الممكن أن الملوك وحدهم هم الذين أُلهوا بأمر إلهة بمشاركتها فراشها . وبشكل عام ، ينتمي الملوك الذين يستخدمون الأمر الإلهي قبل أسمائهم إلى نفس الفترة التي تنتمي إليها النصوص التي تذكر زواج الملوك والإلهات وقد رأينا أن بعض الملوك اعتمدوا الأمر الإلهي ، ليس في البداية ، بل في مرحلة لاحقة من حكمهم .

وإذا افترضنا أنهم فعلوا ذلك بأمر إلهي ، فإننا نبقى ضمن النطاق الطبيعي للفكر الرافديني في حين أن الرأي القائل بأن الملك كان ينبغي أن يفترض من تلقاء نفسه تجاوز الحاجز بين البشري والإلهي ، يتعارض مع كل ما نعرفه عن معتقدات بلاد ما بين النهرين ، ويواصل البروفيسور فرانكفورت استخدام نص مبكر آخر معروف ، وهو تأليه ليبيت عشتار ، لدعم نظريته . هذا النص هو طقس تأليه فعلي يتم فيه تحديد الملك ليبيت عشتار بإله الخصوبة أوراش تمهيداً لزواجه من الإلهة عشتار !

وقد استُخدم هذا النص ، ربما دون قيود مستحقة ، لدعم الرأي القائل بأن الملكية الإلهية كانت عنصراً أساسياً في الديانة البابلية. وقد أظهر البروفيسور فرانكفورت أن مثل هذه الرؤية تحتاج إلى تعديل كبير ولكن من المحتمل ألا تكون الكلمة الأخيرة قد قيلت بعد بشأن هذه المشكلة المحيرة . إذا استبدلنا مصطلح مقدس بمصطلح إلهي ، فقد يكون من الجائز الادعاء بأنه مهما كان أصله فإن الملكية في بلاد ما بين النهرين وفي الأراضي المتأثرة وقد اكتسبت الطقوس الدينية ، التي نشأت في بلاد ما بين النهرين، طابعاً مقدساً في ارتباطها بالطقوس في فترة مبكرة للغاية وهي طابع استمر وتكثف حتى نهاية الحضارة التي أنجبت هذه الفكرة ..

إذا نظرنا إلى الجزء الأول من المادة ، نجد تشابهاً عاماً وثيقاً ، على الرغم من الاختلافات الطفيفة ، بين الطقوس الدينية التي بقيت كاملة . الخطوط العريضة واضحة . تتضمن الافتتاحية المعتادة وصفًا للويل والخراب الذي حل بالمعبد والمدينة والشعب ، نتيجة انتصار قوى العالم السفلي على تموز ، راعي شعبه . ثم يلي ذلك دعوة إلى الحداد العام . تدعو عشتار ، والدة تموز وأخته وزوجته ، الكهنة والشعب إلى الاتحاد معها في الرثاء . ويبدو أن الرثاء صدى لكلمة تموز نفسه أو صرخته من العالم السفلي . للكلمة قوة سحرية ، وتجلب الدمار ، الذي لا رجعة فيه حتى يسترجع الإله نفسه كلمته ..

تستمر المراثي ، ذات الطابع المتناغم ، في وصف دمار المعبد ، وإهلاك الأرض بسكانها وثمارها ، تحت وطأة عاصفة قوى العالم السفلي الهائجة ، عاصفة المرعب وهي عبارة تتكرر باستمرار في المراثي . تصف المراثي بتفصيل بالغ الحالة المحزنة للإله الأسير مقيداً في العالم السفلي في السهوب ، غارقاً في نوم سحري ، مستلقياً بين نباتات ذابلة ، محترقاً بحرارة نارية . وتستمر في وصف أحزان عشتار إنها كزوجة حُرمت من زوجها ، وأم حُرمت من طفلها ، وبقرة عجلها ، وماعز جَدِيها ، وخروف حَملها ..

تشغل المراثي ، المصحوبة بأعمال طقسية ، الجزء الرئيسي من القداس . ثم تأتي طقوس استشارة عشتار لعرافة العالم السفلي ، وإعلانها قرارها بالنزول إلى العالم السفلي بحثًا عن زوج. ويصاحب ذلك وصفٌ للزينة الاحتفالية التي تزينت بها الإلهة استعداداً لرحلتها . تقول إنها طليت عينيها بالستيبيوم له ، وزينت كتفيها بأغصان من خشب الأرز ذيثم تأتي صرخة من العالم السفلي ، من تموز البائد ، تطالب بقرابين تكفيرية وتحضير وليمة طقسية . بعد تحضير الوليمة يأتي وصف موكب احتفالي للملوك المؤلهين الذين ذُكرت أسماؤهم أي أولئك من أور نمو ، أول ملوك سلالة أور الثالثة، (2294 قبل الميلاد) إلى بور سين ، سابع ملوك سلالة إيسن (2040 قبل الميلاد) مما يُعطينا فترة تقريبية لهذه الطقوس المبكرة ، سابقة بقليل لعصر حمورابي . مع اقتراب كل ملك بعطاياه ، يردد العبارة التالية ..

أفرح قلبك بنباتك ثم قالت عشتار قادماً إليكَ ، مُسترشداً بصوتِ الوحي ، واستدعت تموز بكلِّ ألقابه ، منتهيةً بقولها إليكَ يا ثوري البري في السهوب ، يا حملي في السهوب ، سأُوجِّه صلاتي . ومرةً أخرى ، أعلنت عشتار أنها تزيَّنت كالأرز لتسعد قلبَه ، طفلها ، حبيبها ، الذي عبر النهر . الرائحة الزَكية ، وجسدها بثياب لامعة ، ورأسها بتاج لامع له ..

ثم تأتي أغنية النصر الختامية التي تبدأ بـ داعياً الرب ، أنقذتَ أرزك النبيل من السجن . ويبدو أن النهاية عبارة عن تسبيح موجه إلى الآلهة المتّحدة في حجرة العرس ..

أول ما يُطرح بشأن هذه المادة الطقسية هو أنها تُمثل مرحلة مبكرة جداً من ديانة بلاد ما بين النهرين ، وربما أقدم بكثير من طقوس عيد رأس السنة البابلية الأكثر تفصيلًا والتي ساهمت فيها بشكل كبير ، من المعروف أن عبادة آدي . أدونيس كانت لها مكانة مهمة في ديانة شمال سوريا ونقاط التشابه العديدة بين طقوس تموز ونصوص رأس شمرا ، تميل إلى تعزيز أسس الرأي القائل بأن عبادة تموز شكلت جزءاً من الخلفية الدينية المبكرة العامة للشرق الأدنى علاوة على ذلك ، بينما أدى التطور الحضري والتغيرات السياسية في بلاد ما بين النهرين إلى تغييرات في شكل

الطقوس المركزية للدولة ، مما طمس إلى حد ما خصائصها الزراعية والخصوبة الأصلية ، ربما احتفظت كنعان وسوريا بالكثير من الطابع الأقدم والأبسط لعبادة تموز ..

يعتقد لانغدون أن هذه الأوصاف تشير إلى أحداث تاريخية ولكن من المحتمل أن يكون قد حدث تدمير طقسي للمباني المقدسة كجزء من مراسم الاحتفالات السنوية المرتبطة باختفاء تموز . في هذه المقاطع ، نسمع عن تدمير أعمدة المعبد ومنحوتاته ، وتدنيس الحرم المقدس الذي لم تطأه قدم واقتحام العدو للسياج المقدس من أشجار الأرز وتشتيت جثث القتلى في باحات المكان المقدس .

وإلى جانب هذه الأوصاف ، هناك شكوى من أن العاطفة الطبيعية قد توقفت وأن الأم قد توقفت عن رعاية أطفالها ، والأب عن رعاية صغاره وأن العرش المقدس قد أُزيل من الحرم؛ وأن الرب الذي يقدم المشورة والإجابة من خلال الوحي قد اختفى . يمكن التعمق في هذا الخط من المقارنة بشكل كبير ، لكن تأثيره العام يوحي بأن الانتشار المبكر والواسع لهذه الطقوس الدينية في بلاد ما بين النهرين والأراضي الخاضعة لتأثيرها الثقافي ، قد وفر مخزوناً من الأشكال والصور الشعرية المتاحة للاستخدام عند الحاجة إليها . إن أنبياء العبرانيين أو مؤلفي الترانيم للمناسبات المقدسة استعاروا مباشرة من مصادر بلاد ما بين النهرين كما يُلاحظ في تطابق النصوص ، بل إنهم استخدموا الأشكال الشعرية والاستعارات القديمة بحذافيرها ، حيث أمكن تكييفها للتعبير عن الأفكار الدينية الجديدة الناشئة عن تجربتهم الدينية الخاصة . وهذا يتماشى فقط مع ما يُعترف بأنه حدث في مجالات ثقافية أخرى ، في مجال القانون والطقوس ، على سبيل المثال ..

هناك نقطتا اتصال أخريان تنبعان من الطقوس الدينية . إحداهما ، كما أشرنا سابقاً ، هي الدلالة الخاصة المُعلقة على كلمة تموز . فبينما ينزل إلى العالم السفلي ، يُصوَّر الإله وهو يُعلن الويل على مدينته وأرضه . فكل المحن التي تُعانيها الأرض والشعب ، واندلاع العاصفة من العالم السفلي ، بل وحتى ما يُعانيه الإله نفسه ، تُفهم على أنها نتيجة للقوة السحرية للكلمة . وإلى أن يتراجع تموز نفسه عن كلمته ، لا تُجدي الصلاة ولا التعويذة نفعاً في تغيير مجرى الأمور . ولكن عندما يستيقظ الإله من نومه السحري ، فإن أول ما يحدث هو النطق بصوته يزأر كثور جامح ويبدأ انقلاب مصير الأرض ، مع عودة الإله إلى معبده ..

النقطة الأخرى تنشأ من العلاقة بين عشتار وتموز ، والاستخدام المتكرر لرمز الأرز للإله والإلهة . سنتناول هذه النقطة مجدداً بالرجوع إلى النصوص السحرية ، ولكن الأمر هنا يتعلق بجوانب الرمز المختلفة . فيما يتعلق بالإله هناك العنصر الطقسي (الذي يُمثل غالباً على أختام ما قبل عصر سرجونيد) المتمثل في قطع شجرة على الجبل المقدس ، لتمثيل موت الإله . تحزن عشتار على فقدان شجرة أرزها النبيلة . عُثر على هذه القطعة الطقسية في فينيقيا وللشجرة الميتة في الطقوس المصرية نفس الدلالة . من ناحية أخرى ، يُعد الأرز في شجاعته ..

نزول انانا الى العالم السفلي

هذه هي احداث انانا

يا ملكة السماء !

يا سيدة الآلهات !

يا المع نجمة في السماوات !

الى العالم السفلي التي لا عودة منه.... الى مملكة ارشيكجال

انانا ! يا بنت ننّا سن (القمر) انها وضعت عقلها

من كبرى الأعالي عظيمة .. وضعت عقلها على أكبر الأماكن المتدنية

آلهة العلى العظيمة وضعت عقلها على الأماكن المتدنية العظيمة

الى المساكن المظلمة... الى مساكن عرق الله

الى الأرض السوداء! الى ارض كوتا

الى الدار الذي لا يمكن لاحد مغادرته وضعت قدمها

الى الطريق الذي ليس منه عودة وضعت قدمها

الى الكهف الذي يرفض استقبال النور

الى المكان الذي اطباق الغبار تصبح طعاماً فيه

الى المكان الذي لا أحد يرى النور فيه... يقيم في الظلام النقي

الى المكان الذي ملابس سكانه هي اجنحة الطيور

السيدة انانا تخلت عن السماء وتخلت عن الأرض

والى العالم السفلي نزلت

في اريش تخلت عن انانا .. الى العالم السفلي نزلت

في باد تيبيرا تخلت عن اموش كالاما .. الى العالم السفلي نزلت

في زابالام تخلت عن إشارة .. الى العالم السفلي نزلت

في اداب تخلت عن إشارة .. الى العالم السفلي نزلت

في نيبور تخلت عن باراتوشكاره .. الى العالم السفلي نزلت

في كيش تخلت عن هورسق كلامه .. الى العالم السفلي نزلت

في اكد تخلت عن اولماش .. الى العالم السفلي نزلت

انانا اخذت الجوهرات السبعة الإلهية ووضعتهم على جسدها

اخذت الجوهرات السبعة الإلهية واغتنمتهم في يدها

الشوغورة ... تاج النجوم للملك انو... وضعته على رأسها

صولجان اللازورد قبضته في يدها

القلادة من احجار اللازورد ربطته حول عنقها
الحجارة اللامعة الرائعة اخذتهم وحملتهم
خاتم الطاقة الذهبي وضعته على اصبعها
تميمية الجبهة ربطتها كدرع
قد لبست نفسها ملابس ملكة السماء
وفي الزيت المقدس مسحت نفسها
انانا وضعت عقلها وتحركت نحو العالم السفلي
رسولها الوفي نينشوبور كان لجانبها
الى نينشوبور تحدثت انانا:
يا صديقي الموثوق به الذي كنت مصدر مستمر لدعمي
يا رسول كلماتي الحقيقية و يا حامل كلماتي الداعمة
أقول لك أني ذاهبه الى العالم السفلي
وعندما انزل كاملاً الى العالم السفلي
املئ كل مناطق السماء في دعواتي من اليأس !
ابكي امام مجلس العظام على آلامي !
في بيت الإلهيات أخلق اثارة علي !
اخفض عينك من أجلي! اخفض فمك من أجلي!
البس من أجلي ملابس الفقراء!
و الى اكور بيت انليل ، ضع قدميك فقط لأجلي !
عندما تدخل للأكور بيت انليل
ابكي امامه !
يا ابي انليل ! أنقذ حفيدتك من بوابة الموت !
احمي المعدن لكي لا يصل الى الغبار في العالم السفلي !
احمي احجار اللازورد لكي لا تنكسر في العالم السفلي !
احمي الخشب لكي لا يجري تقطيعه في العالم السفلي !
لا تجعل انانا النقيه تذهب الى الموت في العالم السفلي !
إذا انليل لم يقدم لك المساعدة في هذا الشأن اذهب الى اور!
عندما تدخل الى اور عند ال أكيش شيرجال بيت ننّا سين
ابكي امامه !

يا ابي ننّا !
احمي المعدن لكيلا يصل الى الغبار في العالم السفلي !
احمي احجار اللازورد لكي لا تنكسر في العالم السفلي !
احمي الخشب لكي لا يجري تقطيعه في العالم السفلي !
لا تجعل انانا النقيه تذهب الى الموت في العالم السفلي !
اذا ننه لم يقدم لك المساعدة في هذه الشأن اذهب الى اريدو
عندما تدخل الى اريدو
بيت انكي
ابكي امامه !
يا ابي انكي !
احمي المعدن لكي لا يصل الى الغبار في العالم السفلي !
احمي احجار اللازورد لكي لا تنكسر في العالم السفلي !
احمي الخشب لكي لا يجري تقطيعه في العالم السفلي !
لا تجعل انانا النقيه تذهب الى الموت في العالم السفلي !
ابونا انكي ! يا سيد المعرفة !
من يعلم بسر طعام الخلود ؟ من يعلم بسر ماء الخلود ؟ هو اكيد يسمعني
هو اكيد يساعدني ان أعيش !
اذهب الأن يا نينشوبور! في الكلمة التي أمرتك !
انانا ثانيةً وضعت عقلها على العالم السفلي
وضعت عقلها على قصر اللازورد في العالم السفلي
الى الأرض السفلية الذي لا عودة منها وصلت
عند بوابة العالم السفلي قالت انانا بشكل شرير
في قصر العالم السفلي انانا تصرفت بشكل شرير
ومراقب البوابة راقبها
مراقب البوابة – نينجيش ايزيدا وقف بسرعة
ثعبان الأعماق ! نينجيش ايزيدا راقب وصول انانا
تحدثت انانا الى مراقب البوابة:
يا حارس! افتح بابك لي . افتح بابك لكي ادخل !
افتح ! والا سأهجم البوابة ! افتح ! والا سأحطم البوابة !

افتح ! والا سأحطم الشريط ! افتح ! والا سأهدم الجدار!
إذا لم تفتح البوابة واسع سأجعل الموت ! إذا لم تفتح البوابة واسع سأجعل الموت ان يظهر!
الموت سيكون في الأغلبية وسيبيد ما هو حي !
يا روح مراقب البوابة ! افتح لي البوابة !
المراقب فتح فمه ليتكلم الى انانا:
قفي يا سيدتي ! لا تهدمينه ! من انتِ ؟!!!
انانا اجابت:
انا ملكة السماء
المكان الذي ستشرق فيه الشمس !
إذا انت حقا ملكة السماء
أينما تشرق الشمس
لماذا اتيت الى العالم السفلي ... ارض اللا عودة ؟
لماذا اخترت الطريق الذي لا مسافر يعود منه ؟
ماذا فيه قلبك لكي يقودكِ الى هذا المكان ؟
انانا النقية اجابت:
اتيت لكي ارى اختي الكبرى اريشكجال !
سمعت انه زوجها قتل !
واتيت لأشارك في مراسيم الدفن !
المراقب استجاب:
ابقي هنا وابقي في مكانك يا انانا
سأذهب لأعلن اسمكي لملكتي اريشكجال
المراقب دخل الى القصر وقال الى اريشكجال
يا ملكتي اريشكجال
اختك انانا تنتظرك على البوابة
هي الذي أتت لدعم المهرجانات الكبيرة
هي الذي ملئت العمق امام الملك انكي!
في اريش تخلت عن ايانا الى العالم السفلي نزلت
في باد تيبيرا تخلت عن اموش كالاما الى العالم السفلي نزلت
في زابالام تخلت عن إشارة الى العالم السفلي نزلت

في اداب تخلت عن إشارة الى العالم السفلي نزلت
في نيبور تخلت عن باراتوشكاره الى العالم السفلي نزلت
في كيش تخلت عن هورسق كلامه الى العالم السفلي نزلت
في اكد تخلت عن اولماش الى العالم السفلي نزلت
انانا اخذت الجوهرات السبعة الإلهية ووضعتها على جسدها
اخذت المجوهرات السبعة الإلهية واغتنمتهم في يدها
الشوغورة ... تاج النجوم للملك انو... وضعته على رأسها
صولجان اللازورد قبضته في يدها
القلادة من احجار اللازورد ربطته حول عنقها
الحجارة اللامعة الرائعة اخذتهم وحملتهم
خاتم الطاقة الذهبي وضعته على اصبعها
تميمية الجبهة ربطتها كدرع
قد لبست نفسها ملابس ملكة السماء
وفي الزيت المقدس مسحت نفسها
عندما سمعت اريشكجال هذا أصبحت شاحبة من الخوف
عندما أصبحوا شفتيها سوداء
قالت لنفسها بصوت عالي:
ما بقلبها أنانا لتأتي لي ؟ ما اجبر روحها لتأتي لهنا ؟
هل يجب ان أشرب ماء مع الآنوناكي ؟
هل يجب ان اكل طين بدل الخبز واشرب ماء ملوث بدل التغذية ؟
هل يجب ان احزن على الرجال الذي تركوا زوجاتهم ورائهم؟
هل يجب ان احزن على البنات الباكرة الذي أُخذت من أحضان عشاقهم؟
هل يجب ان احزن على الأطفال الذي ذهبت قبل وقتها؟
ثم فتحت فمها اريشكجال و قالت الى المراقب :
اذهب يا مراقب و افتح لها البوابة !
عاملها في كل تقدير ووفق التقاليد القديمة !
المراقب خرج ليفح لها البوابة و قال:
ادخلي يا سيدا انانا ! بلاد كوتا ستبتهج في رؤيتك !
محكمة ارض اللا عودة ستفرح في وجودك !

مراقب البوابة خفف البراغي !
و الظلام وقع على وجه انانا !
مراقب البوابة فتح الباب
و ماء اسود ارتفع و لمست لتحمل الهة النور!
في بوابة جنزير المراقب فتح
نينجيش ايزيدا قد فتح بوابة ارض اللاعودة !
وانانا دخلت !
عندما دخلت انانا في البوابة الاولى
نينجيش ايزيدا اخذ منها تاج النجوم
وانانا سالت:
لماذا يا ثعبان اخذت مني الجوهرة الأولى ؟
والثعبان أجاب:
هذه هو عهد العجائز
قوانين سيدة العالم السفلي
ادخلي يا سيدتي في البوابة الأولى
عندما دخلت انانا في البوابة الثانية
نينجيش ايزيدا اخذ منها صولجان اللازورد
وانانا سالت:
لماذا يا نيتي اخذت الجوهرة الثانية ؟
و نيتي أجاب:
هذه هو عهد العجائز
قوانين سيدة العالم السفلي
ادخلي يا سيدتي في البوابة الثالثة
عندما دخلت انانا في البوابة الثالثة
نينجيش ايزيدا اخذ منها القلادة من اللازورد
وانانا سالت:
لماذا يا حارس البوابة اخذت مني الجوهرة الثالثة ؟
هذه هو عهد العجائز
قوانين سيدة العالم السفلي

ادخلي يا سيدتي في البوابة الرابعة

عندما دخلت انانا في البوابة الرابعة

نينجيش ايزيدا اخذ منها الحجارة اللامعة الرائعة

وانانا سالت:

لماذا يا مرافق البوابة اخذت مني الجوهرة الرابعة؟

ومرافق البوابة أجاب:

هذه هو عهد العجائز

قوانين سيدة العالم السفلي

ادخلي يا سيدتي في البوابة الخامسة

عندما دخلت انانا في البوابة الخامسة

نينجيش ايزيدا اخذ منها خاتم الطاقة الذهبي

و انانا سالت:

لماذا يا مراقب المدخل اخذت مني الجوهرة الخامسة؟

ومراقب المدخل أجاب:

هذه هو عهد العجائز

قوانين سيدة العالم السفلي

ادخلي يا سيدتي في البوابة السادسة

عندما دخلت انانا في البوابة السادسة

نينجيش ايزيدا اخذ مها درع العدالة من صدرها

و انانا سالت:

لماذا يا نينكيجال اخذت مني الجوهرة السادسة؟

و نينكيجال أجاب:

هذه هو عهد العجائز

قوانين سيدة العالم السفلي

ادخلي يا سيدتي في البوابة السابعة

عندما دخلت عشتار في البوابة السابعة

نينجيش ايزيدا اخذ منها ثوب الملوكية

و انانا سالت:

لماذا يا ايها الرسول القديم اخذت مني الجوهرة السابعة

والرسول القديم أجاب:
هذه هو عهد العجائز
قوانين سيدة العالم السفلي
ادخلي يا سيدتي في البوابة السابعة
انانا قد وصلت الى العالم السفلي
الى أعماق كوتا – ارض كور وصلت انانا
ضاعوا جوهريات العالم العلوي السبعة !
ضاعوا طاقات ارض الحياة السبعة !
ضاع رزق طعام وماء الحياة !
وثم ظهرت انانا امام اريشكيجال
اريشكيجال عندما رأت وجود انانا صرخت !
انانا تقدمت نحوا اريشكجال
اريشكجال استدعت نمتار الساحر الأسود
وقالت هذه الكلمات عندما تحدثت اليه:
اذهب يا نمتار! واسجنها في الظلام في قصري !
اطلق ضدها الانوناكي السبعة !
اطلق ضدها العفاريت الستين الظلماء !
عفاريت العيون ضد عيونها ! عفاريت الجوانب لجوانبها !
عفاريت القلب ضد قلبها ! عفاريت الاقدام ضد اقدامها !
عفاريت الراس ضد راسها ! ضد كل جسدها عفاريت كور
الانوناكي السبعة احكام الموت السبعة ضعوا عيون الموت عليها
في عالمهم العالم الذي استحضر كل العفاريت
أتت العفاريت لتمزيق انانا من كل الجوانب
في ارض كور قتلت انانا
تم تمزيق جسد انانا الى جثة
وجثة انانا كانت معلقة على صليب
لثلاثة أيام و لثلاثة ليالي كانت جثة انانا معلقة
و بعد مرور الثلاثة أيام و الثلاثة ليالي
رسول انانا نينشوبار

رسول كلمات انانا الملائمة
حامل كلمات انانا المدعمة
نينشوبار ملئ السماء في النوح على انانا
نينشوبار كان يبكي عليها امام مجلس الالهيات
نينشوبار جعل اثارة في بيت السيد
اخفض عينه من اجلها! اخفض فمه من اجلها
كالخادم البسيط ناشد الآلهة من اجلها
ولكن الأب انليل لم يقف لجانبه في هذا الشأن
الى اكيشرقال بيت ننا سين وضع قدمه
ولكن الأب ننا لم يقف لجانبه في هذا الشأن
الى اريدو بيت انكي ذهبا بملل
ابونا انكي سمع كلمات نينشوبار
انكي سمع كلمات نزول انانا
انكي سمع الكلمات وهي تشرح فتح جنزير
الأب انكي أجاب نينشوبار:
ماذا فعلت بنتي؟ أنى منزعجاً ! ماذا فعلت انانا ؟
أنى منزعجاً ! ماذا فعلت ملكة السماء ؟ اني منزعجاً !
ماذا فعلت ؟
الأب انكي استدعاه الطين ليصمم كوغارو
الأب انكي استدعاه الهواء ليصمم كالاتوره
من الطين و الهواء استدعاه انكي العنصرين
انكي صمم الكورغارو! روح الأرض!
انكي صمم الكالاتوره! روح العمق!
انكي عطى الى الكورغارو طعام الحياة
انكي عطى الى الكالاتوره ماء الحياة
الى العنصرين تحدث انكي
قوموا! وضعوا عقلكم في رحله الى بوابة جنزير!
الى بوابة العالم السفلي ضعوا قدميكما!
الى الأرض السفلية اللا عودة منها ضعوا عيونكم!

بوابات العالم السفلي السبعة ستفتح امامكم!
لا سحر ولا تعويذة تستطيع ان توقفكم لان عليكم اضعتُ رقمي !
اخذوا طعام الحياة وماء الحياة و اريشكجال لن تستطيع ان تضركم!
اريشكجال لا يجوز لها ان ترفع يدها ضدكم!
اريشكجال لن يكن لها أي سلطان عليكم!
فوق جثة عشتار المعلقة على الصليب
وجهوا خوف اشعة النار السري
رشوا طعام الحياة لستين مرة!
رشوا ماء الحياة لستين مرة!
رشوا ستين مرة على جثتها و انانا اكيد ستقوم!
كالثعبان المجنح طارت العنصرين!
الى بوابة جينزير طارت العنصرين مخفيه!
مخفيان دخلا من امام المراقب ولم يراهم!
من البوابات السبعة طارت العنصرين مخفيين!
مخفيان دخلا من امام الحراس السبعة!
بسرعة دخلوا الى قصر الظلام!
في قصر الظلام راوا مناظر مرعبة!
ولكن كانا يتحركان باستعجال الى ان وقفا امام جثة انانا!
انانا ملكة السماء الجميلة!
انانا سيدة الهة السماء!
انانا سيدة الكاهنات في اور!
انانا المع نجمة في السماء!
انانا عزيزة انكي! كانت معلقة على الصليب وكانت تنزف !
من الف جرح كانت تنزف انانا المعلقة!
كورغارو و كالاتوره وصلوا الى جسد انانا!
اريشكجال شعرت في ودودهم و بدأت تصرخ!
الكورغارو وجه اشعة النار على ملكة الموت!
كالاتوره وجه اشعة النار على ملكة الموت!
ارشكيكال و رغم طاقتها انسحبت!

كورغارو فوق جثة انانا
رش طعام الحياة ستين مرة!
كالاتوره فوق جثة انانا
رش ماء الحياة من انكي ستين مرة!
على جثة انانا ملكة السماء
كورغارو و كالاتوره وجهوا روح طاقة الحياة من انكي!
وانانا قامت!
انانا صعدت من العالم السفلي!
الأنوناكي هربوا من عروشهم الذهبية!
و روح الأرض السفلية اللا عودة منها
الارواح الذي نزلت الى الموت بطريقة سليمة
عندما صعدت انانا من العالم السفلي
عندما صعدت انانا على الثعبانين المجنحين من انكي
عندما صعدت انانا من بوابات جنزير ونيتي
اكيد الموت كان يسرع امامها
عندما صعدت انانا من البوابة الأولى
ملكة السماء رجعت ثوب الملكي الجوهري
عندما صعدت انانا من البوابة الثانية
ملكة السماء رجعت درع العدالة الجوهري
عندما صعدت انانا من البوابة الثالثة
ملكة السماء رجعت خاتمها ألذهبي الجوهري
عندما صعدت انانا من البوابة الرابعة
ملكة السماء رجعت الحجار اللامعة الرائعة الجوهرية
عندما صعدت انانا من البوابة الخامسة
ملكة السماء رجعت القلادة الجوهرية
عندما صعدت انانا من البوابة السادسة
ملكة السماء رجعت الصولجان الجوهري من اللازورد
عندما صعدت انانا من البوابة السابعة
ملكة السماء رجعت تاج النجوم الجوهري من ملك انو

وأرواح الموت نهضت

وأرواح الموت سبقت انانا من البوابات

و اريشكيجال احتُقرت

الملكة المحتقرة اريشكيجال قالت لعنة قوية

ضد ملكة السماء وجهت لعنتها اريشكيجال

و نامتار اظهر اللعنة

عند تموز حبيب انانا

ينزل قبلي من جينزير بوابة الموت ونوح الناس تأتي معه

عندما يكون تموز حبيب انانا ميتاً

ليقوم الموت وريحة البخور!

الفصل الثاني

القدر والمصير

تقول إحدى المخطوطات السومرية التي تشكل جزء من ملحمة الخلق ..

((قبل حوالي 445 ألف عام، هبط رواد فضاء من كوكب آخر على الأرض بحثًا عن الذهب.غاصوا في إحدى بحيرات الأرض، وساروا إلى الشاطئ، وأسسوا إريدو، "الوطن الثاني". مع مرور الوقت، تطورت هذه المستوطنة الأصلية إلى محطة أرضية متكاملة تضم مركز تحكم، وميناءً فضائيًا، ومناجم، وحتى قاعدة عبور على المريخ. نظرًا لنقص القوى العاملة، استخدم رواد الفضاء الهندسة الوراثية لخلق ما يُسمى "العامل البدائي" الإنسان العاقل. أدى الطوفان العظيم، الذي حل بالأرض بكارثة، إلى ضرورة بداية جديدة؛ فأصبح رواد الفضاء بمثابة آلهة جلبوا الحضارة للبشرية وعلموهم الصلاة.

ثم، قبل حوالي 4 آلاف عام، تحطم كل ما تحقق في كارثة نووية، أشعلها زوار الأرض نتيجة تنافساتهم وحروبهم.

ما حدث على الأرض في ذلك الوقت، وخاصةً الأحداث منذ فجر التاريخ البشري، ولكن ماذا حدث على الأرض قبل ذلك؟ ما الأحداث التي وقعت على كوكبهم، نيبيرو، نجم رواد الفضاء، والتي أدت في نهاية المطاف إلى رحلاتهم الفضائية، والحاجة إلى الذهب، ونشأة البشرية؟ ما المشاعر، والتنافسات، والمعتقدات، والأخلاق (أو انعدامها) التي حركت الشخصيات الرئيسية في الأساطير السماوية والفضائية؟ ما العلاقات الشخصية التي أدت إلى تصاعد التوترات على نيبيرو وعلى الأرض؟ ما الخلافات التي نشأت بين الصغار والكبار، بين القادمين من نيبيرو والمولودين على الأرض؟ وإلى أي مسار حُدِّد القدر قدرٌ يحمل سجل أحداثه الماضية مفتاح المستقبل؟

ألن يكون من المُبشّر أن يُسجّل أحد الشخصيات الرئيسية، شاهد عيانٍ يُدرك الفرق بين القدر والمصير، كيف وأين ولماذا حدث كل ذلك، سواءً في الأحداث الأولى أو الأخيرة؟

وهذا ما فعله بعض الأنوناكي بالفعل، فكان من أوائل من دوّنوا تجاربهم القائد الذي قاد أول مجموعة من رواد الفضاء!)) ..

إن ترجمة هذا النوع من المخطوطات السومرية لم تحصل على إتفاق أكاديمي لأنها تجعل ما ندرسه في الجامعات العلمية بمثابة قراءة بدائية تناسب العقل المحدود لدينا ، فالكثير من البشر علماء وجهلة يعتقدون أن البشر هم وحدهم من خلقهم الله وهم من أوجدوا التطور ولم يتدخل أحد في التاريخ غير البشر الذي يأكل ويشرب ويطرح فضلات ويعاني جسده من 72 علة ومرض !!!

يُقرّ العلماء واللاهوتيون اليوم بأنّ القصص التوراتية عن خلق آدم وحواء، وجنة عدن، والطوفان، وبرج بابل، تستند إلى نصوصٍ دُوّنت قبل ألف عام في بلاد ما بين النهرين، ولا سيما على يد السومريين. وقد صرّح هؤلاء السومريون

بدورهم بوضوحٍ بأنّهم استقوا معرفتهم بالأحداث السابقة التي يعود الكثير منها إلى ما قبل فجر الحضارة، بل وحتى قبل خلق الإنسان من سجلات الأنوناكي ("الذين نزلوا من السماء إلى الأرض")، أي "آلهة" العصور القديمة. وعلى مدار قرن ونصف من البحث والتنقيب الأثري في أطلال الحضارات القديمة، وخاصة في الشرق الأدنى، تمّ اكتشاف عددٍ هائلٍ من هذه النصوص القديمة. وقد كشفت هذه الاكتشافات في الوقت نفسه عن حجم النصوص المفقودة ما يُعرف بالكتب المفقودة والتي ذُكرت في كتاباتٍ معروفةٍ بالفعل، أو يُمكن استنتاج وجودها من السجلات الموجودة، أو التي نعرف وجودها لأنّها كانت مُفهرسةً في المكتبات الملكية أو الدينية.

كانت "أسرار الآلهة" تُكشف في قصص بطولية مثل ملحمة جلجامش، التي تُفصّل النقاشات بين الآلهة التي أفضت في النهاية إلى قرار إهلاك البشرية بالطوفان؛ وكذلك في نص يُدعى "اربعين إلهاً"، الذي يصف جحافل الأنوناكي وهم يعملون في مناجم الذهب، مما أدى في النهاية إلى خلق العمال الأوائل، سكان الأرض. وفي بعض الأحيان، كان قادة رواد الفضاء أنفسهم يظهرون كمؤلفين لنصوص مكتوبة: فبعضهم أملى نصوصه على كاتب مُختار، كما في ملحمة إيرا، حيث حاول أحد الإلهين اللذين تسببا في الكارثة النووية إلقاء اللوم على خصمه (أنكي وأنليل). وكتب آلهة آخرون نصوصهم بأنفسهم، ومنهم كاتب (كتاب البرّ) الذي دوّن أسرار العبور الى العوالم عند الشمسانيين والآدانيين في سومر وبابل .

في حالتين على الأقل، يمكن الاستدلال على وجود كتب قديمة، يبدأ الفصل الخامس من سفر التكوين بعبارة: "هذا هو كتاب توليدوت آدم". يُترجم مصطلح توليدوت عادةً إلى "أجيال"، ولكنه يعني بدقة أكبر "سجل تاريخي أو نسبي". أما الحالة الأخرى فتظهر في الفصل السادس من سفر التكوين، حيث وُصفت أحداث نوح والطوفان بعبارة: "هذه هي توليدوت نوح". في الواقع، نجت نسخ جزئية من كتاب عُرف لاحقًا باسم كتاب آدم وحواء عبر آلاف السنين في اللغات الأرمنية والسلافية والسريانية والإثيوبية. ويحتوي كتاب أخنوخ (أحد الكتب المنحولة، التي لم تُدرج في الكتاب المقدس القانوني) على أجزاء يعتبرها الباحثون شظايا من كتاب نوح أقدم بكثير.

ومن الأمثلة التي تُستشهد بها كثيرًا على المدى الحقيقي للمعرفة المفقودة مكتبة الإسكندرية الشهيرة في مصر. أسسها الجنرال بطليموس بعد وفاة الإسكندر الأكبر عام 323 قبل الميلاد، وكان من المفترض أن تضم أكثر من نصف مليون مجلد كتب ونقوش أخرى مكتوبة بأشكال متنوعة وعلى مواد مختلفة كالطين والحجر والبردي والرق. هذه المكتبة العظيمة، التي كان يجتمع فيها العلماء لدراسة المعارف المتراكمة فيها، أُحرقت ودُمرت نتيجة حروب دارت رحاها عام 48 قبل الميلاد، واستمرت من القرن السادس قبل الميلاد حتى الفتح العربي عام 642 ميلادي. ومن بين كنوز المكتبة، نجت ترجمة الأسفار الخمسة الأولى من التوراة العبرية إلى اليونانية، بالإضافة إلى شذرات من كتابات بعض العلماء الذين أقاموا فيها بشكل دائم، وسبقها تدمير مكتبات بابل وآشوربانيبال اللتان كانتا تضمان ملاين المخطوطات عن العلوم النوعية في العالم القديم ولم يكن يرغب من وقف خلف تدميرها من أن تصل يد البشر الى تلك العلوم .

وربما يسأل أحدنا وما هي تلك العلوم المحرّمة التي تم طمرها الى الأبد كي لا تصل ليد البشر ؟

حسناً . تلك العلوم كانت تدعى كوزمولوجيا الوجود والتي كانت تضم كل العلوم في سلة واحدة وتقود البشر الى حجر الفلاسفة وأكسير الخلود والتمتع بفسلجة جسدية شبيهة بالآلهة ، دماء من مياه الألماس وقلب من ستة خيوط ذهبية وآلية أوكسجين أحادي الذرة لربط الأجزاء وتعميق التفكير يعتمد على أشعة قادمة من الطيف الكهرومغناطيسي للشمس ومعها طاقة الآراغون التي تمد الكائنات بالخلود إذا ما حافظوا على نسق عمل هذه الآلية ، فهم لا يأكلون أو يشربون أو يطلقون هواء من مؤخراتهم أو يطرحوا فضلات بل يعتمدون على آلية آثيرية للعيش لا يوجد فيها أجهزة فسلجية كالتي موجودة عندنا ، وبما أن العلوم أتاحت لنا هذه الآلية فهي غير محرّمة لكنهم منعونا من الوصول اليها طالما نمتلك عقلاً يفكر فإننا أصبحنا جزءاً من معادلات الكون شاءت الآلهة التي فتحت كوكبنا أم أبت فمستقبلنا في النور والترقي فيه مثلما سلكوا هم الطريق فنحن سائرون على نفس الطريق ..

كان قائد أول مجموعة من رواد الفضاء الذين هبطوا على الأرض شاهد عيان على الأحداث المذكورة، بل ومشاركًا بارزًا فيها. في ذلك الوقت، كان يُلقب بـ "إيا"، أي "صاحب الماء". وقد شعر بخيبة أمل كبيرة عندما أُسندت قيادة مهمة الأرض إلى أخيه غير الشقيق ومنافسه، "إنليل" ("سيد المهمة"). لم يُخفف من وطأة هذا الإذلال لقب "إنكي"، أي "سيد الأرض"، الذي مُنح له. بعد أن نُفي من مدن الآلهة وميناءهم الفضائي في "آدان" ("عدن") للإشراف على استخراج الذهب في "أبزو" (جنوب شرق أفريقيا)، كان "إيا/إنكي"، العالم العظيم، أول من التقى بأشباه البشر في تلك المنطقة (القرد والغوريلا). عندما ثار الأنوناكي الذين يعملون في مناجم الذهب وصرخوا "كفى!"، أدرك هو أن القوة العاملة اللازمة يُمكن توفيرها من خلال إحداث قفزة نوعية في التطور الأرضي عبر التلاعب الجيني. وهكذا وُجد آدم (حرفيًا: "هو من الأرض"، أي الإنسان الأرضي). لكن كونه هجينًا، لم يستطع آدم التكاثر، وتشهد الأحداث التي تعكسها قصة آدم وحواء في الكتاب المقدس على التلاعب الجيني الثاني الذي قام به إنكي، والذي أضاف الكروموسومات والجينات الإضافية اللازمة لتمكين آدم من التكاثر الجنسي. وعندما تكاثرت البشرية لكنها لم تتطور كما هو مُخطط لها، كان هو، إنكي، من عارض خطة أخيه إنليل لإهلاك البشرية في الطوفان. هذه هي تلك الأحداث التي يُدعى بطلها نوحًا في الكتاب المقدس، وزيوسودرا في النصوص السومرية الأصلية.

كان إيا/إنكي، الابن البكر لحاكم نيبيرو، آنو، مُلِمًّا بشؤون كوكبه (نيبيرو) وسكانه، فضلًا عن تاريخهم. وقد ورّث هذا العالم المُحنّك أهمّ رؤى العلوم المتقدمة للأنوناكي، في المقام الأول، لابنيه مردوخ ونينجشزيدا (المعروفين في مصر باسم رع وتحوت). كما ساهم في نشر جوانب مُحدّدة من المعرفة المُتقدّمة بين البشر من خلال تعليم "أسرار الآلهة" لأفراد مُختارين. وفي حالتين على الأقل، نقل هؤلاء المُتعلّمون التعاليم الإلهية (كما أُمروا) كإرث للبشرية. ومن بينهم، أدابا، الذي يُفترض أنه ابن إنكي وامرأة بشرية، وهو مؤلف كتاب بعنوان "كتابات الزمن"، وهو عمل يُعتبر من أقدم الكتب المفقودة. كان المبتدئ الآخر يُدعى إنميدورانكي، ويُرجّح أنه كان النموذج الأولي لإينوخ التوراتي، الذي صعد إلى السماء بعد أن أوكل إلى أبنائه كتاب الأسرار السماوية، والذي نجت منه نسخة غير واردة في الكتاب المقدس، وهي كتاب إينوخ. مع أن أنوس كان البكر، إلا أنه لم يُقدّر له أن يخلف والده على عرش نيبيرو. فقد منحت قواعد الخلافة المعقدة، التي عكست تاريخ النيبيرويين المتشعب، هذا الامتياز لأخ إنكي غير الشقيق، إنليل. وفي محاولة

لحل هذا الصراع المرير، وجد إنكي وإنليل نفسيهما معًا ذات يوم في مهمة إلى كوكب غريب، هو الأرض، حيث كان ذهبها ضروريًا لإنشاء درع واقٍ للحفاظ على غلاف نيبيرو الجوي المتضائل. وفي ظل هذه الخلفية، التي زادت تعقيدًا بوجود أختهما غير الشقيقة نينهارساج (رئيسة نظام الرعاية الصحية للأنوناكي) على الأرض، عزم إنكي على معارضة خطة إنليل لإبادة البشرية في الطوفان.

استمر الصراع بين أبناء الأخوين غير الشقيقين، بل وحتى بين أحفادهم. ومما زاد من معاناتهم، ولا سيما من وُلدوا على الأرض، قصر أعمارهم (نتيجة مدار نيبيرو الشاسع)، فاقم من معاناتهم الشخصية وأجّج التنافس على السلطة. بلغت هذه الأحداث ذروتها في القرن الأخير من الألفية الثالثة قبل الميلاد، حين ادّعى مردوخ، الابن البكر لإنكي من زوجته الرسمية، أحقيته في وراثة الأرض، لا نينورتا، الابن البكر لإنليل. وأدى هذا النزاع المرير، الذي أشعل فتيل سلسلة من الحروب، إلى استخدام الأسلحة النووية. وكانت النتيجة الحتمية، وإن كانت غير مقصودة، سقوط الحضارة السومرية.

وشكّل انضمام أفراد مختارين من البشر إلى "أسرار الآلهة" بدايةً للكهنوت (رجال الدين)، سلالة الوسطاء بين الآلهة والبشر، ناقلي الكلمات الإلهية إلى سكان الأرض. كانت النبوءات، أي تفسيرات الأقوال الإلهية، متداخلة مع مراقبة السماء بحثًا عن الدلالات. ومع ازدياد اضطرار البشرية للانحياز لأحد طرفي النزاع بين الآلهة، حانت ساعة النبوءة. في الواقع، كان يُطلق على هؤلاء المتحدثين باسم الآلهة، الذين تنبأوا بالمجيء، اسم نبي، وهو لقب نابو، الابن البكر لمردوخ، الذي حاول، باسم والده المنفي، إقناع البشرية بأن العلامات السماوية تشهد على سيادة مردوخ المستقبلية. أدت هذه التطورات إلى إدراك ضرورة التمييز بوضوح بين القدر والمصير عند النظر في مفهوم المصير. أصبحت أقوال إنليل، وأحيانًا أقوال آنو أيضًا، التي كانت تُقبل دون نقاش، موضع تدقيق فيما يتعلق بالتمييز بين "نام" (مصيرٌ كالمدارات الكوكبية المحسوبة، مُحددٌ سلفًا وثابت) و"نامتار" (مصيرٌ قابلٌ للتأثير أو التغيير أو التعديل). عند استذكار مسار الأحداث على نيبيرو والأرض، انشغل إنكي وإنليل بالسؤال الفلسفي حول ما حدث بالفعل وفقًا للقدر ولا يمكن تغييره، وما كان مجرد نتيجة لتقلبات مؤسفة في الأحداث (وبالتالي هو نتيجة قرارات صائبة أو خاطئة وخاضعٌ للإرادة الحرة). لم يكن بالإمكان التنبؤ بالآخر، بينما كان الأول قابلًا للتوقع... خاصةً إذا كان كل شيء كالمدارات الكوكبية دوريًا، وإذا كان ما كان سيعود، وإذا كانت البدايات هي الغايات.

أدت الآثار المناخية للدمار النووي إلى تفاقم المعضلة الأخلاقية لدى قادة الأنوناكي، وأجبرتهم عمليًا على تقديم تفسير للبشر الذين عانوا طويلًا عن سبب وقوع كل هذه الأحداث المروعة. هل كان كل هذا قدرًا محتومًا أم كارثة من صنع الأنوناكي؟ هل يتحمل أحد المسؤولية؟ هل يمكن محاسبة أحد؟

ربما من يطلع على ترجمة الألواح هذه يدرك لماذا طلب أنليل من الآدانيين في سومر والشمسانيين في بابل من الإنتقال الى مناطق آشور والإحتماء بها لأن الإشعاع لن يصل اليها بأي شكل من الأشكال ، فقد كان أقصى مدى وصله الإشعاع جبال حمرين التي تحولت من جبال خضراء مليئة بالصنوبر الى جبال محروقة وخالية من الحياة ..

لقد كانت المركَة ولالش خطاً أحمراً لا يمكن الإقتراب اليه في الحرب الدائرة بين الأخوة ، في اجتماعات مجلس الأنوناكي عشية الكارثة، وقف إنكي وحيدًا رافضًا استخدام الأسلحة المحرمة. ولذلك، حرص لاحقًا على شرح ما تبقى من البشرية البائسة والمعاناة، وكيف جرت الأمور التي أدت إلى نقطة التحول في أسطورة الكائنات الفضائية التي كانت نواياها حسنة، لكنها انتهت إلى الدمار. ومن غير إيا/إنكي، الذي وصل أولًا وشهد كل الأحداث، كان قادرًا على الحديث عن الماضي بهذه الطريقة التي تتنبأ بالمستقبل؟ وكانت أفضل طريقة لتسجيل كل هذه المعلومات هي رواية إنكي الشخصية، المكتوبة بضمير المتكلم. من المؤكد أن إنكي قد دوّن سيرته الذاتية؛ إذ يقتبس نص طويل عُثر عليه في مكتبة نيبور (يمتد على اثني عشر لوحًا على الأقل) كلماته:

عندما اقتربت من الأرض، حدثت فيضانات عظيمة.

عندما وصلت إلى مروجها الخضراء، تراكمت الأسوار الترابية والأكوام بأمري.

بنيت بيتي في مكان صافٍ وأطلقت عليه اسماً مناسباً.

يصف النص المطوّل كيف وزّع إيا/إنكي المهام على قادته، مُطلقًا بذلك مهمة الأرض.

وتُكمّل روايته كتاباتٌ أخرى لا تُحصى تتناول جوانبَ مُتنوّعة من دور إنكي في التطورات اللاحقة، إذ تحتوي هذه الكتابات على نشأة الكون وملحمة الخلق، وفي جوهرها نصّ إنكي نفسه، سفر نشأة إريدو. كما تتضمن الكتابات أوصافًا دقيقة لخلق آدم. وتروي كيف أتى أنوناكي آخرون، ذكورًا وإناثًا، إلى إنكي في مدينته إريدو لتلقّي "الـ ميّ " وهو نوع من قرص البيانات الذي يحوي معلومات مُشفّرة عن الحضارة ،كما تروي حياة إنكي الخاصة ومشاكله الشخصية، مثل سعيه لإنجاب ابن من أخته غير الشقيقة نينهارساج، وعلاقاته العابرة مع الآلهة وبنات البشر، وعواقبها غير المتوقعة. يُلقي نص أتراهاسيس الضوء على جهود آنو لمنع عودة التنافس بين إنكي وإنليل بتقسيم الأرض إلى مملكتين. وتحتوي سجلات الأحداث التي سبقت الطوفان العظيم على نصوصٍ شبه حرفية للمناقشات التي دارت في مجلس الآلهة حول مصير البشرية ونجاة إنكي، والمعروفة بقصة نوح والسفينة. وقد ظلت هذه الرواية معروفة لفترة طويلة من خلال الكتاب المقدس فقط، إلى أن تم اكتشاف إحدى نسخها الأصلية في بلاد ما بين النهرين على ألواح ملحمة جلجامش. وتُشكّل الألواح السومرية والأكادية، ومكتبات المعابد البابلية والآشورية، وما يُسمى بالأساطير المصرية والحثية والكنعانية، جزءًا أساسيًا من السجلات المكتوبة لشؤون الآلهة والبشر. وهي عبارة عن مذكرات شخصية ونبوءات ثاقبة لإله من خارج كوكب الأرض.

في دراسته للماضي، أدرك إنكي المستقبل. فكرة أن الأنوناكي، بممارستهم لإرادتهم الحرة، كانوا سادة مصيرهم (ومصير البشر)، تلاشت في نهاية المطاف أمام إدراك أن القدر المحتوم هو الذي يُحدد مسار كل شيء. كما أدرك كهنة سومر البدايات ستكون آخر الأشياء. إذن، يُعدّ تدوين الأحداث، الذي أملاه إنكي، أساس النبوءة، ويتحول الماضي إلى مستقبل.

في السنة السابعة، الشهر الثاني، اليوم السابع عشر بعد الكارثة العظمى، استدعاني سيدي، الرب إنكي، الإله العظيم، خالق البشرية الرحيم، القدير والخير. كنتُ من بين الناجين من إريدو الذين فروا إلى السهوب القاحلة عندما اقتربت الريح الشريرة من المدينة. وانطلقتُ إلى البرية باحثًا عن أغصان ذابلة لإشعال النار. رفعتُ بصري، وإذا بي أرى زوبعة تقترب من الجنوب. يحيط بها وهج محمر، ولم تُصدر صوتًا. عندما لامس الكائن الأرض، امتدت من جسده أربع أرجل مستقيمة، وانطفأ الوهج. تواضعتُ، وألقيتُ بنفسي على الأرض، لأني أدركتُ: إنها رؤية إلهية! عندما رفعتُ عينيّ ثانيةً، رأيتُ رسولين إلهيين يقفان بالقرب. كانت لهما وجوه بشرية، وثيابهما تلمع كالبرونز المصقول. نادوني باسمي وقالوا لي: "لقد دعاك السيد العظيم، الإله إنكي. لا تخف، فأنت مبارك. لقد جئنا لنحملك إلى ملجأه في أرض ماجان، إلى الجزيرة الواقعة في وسط نهر ماجان، حيث توجد الأهوسة." وبينما هم يتحدثون، ارتفعت العاصفة كعربة متوهجة واختفت. أمسكوا بيدي، كل واحد منهم ممسك بيد واحدة. رفعوني وحملوني بسرعة، كما يحلق النسر، بين الأرض والسماء. رأيت الأرض والماء، والسهول والجبال. أنزلوني على الجزيرة عند بوابة مسكن الإله العظيم. عندما تركوا يدي، غمرني نور لم أرَ مثله من قبل، وسقطت على الأرض كما لو أن أنفاس الحياة قد فارقت جسدي.

لم تعد إليّ حواسي إلا عندما أيقظني نداء اسمي من أعمق نوم. وجدتُ نفسي في مكانٍ غريبٍ أشبه بسياج. كان مُظلمًا، لكنني شعرتُ بهالةٍ تُحيط بي. نُوديَ باسمي مرةً أخرى، بصوتٍ عميقٍ جدًا. ورغم أنني سمعتُه، لم أستطع تحديد مصدره، ولم أرَ من نطق به. فأجبتُ: "ها أنا ذا."

ثم خاطبني الصوت قائلًا: "إندوبسار، يا سليل أدابا، لقد اخترتُك لتكون كاتبي، لتكتب كلماتي على الألواح".

فجأةً، ظهر ضوءٌ في أحد أركان الغرفة، فرأيتُ مكان عمل الكاتب: مكتبٌ وكرسي، وعلى المكتب أحجارٌ مصقولةٌ بدقة. لكنني لم أجد ألواحًا طينيةً ولا أوعيةً من الطين الرطب. ومع ذلك، كان على المكتب قلم رصاصٍ وحيد، وقد أضاء في هذا الضوء بشكلٍ لم يسبق له مثيل.

ارتفع الصوت مجددًا وقال: "إندوبسار، ابن مدينة إريدو، خادمي الأمين. أنا سيدك إنكي. لقد استدعيتك لتدوين كلماتي، فأنا قلق للغاية مما حلّ بالبشرية جراء الكارثة العظيمة. أرغب في تسجيل مجريات الأحداث الحقيقية، لأُعلم الآلهة والبشر على حد سواء: يداي نظيفتان. فمنذ الطوفان، لم تحلّ كارثة مماثلة بالأرض، ولا بالآلهة، ولا بالبشر. ومع ذلك، فبينما كان الطوفان العظيم حتميًا، فإن الأمر ليس كذلك بالنسبة للكارثة العظيمة التي حدثت مؤخرًا. سبع سنوات فقط... ما كان ينبغي أن تحدث. كان من الممكن تجنبها. وأنا، إنكي، بذلت قصارى جهدي... ولكن عبثًا. فهل كان ذلك قضاءً وقدرًا أم عدلًا؟ في المستقبل، سيُجرى الحساب، ففي نهاية كل يوم يوم القيامة."

في ذلك اليوم سترتجف الأرض، وستغير الأنهار مجاريها، وسيسود الظلام نهارًا، ونار في السماء ليلًا، سيكون يوم عودة الآلهة السماوية. من سينجو، ومن سيهلك، ومن سيُكافأ، ومن سيُعاقب. الآلهة والبشر على حد سواء. في ذلك اليوم سيُحاسبون. سيُحدد ما سيزول وما زال، وما قُدِّر سيتكرر بلا نهاية، وما رُغب فيه. سيصدر الحكم على ذلك، خيرًا كان أم شرًا. انقطع الصوت، ثم تكلم السيد العظيم مرة أخرى: "لهذا السبب أقدم لكم بأمانة سردًا عن البداية والأزمنة القديمة، لأن المستقبل مخفي في الماضي. لمدة أربعين يومًا وأربعين ليلة سأتكلم، وأنتم ستكتبون، أربعون يومًا وليلة سيكون عدد أيام وليالي مهمتكم هنا،لأن الأربعين هو رقمي المقدس عند الآلهة. لمدة أربعين يومًا وليلة،لن تأكلوا ولن تشربوا، ستتناول الخبز والماء مرة واحدة فقط، لكن هذا سيكفيك طوال مدة مهمتك.

توقف الصوت للحظة، وفجأة ظهر نور في ركن آخر من الغرفة. فرأيت طاولة، وعليها طبق وكوب. ذهبتُ إلى هناك، فوجدتُ الخبز في الطبق والماء في الكوب.ثم عاد صوت الإله العظيم إنكي وقال: "يا إندوبسار، كُل الخبز واشرب الماء، وسيكفيك هذا أربعين يومًا وأربعين ليلة". ففعلتُ كما أُمرت، وبعد ذلك أمرني الصوت بالجلوس إلى طاولة الكتابة، بينما ازداد النور هناك سطوعًا. لم أجد بابًا ولا مدخلًا إلى الغرفة التي كنتُ فيها. ومع ذلك، كان النور ساطعًا كالشمس في وضح النهار.

ثم سألني الصوت: "يا إندوبسار، أيها الكاتب، ماذا ترى؟" نظرت حولي فرأيت الإشراق على الطاولة والأحجار والقلم، وقلت: "أرى لوحاً حجرياً، ولونه أزرق نقي كالسماء. أرى قلماً لم أرَ مثله من قبل، ساقه لا تشبه القصبة، ورأسه على شكل مخلب نسر."

الصوت: "هذه هي الألواح التي ستنقش عليها كلماتي. بناءً على طلبي، صُنعت من أجود أنواع اللازورد، لكل منها وجهان ناعمان. والقلم الذي أمامك من صنع إله، مقبضه من الإلكتروم (الذهب والفضة) ورأسه من بلورة سماوية. سيستقر في يدك بثبات، وما تكتبه سينساب بسلاسة كما لو كان على طين رطب. ستنقش في عمودين وجه كل لوح وظهره. لا تحِد أبدًا عن كلماتي وتعليقاتي!" ساد سكون، ولمست أحد الأحجار؛ كان سطحه ناعمًا كالبشرة الرقيقة. أمسكت بالقلم المقدس، واستقر في يدي كأنه ريشة.ثم بدأ الإله العظيم إنكي يتحدث، فدوّنت كلماته كلمة كلمة وهو ينطقها. كان صوته أحيانًا قويًا، وأحيانًا أخرى بالكاد يُسمع. كان صوته أحيانًا يفيض بالفرح أو الفخر، وأحيانًا بالألم والحزن. ما إن يمتلئ وجه لوح حتى أتناول اللوح التالي لأكمل.

عندما نطق الإله العظيم بالكلمات الأخيرة، صمت، وسمعتُ تنهيدةً. ثم قال: "يا إندوبسار، يا خادمي، لقد دوّنتَ كلماتي بأمانةٍ طوال أربعين يومًا وليلة. لقد أتممتَ مهمتك الآن. خذ الآن لوحًا آخر وسجّل شهادتك عليه. اختمه كشاهدٍ وضعْه مع الألواح الأخرى في الصندوق الإلهي. ففي وقتٍ مُحددٍ مُسبقًا، سيأتي المختارون إلى هنا ويكتشفون الصندوق والألواح، ويكتسبون معرفة كل ما أمليته عليك. سيُعرف هذا السرد الصادق للبداية، والأزمنة السابقة، والأزمنة القديمة، والكارثة العظيمة، في كل المستقبل بكلمات الرب إنكي." سيكون كتاب شهادةٍ عن الماضي وكتاب تنبؤٍ عن المستقبل. ففي المستقبل يكمن الماضي، والبدايات تُنبئ بالنهاية. ثم صمتَ قليلًا ، فأخذتُ الألواح ووضعتُها واحدًا تلو الآخر بالترتيب الصحيح في الصندوق. كان مصنوعًا من خشب السنط ومُزينًا بالذهب من الخارج.

قال صوت سيدي: "أغلق الصندوق وأحكم إغلاق بابه". ففعلتُ كما أُمرت.

بعد صمتٍ قصير، قال سيدي إنكي: "والآن إليك يا إندوبسار. لقد تحدثتَ مع إلهٍ عظيم، ورغم أنك لم تربي، فقد كنتَ في حضرتي. لذلك أنتَ مبارك، وستكون ناطقي باسمي أمام جميع الناس. ستحثّهم على الصلاح، ففيه يكمن سرّ الحياة الطيبة المديدة". ستُعزّيهم،

فبعد سبعين عامًا ستُجدّد المدن، وستنبت البذور من جديد.

سيكون هناك سلام، ومع ذلك ستكون هناك حروب. ستكتسب أممٌ جديدةٌ قوةً، وستقوم ممالكُ وتسقط. ستتنحّى الآلهة القديمة جانبًا، وستُحدّد آلهةٌ جديدةٌ مجرى الأحداث. ولكن في نهاية كل ثلاثة عشر يومًا، سينتصر القدر، وكلماتي السابقة تُنبئ بهذا المستقبل. «يا إندوبسار، ستخبر الناس بكل هذا.«

صمتٌ مطبق. انحنيتُ أنا، إندوبسار، وسألتُ: «لكن كيف لي أن أعرف ما أقول؟

أجابني صوتُ الرب إنكي: ستكون العلامات واضحةً في السماء، وستتدفق الكلمات منك في الأحلام والرؤى. بعدك، سيأتي أنبياءٌ آخرون مختارون». في النهاية، ستكون هناك أرضٌ جديدةٌ وسماءٌ جديدةٌ، ولن تكون هناك حاجةٌ إلى مزيدٍ من الأنبياء.

ثم ساد الصمت، واختفت الهالة. فارقتني الروح الإلهية. عندما استعدتُ وعيي، وجدتُ نفسي في الحقول خارج إريدو.

ختم إندوبسار، الكاتب الأول

نحن البشر في العصر الحديث قد لا يروق لنا قراءة تكهنات من هذا النوع لأننا نعتقد أنه من خلال العلم الكمي الأكاديمي قد وصلنا لحل كل ألغاز الوجود بل حتى وصلنا لمرحلة نستطيع فيها وصف الخالق ، هكذا نخدع أنفسنا بعلوم أقل ما يقال عنها أنها محدودة بمحدودية تفكيرنا ، فنحن قد نثق في وصول امريكي أو غيره الى القمر والمريخ وهو كائن يأكل ويشرب ويطرح فضلات لكننا لا نثق في أن كائنات خالدة تمتلك وعياً كونياً أو إلهيا تستطيع الوصول الى كوكبنا !! هذه سخرية عقولنا ليس إلاّ !!

كلمات إنكي، بكر آنو ..

بحزنٍ عميق، أُقدّمُ رثاءً مريرًا يملأ قلبي.

ما أشدّ ويل هذه الأرض، أهلها فريسةً للريح العاتية، إسطبلاتها خاوية، وحظائر أغنامها مهجورة.

ما أشدّ ويل مدنها، أهلها متراكمون كأكوام الجثث، تطاردهم الريح العاتية.

ما أشدّ ضياع الأنهار، لا يسبح فيها شيء، مياهها النقية المتلألئة تحوّلت إلى سمّ!

خُلِيَت سومر من أهلها ذوي الرؤوس السوداء، هلكت الحياة فيها؛

خُلِبَت سومر من مواشيها وأغنامها، صمتَ خضاضات الزبدة.
في مدنها المجيدة، لا يعوي الآن إلا الريح؛ لا رائحة إلا للموت.
المعابد، التي امتدت أسوارها إلى السماء... هجرتها آلهتها.
اختفت المراسيم الإلهية والأرضية، كما اختفى الصولجان والتيجان.
على ضفاف النهرين العظيمين، اللذين كانا خصبين ينبضان بالحياة، لم يبقَ سوى الأعشاب الضارة.
لا تطأ قدمٌ الشوارع، ولا يسلك أحدٌ الدروب؛ سومر المزدهرة تُشبه أرضًا قاحلة مهجورة.
يا له من عقابٍ حل بهذه الأرض، موطن الآلهة والبشر!
حلت كارثة عظيمة على الأرض، لم يعرفها البشر من قبل.
كارثة لم يشهدها البشر قط، ولم يستطيعوا مقاومتها.
في جميع الأراضي، من الغرب إلى الشرق، امتدت يد الرعب المدمرة.
كانت الآلهة في مدنها عاجزة كالبشر.
هبت ريح شريرة من سهل بعيد، فجلبت الكارثة العظمى في طريقها.
هبت ريح قاتلة من الغرب، واتجهت شرقًا، ومسارها محكوم عليه بالهلاك.
عاصفةٌ مُدمِّرةٌ كالطوفان، مُدمِّرةٌ بالريح لا بالماء؛
مُغْرِقةٌ بهواءٍ مُسْتَمَعٍ لا بأمواجٍ عاتية.
كانت الكارثةُ، لا القدر، هي الأصل؛ الآلهةُ العظامُ في مجلسِهم تسببوا في الكارثةِ العظمى.
سمحَ بذلك إنليل ونينهارساج؛ أنا وحدي توسلتُ لإنهاءها.
ناشدتُ ليلًا ونهارًا أن أخضعَ للسماء، ولكن عبثًا!
أطلق نينورتا، ابن إنليل المحارب، ونيرغال، ابني، الأسلحة السامة على السهل العظيم.
يصرخون الآن في عذابٍ لا يُطاق: "أن ريحًا شريرة ستتبع البرق... لم نكن نعلم"!
يندب الآلهة الآن: "أن العاصفة المميتة، التي ولدت من الغرب، اتجهت شرقًا... من كان ليتوقع ذلك"!
في مدنهم المقدسة، وقفوا في ذهولٍ وهم يرون الريح الشريرة تشق طريقها إلى سومر.
فرّ إلهٌ تلو الآخر من مدينته، تاركًا معابده للريح.
في مدينتي إريدو، مع اقتراب السحابة السامة، لم أكن أملك ما يوقفها.
أمرتُ الناس: "انجوا إلى السهوب المفتوحة!"، وغادرتُ المدينة مع زوجتي نينكي.
في مدينته نيبور، مكان العهد بين السماء والأرض، لم يستطع إنليل أن يفعل شيئًا.
هبت الريح الشريرة على نيبور. في مركبهم السماوي، فرّ إنليل وزوجته.
في أور، مدينة سومر، عاصمة المملكة، استغاث نانار بأبيه إنليل.
عند موقع المعبد الذي ارتفع إلى السماء في سبع درجات، تحدّى نانار القدر.

" أبي الذي أنجبني، يا إلهي العظيم الذي أنعمتَ على أور بالملك، أبعد عنا الريح الشريرة!" تضرّع نانار. "يا إلهي العظيم، يا من تُقدّر الأقدار، ارحم أور وأهلها، لنحمدك!" تضرّع نانار.

أجاب إنليل ابنه نانار: "يا بني الكريم، يا من مُنحت مدينتك العظيمة الملك: لم يكن الحكم الأبدي مضمونًا"!

خذ زوجتك نينغال، واهرب من المدينة! حتى أنا، مُقدّر الأقدار، لا أستطيع تغيير مصيره!

هكذا قال إنليل يا أخي،ولكن يا للأسف، لم يكن هذا قدرًا محتومًا!

لم تكن هناك كارثة أعظم منذ أن حلّ الطوفان بالآلهة والبشر؛ يا للأسف، لم يكن هذا قدرًا محتومًا!

لم تكن هناك كارثة أعظم منذ الطوفان الذي حلّ بالآلهة والبشر؛ يا للأسف، لم يكن هذا قدرًا محتومًا! كان الطوفان العظيم قدراً محتوماً، أما كارثة العاصفة المدمرة فلم تكن كذلك.

لقد كان سببها نقض العهد، وقرار المجلس، وأسلحة الرعب!

بقرارٍ لا قدر، أُطلقت الأسلحة السامة؛ وبالتدبر، أُجريت القرعة.

على مردوخ، ابني البكر، ألقى الابنان الدمار، كان الانتقام يملأ قلوبهما.

لا يجوز لمردوخ أن يستولي على السلطة!" صاح إنليل البكر. "سأواجهه بالسلاح"، أجاب نينورتا. "لقد شكّل جيشًا من الرجال ليُعلن بابل سرة الأرض!" صاح نيرغال، شقيق مردوخ. انتشرت الكلمات المسمومة في مجلس الآلهة العظام. رفعت صوتي ليلًا ونهارًا، نصحتُ بالسلام، ورفضتُ الكراهية. "للمرة الثانية، يُعظّم البشر صورته السماوية، فلماذا يُعارضونها؟" توسّلتُ. "هل جُرّبت جميع الأدوات؟ ألم يبدأ عهد مردوخ في السماء؟" أصررتُ. "أشار نينجيشزيدا، ابني، إلى دلائل أخرى من السماء، كنتُ أعلم: لن يغفر قلبه أبدًا ظلم مردوخ".

كان نانار، ابن إنليل على الأرض، لا يقلّ إصرارًا.

لقد أعلن مردوخ معبدي في المدينة الشمالية مقرّ إقامته!

هكذا قال.

طالب إيشكور، أصغر أبناء إنليل، بالعقاب: لقد أجبر الناس في بلادي على عبادة أصنام أجنبية!

هكذا قال.

وجه أوتو، ابن نانار، غضبه نحو نابو، ابن مردوخ: لقد أراد غزو مكان المركبات السماوية!

كانت إنانا، توأم أوتو، غاضبة من كل شيء، وطالبت بمعاقبة مردوخ لقتله حبيبها تموز .

نينهارساج، أم الآلهة والبشر... شردت بنظرها. لماذا ليس مردوخ هنا؟

سألت بإلحاح.

أجاب جيبيل، ابني، بصرامة: لقد رفض كل التوسلات، بعلامات السماء، يدّعي السيادة!

صرخ نينورتا، الابن البكر لإنليل: "لا يمكن إيقاف مردوخ إلا بالقوة المسلحة"!

كان أوتو قلقًا بشأن حماية مكان المركبات السماوية؛ حذّر قائلًا: "يجب ألا تقع هذه الأسلحة في أيدي مردوخ أبدًا"!

طالب نيرغال، سيد العالم السفلي، بنبرة حادة: "لنستخدم أسلحة الرعب القديمة لتدميرنا"!

نظرتُ إلى ابني في ذهول: لقد نُبذ استخدام هذه الأسلحة الرهيبة في قتال الإخوة!

بدلًا من الموافقة، ساد الصمت.

في غمرة الصمت، بدأ إنليل بالكلام: "لا بد من إنزال العقاب، سيصبح الأشرار كالطيور بلا أجنحة".

"يسلبنا مردوخ ونابو ميراثنا، فليسلبونا مكان المراكب السماوية"!

صرخ نينورتا: "ليُحرق هذا المكان حتى يندثر! دعوني أكون من يُحرقه!"

نهض نيرغال بحماس وصاح: "لنُغرق مدن الأشرار في الفوضى! دعوني أُبيد مدن الآثمين، فليكن اسمي المُدمِّر! يجب ألا يُصيب سكان الأرض الذين خلقناهم مكروه، يجب ألا يهلك الصالحون مع الآثمين!" قلتُ ذلك بجدية. وافق نينهارساج، مساعدي في الخلق، قائلاً: "هذا الأمر يُحسم بين الآلهة فقط، يجب ألا يُصيب البشر مكروه." من مسكنه السماوي، أنصت أنو باهتمام بالغ إلى النقاشات. قال أنو، مُقَدِّر الأقدار: "لنستخدم أسلحة الرعب هذه المرة، لنُبيد سفن الفضاء، ولنُنجي البشر".

"ليكن نينورتا هو المُحرق، وليكن نيرغال هو المُدمِّر!"، أعلن إنليل القرار.

"سأكشف لهم سرًّا من أسرار الآلهة، سأكشف لهم مخبأ أسلحة الرعب".

استدعى إنليل ابنيه، أحدهما لي والآخر له، إلى حجرته.

أشاح بنظره حين مرّ نيرغال من أمامي.

صرختُ في صمت: يا ويلي! انقلب الأخ على أخيه!

هل يُكتب على الأزمنة الغابرة أن تُعاد؟

كشف إنليل لهما سرًا من أسرار العصور القديمة حين أوكل إليهما أسلحة الرعب.

مُحاطين بالرعب، مُشعّين ببريقٍ مُرعب، انطلقوا.

كل ما يلمسونه يتحول إلى غبار.

أقسموا على خدمتهم، أخٌ ضد أخ على الأرض، لا ينبغي أن تُعاني أرضٌ بسبب ذلك.

والآن نُقض القسم، كإناءٍ مُحطّم إلى قطعٍ لا قيمة لها.

خرج الابنان، في حالةٍ من التهور، مسرعين من حجرة إنليل، وانطلقا حاملين السلاح.

عاد الآلهة الآخرون إلى أماكنهم؛ لم يُدرك أحدٌ مصيرهم المحتوم!

ربما تشكل هذه السطور شيئاً بسيطاً من الحقيقة الحيّة التي عاشها كوكبنا في الماضي البعيد ، وتحكم كل من القدر والمصير بتفاصيل كثيرة غيرت وجه الحياة عليه ودفعت كائنات للإختفاء وأخرى للظهور على المشهد ، لذلك تشكل عملية الخلق والنشوء في الأدب السومري نمطاً من العلوم النوعية التي لا يمكن نشرها في العلم الأكاديمي لأنها ستقوّض أسسه الكمية من جذورها ..

تمثل اللقاءات الإلهية أسمى تجارب الإنسان، وأقصى ما يمكن بلوغه في الحياة. كان هذا حال حمورابي وملوك سومر، وكذلك حال الفراعنة المصريين الذين آمنوا بالحياة الأبدية بعد الموت، إذ اتسم اللقاء الإلهي لديهم بطابع الأسمى والنهائي والخاتمة. ولذلك، سعوا جاهدين للوصول إلى الآلهة في مقامهم المقدس. إن تجربة الإنسان مع اللقاءات الإلهية، كما وردت في كتابات ونصوص الشرق الأدنى القديم، ملحمةٌ آسرةٌ ومذهلة. هذا اللقاء دراما عظيمة تشمل السماء والأرض، وتتضمن العبادة والتقوى، والخلود والفناء من جهة، والحب والجنس والغيرة والقتل من جهة أخرى، صعودًا إلى الفضاء ورحلات إلى العالم السفلي. مسرحٌ أبطاله آلهةٌ وملائكةٌ وأنصاف آلهة، بشرٌ وآلات؛ دراما تُعبَّر عنها في النبوءات والرؤى، في الأحلام والفأل والوحي والإلهام. إنها قصة الإنسان، المنفصل عن خالقه، الساعي إلى استعادة صلة الرحم الأولى، والمتطلع إلى النجوم. تمثل اللقاءات الإلهية أسمى تجربة إنسانية، لأنها كانت أيضًا أولى تجارب الإنسان.

كانت سومر الأرض التي نشأت فيها أول حضارة معروفة وموثقة بالكامل بعد الطوفان، والتي ظهرت فجأة قبل حوالي 6000 عام. وقد منحت البشرية تقريبًا كل ما هو جديد في كل ما كان مهمًا لحضارة متطورة ليس فقط صناعة المعادن والأحجار العملاقة، بل أيضًا المعابد والقصور الشاهقة، والكهنة والملوك الأوائل والعجلة، والفرن، والأدوية والصيدلة، والموسيقيين والراقصين الأوائل، والفنانين والحرفيين، والتجار وقادة القوافل، والنصوص القانونية والقضاة، والأوزان والمقاييس. كما وُجد فيها أول علماء الفلك والمراصد، وأول علماء الرياضيات. ولعل الأهم من كل ذلك: أنه في وقت مبكر من عام 3800 قبل الميلاد، كانت سومر قد طورت حضارتها القديمة. بدأ التدوين هناك حوالي عام 500 قبل الميلاد، مما جعل سومر موطنًا لأول الكُتّاب الذين دوّنوا أروع قصص الآلهة والبشر (مثل لوح "خلق الإنسان"، الشكل 1) على ألواح طينية بالخط المسماري.

ويجب هنا أن نميّز بين سومر قبل الطوفان (المملكة الآدانية) وسومر بعد الطوفان ، يعتبر 9 من الباحثين هذه النصوص القديمة حقائق نوعية. أما نحن، فنعتقد أنها سجلات لأحداث وقعت بالفعل.

لم تؤكد معاول علماء الآثار وجود سومر فحسب ، بل كشفت أيضًا عن كتابات ما قبل التاريخ من بلاد ما بين النهرين تُشبه قصص الخلق والطوفان البابلية. في عام 1876، قام جورجٌ سميث من المتحف البريطاني، بعد تجميع ألواح مكسورة عُثر عليها في المكتبة الملكية في نينوى (العاصمة الآشورية)، بنشر سفر التكوين الكلداني، مُثبتًا بما لا يدع مجالًا للشك أن قصة الخلق التوراتية كُتبت لأول مرة في بلاد ما بين النهرين قبل آلاف السنين.

في عام 1902، ل.و. نشر كينغ، وهو أيضاً من المتحف البريطاني، نصاً أكثر شمولاً باللغة البابلية القديمة في كتابه "ألواح الخلق السبعة"، الذي امتد على سبعة ألواح طينية لطوله وتفاصيله. تُعرف هذه الملحمة باسم "ملحمة الخلق"، أو "إنوما إليش" نسبةً إلى كلماتها الافتتاحية، وقد وصفت الألواح الستة الأولى خلق السماء والأرض وكل أشكال الحياة على الأرض، بما في ذلك البشر، مما يعكس "أيام" الخلق الستة في الكتاب المقدس. أما اللوح السابع فقد خُصص لتمجيد الإله البابلي الأعلى مردوخ وهو يتفقد عمله العظيم (على غرار "اليوم" السابع في الكتاب المقدس، الذي "استراح فيه الله من كل عمله الذي صنعه"). يعلم الباحثون الآن أن هذه الترجمات وغيرها في النسخ الآشورية

والبابلية كانت ترجمات لنصوص سومرية سابقة (معدلة لتكريم الآلهة الآشورية والبابلية العليا). وكما أوضح العالم الكبير صموئيل ن. كرامر ببراعة في كتابه الذي يحمل نفس الاسم عام 1959: تبدأ القصة في سومر.

بدأ كل شيء، كما نتعلم من نصوص مختلفة، منذ زمن بعيد

بوصول مجموعة من خمسين من الأنوناكي وهو مصطلح يعني حرفيًا

"القادمون من السماء إلى الأرض" إلى مياه الخليج العربي. بقيادة إيا . ("الذي موطنه الماء")، وهو عالم لامع، نزلوا إلى الشاطئ وأسسوا أول مستعمرة لكائنات فضائية على الأرض، أطلقوا عليها اسم إي. آر. آي.

دي يو ("البيت المبني في البعيد"). تبع ذلك إنشاء مستوطنات أخرى نتيجة لمهمة الزوار: الحصول على الذهب عن طريق ترشيح مياه الخليج العربي وهو الذهب الذي كان الأنوناكي في أمس الحاجة إليه على كوكبهم الأم حتى يتمكن من حماية غلافه الجوي المتقلص بدرع من جزيئات الذهب المذابة. ومع انتشار البعثة وبدء العمليات، حصل إي. إيه. على لقب إضافي ولقب إن. كي "سيد الأرض".

لكن الأمور لم تسر على ما يرام. لم يحصل الكوكب الأم (المسمى نيبيرو) على الذهب اللازم. فتقرر تغيير الخطط، وأصروا على طريقة استخراج الذهب الشاقة عن طريق التعدين في منطقة أبزو جنوب شرق أفريقيا. وصل المزيد من الأنوناكي إلى الأرض (بلغ عددهم في النهاية 600) بينما بقيت مجموعة أخرى، تُعرف باسم إيجي جي (الذين يراقبون ويبصرون)، في الفضاء، وأدارت خدمة نقل مكوكية وسفنًا فضائية ومحطات فضائية هناك (بلغ عددهم، وفقًا للنصوص السومرية، 300). ولضمان عدم وقوع أي أخطاء هذه المرة، أرسل آنو (السماوي)، حاكم نيبيرو، أخًا غير شقيق لإنكي/إيا إلى الأرض، وهو إنليل (سيد القيادة). كان إنليل صارمًا في انضباطه وإداريًا حازمًا. وبينما أُرسل إنكي للإشراف على استخراج خام الذهب في "أبزو"، تولى إنليل قيادة مدن الآلهة السبع في آدان ("موطن الصالحين")، حيث ازدهرت الحضارة السومرية بعد أكثر من 400 ألف عام. وتم تخصيص وظيفة محددة لكل مدينة من هذه المدن: مركز تحكم، وميناء فضائي، ومركز تعدين، وحتى مركز طبي تحت إشراف نينما ("السيدة العظيمة")، وهي أخت غير شقيقة لإنكي وإنليل. وتشير النتائج، التي قدمناها وحللناها في كتب سجلات الأرض (مثل كتاب "التكنولوجيا المتقدمة للآلهة")، إلى مدار بيضاوي واسع حول نيبيرو، استمر 3600 سنة أرضية، وهي فترة تُسمى "شار" في اللغة السومرية. وتقيس الكتابات السومرية من عصور ما قبل التاريخ، والمعروفة باسم "قوائم الملوك"، الزمن لدى الأنوناكي بفترة "سار". يعتبر الباحثون الذين اكتشفوا هذه النصوص وترجموها أن مدة حكم قادة الأنوناكي المذكورين بالاسم "أسطورية" أو "خيالية"، لأن هذه "الحكومات" الفردية استمرت 28800 أو 36000 أو حتى 43200 سنة. لكن في الواقع، تشير قوائم ملوك سومر إلى أن هذا القائد أو ذاك كان في منصبه لمدة ثمانية أو عشرة أو اثني عشر شارًا. عند تحويل هذه الأرقام إلى سنوات أرضية، تصبح 28800 سنة (8 × 3600) سنة، وهكذا؛ لكن في حساب الأنوناكي للزمن، لم تكن هذه سوى ثماني أو عشر سنوات من سنواتهم، وهي فترة زمنية معقولة تمامًا (بل وقصيرة).

في ذلك، يكمن سر الخلود الظاهري لـ"آلهة" ما قبل التاريخ في السارس. السنة، بحسب التعريف، هي المدة التي يستغرقها الكوكب الذي يعيش عليه شخص ما للدوران حول الشمس مرة واحدة. تستغرق دورة نيبيرو حول الكوكب 3600 سنة أرضية؛ لكن بالنسبة لسكان نيبيرو، فهذه مجرد سنة واحدة من سنواتهم. تتحدث النصوص السومرية وغيرها من نصوص الشرق الأدنى عن حياة وموت تلك الآلهة؛ إلا أن دورات حياة الأنوناكي بدت خالدة في نظر سكان الأرض ..

وصل الأنوناكي إلى الأرض قبل الطوفان بـ 120 شار أي قبل 432,000 سنة أرضية من ذلك الطوفان الهائل الذي شكّل نقطة تحوّل تتجاوز حدود الظواهر الطبيعية. لم يكن آدم، الإنسان، قد وُجد على الأرض بعدُ حين وصل الأنوناكي. لأكثر من 40 شار، كدّ الأنوناكي، الذين أُرسلوا إلى أبزو، لاستخراج الذهب، ثمّ تمرّدوا. يصف نصٌّ باللغة الأكادية (اللغة الأمّ للبابلية والآشورية)، يُدعى أترا حاسيس، التمرّد وأسبابه بتفصيلٍ دقيق. حينها دعا إنليل إلى اتخاذ إجراءات تأديبية لإجبار الأنوناكي على مواصلة العمل ومعاقبة مُحرّضي التمرّد. من جهة أخرى، فضّل إنكي التسامح. كما استُشير آنو، الذي تعاطف مع المتمرّدين. مع هذه الآراء المتباينة، كيف يُمكن حلّ هذا النزاع؟ كان لدى إنكي، العالم، حلٌّ. قال: "دعونا نخلق عاملاً بسيطاً يقوم بالعمل الشاق". تساءل قادة الأنوناكي الحاضرون: كيف يُمكن خلق آدمو؟ فأجابهم إنكي: الكائن الذي تنطقون باسمه موجود! وجد "الكائن" وهو من أشباه البشر، نتاج تطور أرضي سابق في جنوب شرق أفريقيا، "فوق أبزو". وأضاف إنكي: "كل ما علينا فعله لنصنع منه عاملاً ذكياً هو ربطه بصورة الآلهة". وافق الآلهة المجتمعون، قادة الأنوناكي، بحماس على هذا الاقتراح. وبناءً على اقتراح إنكي، طلبوا من نينما، كبيرة الأطباء، مساعدتهم في هذه المهمة. قالوا لها: "أنتِ قابلة الآلهة. اخلقي البشرية! اخلقي كائناً هجيناً ليحمل النير؛ دعه يحمل النير الذي خصصه له إنليل، دع العامل البدائي يعمل من أجل الآلهة!"

إن مفهوم الصورة العنصر أو العملية التي من خلالها يمكن رفع الكائن الموجود إلى المستوى الذي يرغب فيه الأنوناكي، بحيث لا يرتبط بهم إلا في المعرفة وطول العمر يُمكن فهمه على أفضل وجه من خلال توضيح من أو ما كان عليه "المخلوق" الموجود (بالفعل). كما توضح نصوص أخرى (مثل ما يُطلق عليه العلماء أسطورة الماشية والحبوب):

عندما خُلق الإنسان أول مرة ، لم يكن يعرف كيف يأكل الخبز ، لم يكن يعرف شيئًا عن ارتداء الملابس.

كان يأكل النباتات بأفواهه كالغنم ، وكان يشرب الماء من الخندق.

هذا وصفٌ دقيقٌ لأشباه البشر الذين كانوا متوحشين كباقي الحيوانات، يجوبون بينها. تُظهر النقوش السومرية المنقوشة على أسطوانات حجرية (ما يُعرف بالأختام الأسطوانية) أشباه بشر يختلطون بالحيوانات، لكنهم يقفون منتصبين على قدمين – وهو تصويرٌ للإنسان المنتصب (الذي تجاهله العلماء المعاصرون للأسف). لهذا الكائن، الذي كان موجودًا بالفعل، اقترح إنكي "ربط صورة الآلهة" وخلق إنسان أرضي، هو الإنسان العاقل، من خلال الهندسة الوراثية. في كتاب "أترا حاسيس" ونصوص بلاد ما بين النهرين الأخرى، وُصفت عملية أكثر تعقيدًا في هذا الصدد. كانت عملية إبداعية، لم تخلُ من المحاولات والأخطاء المُحبطة، إلى أن أُتقنت العملية وحُققت النتيجة المرجوة على يد إنكي

وننيما (التي أطلقت عليها بعض النصوص، تكريمًا لدورها البارز، لقب نينتي "سيدة الحياة"). في مختبر يُدعى بيت شيمتي "البيت الذي تُستنشق فيه ريح الحياة" مُزجت "جوهر" دم شاب من الأنوناكي مع بويضة أنثى من الإنسان المنتصب. ثم زُرعت البويضة المُخصبة في رحم امرأة من الأنوناكي. وعندما وُلد "الإنسان المثالي" بعد فترة انتظار عصيبة، رفعت نينما المولود الجديد وهتفت: "لقد خلقته! صنعته يداي!"

صوّر الفنانون السومريون هذه اللحظة الآسرة على ختم أسطواني، حين رفعت نينماه الكائن الجديد عاليًا ليراه الجميع. وهكذا، حُفرت هذه اللحظة في نقش على أسطوانة حجرية صغيرة، لتكون بمثابة سجل مرسوم لأول لقاء إلهي! ووضع رمز الأفعى على أول إناء تم فيه خلق الكائن البدائي لتدل على أسرار الطاقة الكامنة في أعماق كل كائن حيّ ، أصلها من الكلمة السومرية التي تعني "من يحل الأسرار" و"صاحب مناجم المعادن". في الواقع، كان الرمز السومري الشائع للإله إنكي هو الثعبان. في دراسة سابقة (التكنولوجيا المتقدمة للآلهة)، أشرنا إلى أن الرمز المرتبط به، وهو الثعابين المتشابكة ، والذي بقي حتى يومنا هذا رمزًا للشفاء، كان متأثرًا بالفعل باللولب المزدوج للحمض النووي (وبالتالي بالهندسة الوراثية) في سومر القديمة. وكما سنبين لاحقًا، فإن استخدام إنكي للهندسة الوراثية في جنة عدن أدى أيضًا إلى ظهور رمز اللولب المزدوج في رسومات شجرة الحياة.

عندما نتأمل في المعاني المزدوجة والثلاثية للقب إنكي (الأفعى – النحاس – الشفاء – علم الوراثة)، يبدو من المناسب لنا أن نفهم عمق التقنيات المتقدمة في الهندسة الوراثية التي استخدمت لخلق الكائن البدائي ، ولنا في النصوص الايزيدية الكثير من السبقات التي تشرح كيفية دخول الروح اليه من خلال موسيقى شاص ايزيد المقدّسة والتي أصبحت ترافقه حتى في مماته من خلال نفس الموسيقى والتي تكون مصاحبة بقول الترقيني ..

من المثير للدهشة حقًا أن نتصور أن هذا اللقاء الإلهي الثاني، حين مُنح البشر القدرة على التكاثر، قد سُجّل لنا أيضًا بواسطة "مصور" قديم فنان نقش المشهد كصورة سلبية على أسطوانات حجرية صغيرة، وهي صور عُرضت مرة أخرى كصور إيجابية بعد فرد الأسطوانة على الطين الرطب. ولكن عُثر على مثل هذه الصور أيضًا، بالإضافة إلى تلك التي صوّرت خلق آدم. تُظهر إحداها "آدم" و"حواء" جالسين على يمين ويسار شجرة، والأفعى خلف حواء ، يُصوّر رسمٌ آخر إلهًا ضخمًا جالسًا على تلٍّ ترابيٍّ يُشبه العرش، ينبثق منه ثعبانان لا شكّ أنه إنكي ويُحيط به من اليمين رجلٌ تتفرّع منه أغصانٌ على شكل قضيب، ومن اليسار امرأةٌ تتفرّع منها أغصانٌ على شكل مهبل، وتحمل شجرة فاكهة صغيرة (يُفترض أنها "شجرة المعرفة"). ويُراقب هذه الأحداثَ شخصيةٌ ضخمةٌ مُرعبة.

الله ، على الأرجح إنليل الغاضب.

تضافرت كل هذه النصوص والروايات التي تُكمّل الرواية البابلية لتُشكّل صورةً مُفصّلة، سلسلةً من الأحداث مع تحديد الشخصيات الرئيسية في قصة اللقاءات الإلهية. ومع ذلك، يُصرّ معظم الباحثين على رفض كل هذه الأدلة باعتبارها "أساطير". فبالنسبة لهم، تُعدّ رواية أحداث جنة عدن مجرد أسطورة، رمزية مُختلقة تدور أحداثها في مكان غير موجود.لكن ماذا لو كانت هذه الجنة، مكانٌ بأشجار مُثمرة مزروعة بعناية، موجودةً بالفعل في زمنٍ كانت فيه الطبيعة وحدها هي البستانية في كل مكان آخر؟ ماذا لو كان هناك، في أقدم العصور، مكانٌ يُدعى "عدن"، مكانٌ

حقيقي، ولو كانت الأحداث وقائع حقيقية؟ اسأل أي شخص أين خُلق آدم، وستكون الإجابة على الأرجح: في جنة عدن ، ويبقى الأهم هو أين بالتحديد في جنة عدن لأن النصوص الايزيدية تتحدث عن لالش كمكان للخلق .

تُشير الرواية التي دوّنها السومريون لأول مرة، إلى أن المرحلة الأولى وقعت في موقع "جبلي، أي شمال موقع مناجم الذهب. عندما تم إنتاج مجموعات مختلفة من "الهجناء" وإجبارهم على العمل في المناجم، وهي الخدمة التي خُلقوا من أجلها، استدعى الأنوناكي من المستوطنات السبع في عدن مساعدين مماثلين. وعندما قاوم سكان جنوب عدن، اندلعت معركة. يصف نص يُعرف باسم "أسطورة الفأس" كيف استولى الأنوناكي من عدن، بقيادة إنليل، على بعض "المخلوقين" وأحضروهم إلى عدن لخدمتهم. وتوضح رسالة تُسمى "أسطورة الماشية والحبوب" أنه "عندما أنزل آنو الأنوناكي من أعالي السماء إلى الأرض"، لم تكن الحبوب النامية والحملان والجداء قد وُلدت بعد. وحتى بعد أن أعدّ الأنوناكي طعامًا لأنفسهم في "غرفة الخلق"، لم يشبعوا. لم يكن ذلك إلا بعد ..

هنا يجب أن نلاحظ الفرق بين الجنود وبين الآلهة ، في الوصف السومري ، يؤكد هذا التسلسل من الأحداث، الذي يضع بداية التكاثر البشري من أم واحدة أصلية ليس في جنة بلاد ما بين النهرين، بل في نهر أبزو بجنوب شرق أفريقيا، بشكل كامل الآن من خلال الاكتشافات العلمية التي أدت إلى نظريات "الخروج من أفريقيا" المتعلقة بأصل البشرية وانتشارها. ولا تقتصر الأدلة على اكتشافات الأحافير لأقدم أشباه البشر فحسب، بل تشمل أيضًا أدلة جينية تتعلق بالسلالة الأخيرة للإنسان العاقل، والتي تؤكد أن جنوب شرق أفريقيا هي المنطقة التي نشأ منها الإنسان. وفيما يخص الإنسان العاقل، فقد حددت الأبحاث الأنثروبولوجية والوراثية وجود "حواء" وهي امرأة واحدة ينحدر منها جميع البشر المعاصرين في المنطقة نفسها قبل حوالي 200,000 إلى 250,000 عام. (تم تأكيد هذه النتائج، التي استندت في البداية إلى الحمض النووي للميتوكوندريا، والذي ينتقل من جيل إلى جيل فقط من خلال الأم، في عام 1994 من خلال البحث الجيني باستخدام الحمض النووي النووي، والذي يرث من كلا الوالدين.) ومن هناك، وصلت الفروع المختلفة للإنسان العاقل (النياندرتال، كرو-ماغنون) لاحقًا إلى آسيا وأوروبا.

من الواضح أن نهري دجلة والفرات، وهما من أنهار الجنة، هما نهران رئيسيان في بلاد ما بين النهرين (وقد اشتق منهما اسم البلاد، والذي يعني "الأرض بين النهرين")، ويُعرفان أيضًا باسمي دجلة والفرات. ويتفق جميع العلماء على أن الاسم التوراتي لهذين النهرين مشتق من اللغة السومرية (عبر اللغة الأكادية كوسيط): إيدلبات وبورانو.

لكن البشرية لم ترَ مصيرها على هذا النحو. فبسبب خلقها على صورة ومثال الآلهة، وبجيناتهم، رأت نفسها جزءًا من السماوات الكواكب الأخرى، والنجوم، والكون. وتطلّعت إلى الانضمام للآلهة في مكانتهم السماوية، لنيل الخلود. ولتحقيق ذلك، كما تخبرنا النصوص القديمة، واصلت البشرية البحث عن لقاءات إلهية دون أن يعترض طريقها الكروبيم المسلحون.

هل كان آدم وحواء يتحدثان، وبأي لغة تحاورا مع الله؟ حتى عقود قليلة مضت، زعم الباحثون المعاصرون أن اللغة البشرية بدأت مع إنسان كرو–ماغنون قبل حوالي 35 ألف عام، وأن اللغات تطورت محليًا بين القبائل المختلفة قبل 8 آلاف إلى 12 ألف عام على الأقل . في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين، دفعت مقارنات الكلمات الباحثين إلى استنتاج أن جميع اللغات المختلفة بما فيها لغات السكان الأصليين في أمريكا يمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات رئيسية. لاحقًا، كشفت اكتشافات الأحافير في آشور أن إنسان نياندرتال كان يتحدث مثلنا قبل 60 ألف عام. تأكدت في منتصف عام ١٩٩٤، من خلال دراسات مُحدَّثة أجرتها جامعة كاليفورنيا في بيركلي، الاستنتاج القائل بوجود لغة أم واحدة قبل نحو ١٠٠ ألف عام.

يشير التقدم المُحرز في أبحاث علم الوراثة، والمُطبَّق حاليًا على أنماط الكلام واللغة، إلى أن هذه القدرات، التي تُمَيِّز البشر عن القردة، ذات أصل وراثي. تُشير الدراسات الوراثية إلى وجود "حواء"، الأم الوحيدة لنا جميعًا، وأنها ظهرت وكانت قادرة على الكلام قبل ما بين ٢٠٠ ألف و٢٥٠ ألف عام. قد يفترض بعض الأصوليين أن اللغة الأم كانت الآكادية القديمة (لغة الصفير والتي تسمى في الأدب الديني الايزيدي بلغة الخاسين) ، هذا مُمكن، ترى عالمة الأنثروبولوجيا كاثلين جيبسون من جامعة تكساس في هيوستن أن البشر اكتسبوا اللغة والرياضيات في الوقت نفسه.

فهل كانت اللغة الأولى هي لغة الأنوناكي أنفسهم، التي علّموها للبشر، كما فعلوا مع جميع المعارف الأخرى؟

مع ذلك، قبل 5000 عام، كان بإمكان المصريين القدماء أن يتخيلوا بسهولة أن فرعونهم قد مرّ بتجربة كهذه: سافر إلى موقع إطلاق شرق مصر، ودخل منشأة تحت الأرض، وارتدى بدلة رائد فضاء، وجلس بين الآلهة في مركبة فضائية "صاعدة". وبهذه المركبة، وصل إلى مسكن الآلهة على كوكبهم الذي يبلغ عمره ملايين السنين. على أي نوع من شاشات التلفزيون شاهد المصريون القدماء مثل هذه الأشياء حتى آمنوا بها إيمانًا راسخًا؟ بما أنهم لم يمتلكوا أجهزة تلفزيون، فلا يُمكن تفسير ذلك إلا بأنهم إما شاهدوا ذهاب وإياب المركبة الفضائية في الموقع أو شاهدوا تمثيلًا لها في "متحف". كل شيء يشير إلى أن المصريين القدماء رأوا منصة الإطلاق ورواد الفضاء بأم أعينهم.

الفصل الثالث

الخلفية الثقافية للدين الشمساني

»أفهم الكلمات الغامضة المنقوشة على الحجر من أيام ما قبل الطوفان.«

هذا ما أعلنه الملك الآشوري آشوربانيبال في نقشٍ يُشيد فيه بنفسه. في الواقع، يمكن العثور على إشارات متفرقة إلى طوفانٍ غمر الأرض في مختلف أدبيات بلاد ما بين النهرين القديمة. فهل يُعقل إذن أن الباحثين، عند عثورهم على هذه الإشارات، أدركوا أن الرواية الآشورية المفصلة عن الطوفان لم تكن أسطورةً ولا رمزيةً، بل حدثًا حقيقيًا لم يقتصر تذكره عليهم فقط؟

على أي حال، فقد احتوت هذه الجملة الواحدة في نقش آشوربانيبال على مادةٍ دسمةٍ للنقاش العلمي. فهو لم يؤكد وقوع الطوفان فحسب، بل ذكر أيضًا أن إله الكتبة علّم آشوربانيبال فهم النقوش التي تعود إلى ما قبل الطوفان، «الكلمات المنقوشة على الحجر من أيام ما قبل الطوفان». وبناءً على ذلك، فقد وُجد الكتبة والبناؤون قبل الطوفان حضارةٌ في الماضي البعيد قبل الطوفان!

قبل أن تكشف جهود علماء الآثار في الآونة الأخيرة عن المخزونات الهائلة من الألواح المسمارية المدفونة في أطلال مدن بلاد الرافدين القديمة، كانت معرفتنا بالديانة البابلية والآشورية المبكرة تستمد أساساً من المؤرخين والباحثين اليونانيين القدامى مثل بيروسوس وهيرودوت ومن العهد القديم، ولذلك كانت تلك المعرفة بالضرورة شحيحة ومقتصرة على جانب واحد. أما اليوم، فقد تغير الوضع تماماً، إذ تم التنقيب عن أعداد هائلة من الألواح الطينية التي نُقشت بالخط المسماري الذي ابتكره سكان الوادي ونسخها وترجمتها، وذلك من مصادر شتى تشمل مكتبة آشوربانيبال العظيمة في نينوى، ومدن أوروك (أريخ) وأور وكيش وغيرها الكثير من مدن بلاد الرافدين القديمة. ويحتوي عدد كبير جداً من هذه الألواح على مواد دينية بالغة الأهمية، تغطي حقباً زمنية تمتد من المراحل الأولى للديانة السومرية وصولاً إلى العصر السلوقي. وفيما يلي سرد ووصف لأنواع الأدب الديني المختلفة، ولكن قبل الخوض في تفاصيلها، لا بد لنا أولاً من إلقاء نظرة على المصادر الأخرى التي نستقي منها معرفتنا بالديانة البابلية والآشورية.

ومن بين المكتشفات التي ظهرت أثناء عمليات التنقيب، عُثر على كميات كبيرة من الأختام الأسطوانية، بأحجامها الكبيرة والصغيرة. وتُصنع هذه الأختام عادةً من أحجار صلبة مثل الحجر الصابوني (الستياتيت) أو الهيماتيت وغالباً

ما تكون منقوشة باسم صاحب الختم وصورة لإله يمارس طقساً معيناً. وقد شكلت هذه الأختام مصدراً قيماً للغاية للمعلومات حول الآلهة البابلية والمشاهد الطقسية خلال مراحل التطور الديني المختلفة. وعلاوة على ذلك، كشفت عمليات التنقيب في المعابد وخاصة الايزيدية عن المخططات الهندسية وتوزيع المباني المتنوعة واستخداماتها، كما أسفرت عن العثور على العديد من الأدوات واللقى المرتبطة بالعبادة، مما ألقى مزيداً من الضوء على طقوس لالش. وثمة مصدر هام آخر للمعلومات يتمثل في النقوش الموجودة على المسلات والتماثيل، ومن أبرز الأمثلة على ذلك مقدمة "شريعة حمورابي" الشهيرة، المنقوشة على عمود من اللازورد الازرق، والتي تقدم معلومات حول المهام الدينية للملك.

سنتناول لاحقاً الحديث عن العلاقة بين الأسطورة والطقس في الديانة البابلية، فبينما وصلتنا بعض الأساطير البابلية مقترنةً بطقسٍ ما، بقيت أساطير أخرى في قالب أدبي مستقل. ومن بين هذه الأساطير "أسطورة الخلق" التي توجد في عدة صيغ، وأشهرها ما يُعرف بـ "ملحمة الخلق" التي كانت تُتلى في احتفالات رأس السنة الشمسانية الكبرى. وهناك أيضاً الأسطورة الشعبية للبطل نصف الإله "جلجامش"، الذي حُفظت مغامراته في عدة روايات، وتتضمن ملحمة جلجامش النسخة الأشهر من الأسطورة البابلية للطوفان، وهي الأسطورة التي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقصص الطوفان السومرية. ومن الأساطير المعروفة الأخرى، أسطورة "أدابا"، وأسطورة "إيتانا والنسر"، وأسطورة "نزول عشتار إلى العالم السفلي". وتُعد هذه أمثلة قليلة من بين أشهر النماذج التي تشكل المدونة الكبرى للأساطير البابلية.

وهناك النصوص الطقسية (الليتورجيا). لدينا عدد من الصلوات والترانيم والأناشيد التي كان يؤديها الكهنة في مختلف المهرجانات والمناسبات المقدسة خلال العام الديني. وتُعد "طقوس رأس السنة" التي كانت تصادف في نيسان أهم هذه النصوص، إذ توضح لنا ترتيب شعائر العبادة المتبعة في معظم أيام العيد الأحد عشر.

نصوص الطقوس. لدينا عدد كبير من النصوص التي تقدم تعليمات بشأن الأعمال الطقسية التي يؤديها الكهنة في مناسبات مقدسة شتى، مثل تكريس معبد، وتكريس طبل مقدس، وطقوس الكسوف، وغيرها الكثير. وكذلك التعاويذ والرقى. حُفظت مجموعات مهمة عديدة من النصوص السحرية، مثل المجموعتين المعروفين باسم "ماقلو " و"شوربو .وتتألف هذه النصوص من تعاويذ تهدف إلى حماية الفرد من هجمات الارواح المعادية ومكائد السحرة والمشعوذين. بالإضافة الى نصوص النذُر والبشائر (الفأل). كانت إحدى مهام الكهنة البابليين تفسير النذُر والبشائر. إذ كانت الظواهر غير المعتادة في العالم الطبيعي تُعتبر مؤشرات على حظ سعيد أو سيء للفرد أو المجتمع، وكان الكهنة يدونونها مقرونةً بتفسيراتها. وقد اكتُشف عدد كبير من الألواح التي تضم مجموعات من هذه النذُر والبشائر أثناء عمليات التنقيب في معابد مختلفة في كل انحاء العراق القديم ..

والنصوص التنجيمية. على امتداد تاريخ الديانة الشمسانية البابلية، لعب رصد الأجرام السماوية دوراً كبيراً في المعتقدات والممارسات الدينية ، إذ كان يُعتقد أن حركات النجوم والكواكب تؤثر في أقدار الأمم والأفراد، وقد اكتُشفت ألواح عديدة تحتوي على مثل هذه المواد التنجيمية ، وعند مقاربة هذه المعطيات مع الأديان في العصر الحديث نجد ان الايزيديين هم الوحيدين الذين حافظوا على استمراريتها ..

تُقدم هذه المعطيات لمحةً عن تنوع مضامين الأدب الديني الشمساني لدى البابليين. وإلى جانب هذه المجموعة من النصوص الدينية المباشرة، توجد مصادر غير دينية توفر معلوماتٍ غير مباشرة عن ديانة البابليين والآشوريين الشمسانيتين فهناك، على سبيل المثال، المجموعة الهامة من المراسلات الرسمية للملوك الآشوريين، التي تقدم معلومات قيّمة حول مهام الملك في الطقوس الرسمية للدولة وجوانب أخرى عامة من الديانة التي حافظ عليها الايزيدية الى اليوم . كذلك، تساهم المجموعة الضخمة من الوثائق التجارية والعقود والوصايا وسجلات نقل ملكية العبيد والأراضي مساهمةً كبيرةً في فهم الجانب الديني للحياة الاجتماعية، إذ نادراً ما كانت تتم أي معاملة تجارية دون اقترانها بطقس ديني ما. وعلاوة على ذلك، تُسلط المجموعات القانونية المتنوعة الضوء بشكل كبير على المعتقدات والممارسات الدينية.

تلك هي المصادر التي يمكننا الاستناد إليها اليوم لتكوين معرفة حول النمط المعقد للحياة الدينية الشمسانية لدى البابليين والآشوريين، وهي مخزونٌ يزداد ثراءً بإضافات جديدة كل عام.

لفهم طبيعة ديانة شعب ما وتطورها، لا بد من الإلمام بشيء عن أصل ذلك الشعب وخلفيته الثقافية. فعندما دخل أسلاف البابليين منطقة دلتا نهري دجلة والفرات، وجدوا حضارة متقدمة قائمة بالفعل، وهي حضارة شعب سبق ذكره، ألا وهم السومريون. كان البابليون والآشوريون الذين جمعتهم روابط وثيقة من حيث اللغة وجوانب أخرى عديدة من شعوب الشرق الأدنى، في حين لم يكن السومريون كذلك، إذ تحدثوا اللغة الاكدية بصيغتها المسمارية، واختلفت سماتهم الجسدية العامة اختلافاً كبيراً عن سمات القادمين الجدد الذين أخضعوهم تدريجياً وامتصوا ثقافتهم. لقد عاش السومريون في الدلتا ، غير أن نصوصهم الدينية تشير إلى قدومهم من منطقة تكثر فيها الأشجار الحرجية مثل التنوب والصنوبر والكستناء وهي أشجار لم تكن موجودة في أراضي الدلتا المنخفضة والمستنقعية. وخلال فترة السيادة السومرية، عُرف ذلك الجزء من بلاد الرافدين الذي احتضن الحضارة السومرية باسم "سومر وأكد" حيث أُطلق اسم "سومر" على الجزء الجنوبي من البلاد المحيط بالدلتا، بينما سُمي الجزء الشمالي الذي تقع فيه بابل باسم "أكد" ولهذا السبب تُعرف اللغة التي تحدث بها البابليون عموماً باسم "اللغة الأكدية."

وفي أرض "سومر وأكد" هذه، بنى السومريون ثقافة متطورة ومعقدة قامت في أساسها على الزراعة والهندسة الرخامية الحجرية وهي حقيقة حددت طابع ديانتهم ،كما ارتكز عليها أيضاً بنيان المجتمع السومري. وقد تمثلت وحدة التنظيم السياسي السومري في "دولة المدينة"، التي كان يحكمها حاكم يجمع بين السلطتين الدينية والمدنية (ملك–كاهن) ويحمل لقب اوراكل (كوجك)، وهو الصيغة السامية للقب السومري الأقدم "باتيسي" (المُطلع على علم الغيب) ..

تصفه الوثائق المعاصرة بأنه "مستأجر الإله (مجيور) إذ كان يُفترض أن يستأجر أرضه مباشرة من الإله الرئيسي لمدينته (أو يأخذ رخصة من الكهنة) ، وأن يُجدَّد عقد حيازته سنوياً خلال احتفالات رأس السنة. وبصفته ممثلاً للإله، كان يرأس هيئة من المسؤولين الذين يديرون كافة جوانب الحياة المجتمعية، وقد قيل إنه "جمع في شخصه بين المكانة المرموقة المرتبطة بكونه مجيور الإله' وبين سلطة مطلقة بصفته المشرّع الأسمى والقاضي والقائد". ووفقاً للمفاهيم السومرية الواردة في قوائم الملوك المبكرة، فإن المُلك "هبط من السماء" وهي عبارة ربما صيغت عمداً لتكون غامضة، موحيةً بأن أصل المُلك يضرب بجذوره في غياهب العصور السحيقة.

وقد طُرح مؤخراً رأيٌ مفاده أن أقدم أشكال الحكم في بلاد الرافدين كان ما يُعرف بـ "الديمقراطية البدائية"، أي الحكم من خلال جمعية تضم أحرار المدينة. كانت السلطة الفعلية بيد مجلس من الشيوخ يتولى شؤون المجتمع اليومية، ولكن في أوقات الأزمات، كانت الجمعية تختار فرداً واحداً ليتولى زمام الأمور لفترة محدودة على غرار ما فعله الرومان في العهد الجمهوري المبكر حين اختاروا "ديكتاتوراً" لمواجهة خطر الغزو مع توقعهم أن يعود هذا الفرد إلى وضعه كمواطن عادي بمجرد انقضاء الأزمة. ولعل ما يعزز هذا الرأي هو أن الكلمة السومرية التي تشير إلى هذا الفرد هي "لوغال" ، وتعني "الرجل العظيم" إذ كانت العلامة المسمارية المعبِّرة عن كلمة "لوغال" السومرية ومقابلها الأكادي "شرو" تتألف من علامة "الرجل" مضافاً إليها رمزٌ فوق الرأس (ربما كان تاجاً) يمنحه صفة "الرجل العظيم". وفي "ملحمة الخليقة"، حين واجهت الآلهة تهديداً تمثّل في تمرد قوى العالم السفلي ، اختارت أحد الآلهة الشباب للتعامل مع الموقف ومنحته سلطة مطلقة، وهنا، ربما تعكس الأسطورة عملية اختيار الملك. ومن ناحية أخرى، تصف ملحمة جلجامش التي تعود إلى عصور سحيقة بطل القصة بأنه ملك مدينة "أوروك"، وبأنه كان يمارس سلطة استبدادية، بل وطاغية، على مدينته. ومع ذلك، فحتى في هذه الحالة، وعندما يتهدد الحربُ المدينةَ، نجد أن جلجامش يستشير المجلس والشيوخ ، ومن المحتمل كما يرى البروفيسور فرانكفورت أن مصدر سلطة الملك كان انتخابه من قِبَل المجلس. ومع ذلك، فمع مطلع الألفية الثانية قبل الميلاد، نجد حمورابي يعلن أنه "دُعي" لتولي المُلك من قِبَل الإلهين "آنو" و"بيل"، وبشكل عام، كان الملوك الآشوريون يصفون أنفسهم في ألقابهم ونقوشهم بأنهم "مُحبَّبون لدى نينيب" أو

غيره من الآلهة، ويُصوِّرون أنفسهم بوصفهم مختارين من قِبَل الآلهة لتولي المُلك. لذا، يمكن تفسير العبارة القديمة القائلة بأن "المُلك هبط من السماء" على أنها تشير إلى اعتقاد مبكر بأن المُلك كان هبةً من الآلهة. ومن النقاط المهمة أيضاً وجود أصحاب سلطة آخرين إلى جانب "اللوغال" أو الملك في دويلات المدن السومرية المبكرة، وهؤلاء هم الكاهن الأكبر (الذي كان لقبه السومري "سانغو-ماه") وحاكم المدينة (أو "الإنسي"). فإذا كان الملك يُعد بمثابة "المستأجر الأول" أو الوكيل الرئيسي للإله، فإن الكاهن الأكبر كان يتولى إدارة إيرادات المعبد وقيادة العبادة الجماعية؛ إذ كان يشرف على تحديد حدود الأراضي والحقول المؤجرة للأفراد، ويضع تلك الحدود تحت حماية الآلهة من خلال إقامة أحجار للحدود نُقشت عليها رموز الآلهة. يجدر بنا هنا إيراد وصف البروفيسور فرانكفورت لذلك التنظيم المبكر ..

"كانت الأرض التي تمتلكها الجماعة (بصفتها ملكاً للإله) مُقسَّمة إلى ثلاثة أجزاء. فجزءٌ منها يُعرف بأرض "كور" كان يُوزَّع لتوفير القوت لأفراد الجماعة الذين يتولون زراعتها. ورغم تفاوت مساحات هذه الحصص الموزعة تفاوتاً كبيراً، إلا أن أصغرها كانت تبلغ مساحتها فداناً واحداً تقريباً، وهي مساحة تكفي لإعالة رجل وربما أسرة صغيرة. أما جزءٌ آخر من الأرض الذي كان يمثل، في إحدى الحالات على سبيل المثال، ربع المساحة الإجمالية فقد خُصِّص للإله؛ وعُرفت هذه الأرض باسم "نيجينا" ، وكان يُخزَّن محصولها في المعبد. وكان لزاماً على جميع أفراد الجماعة، بغض النظر عن مراتبهم أو وظائفهم، زراعة هذه الأرض والمشاركة في أعمال السخرة (العمل الإلزامي) لصيانة السدود والقنوات التي تضمن ريها. وكانت الأدوات وفرق الثيران والحمير المستخدمة في هذه المهام الجماعية تُحفظ في إسطبلات المعبد ومخازنه؛ إذ كانت بوضوح ملكاً للجماعة بأسرها. كما كان المعبد يتولى توفير الحبوب اللازمة للبذر. ولم يقتصر الأمر على المحاصيل الزراعية فحسب، بل كانت الأدوات ومعدات الطقوس والحيوانات المخصصة للقرابين أو لتوفير المؤن للسكان تُعد أيضاً من ممتلكات المعبد. وعلاوة على ذلك، كان أفراد الجماعة يقرّون بالتزامهم بتوظيف مهاراتهم الخاصة في خدمة الإله".

كان الحرفيون من صُنّاع المعادن، ونحّاتي الحجارة، والنجارين، والملاحين، والصيادين، والبستانيين، والرعاة يعملون جميعاً لفترة محددة، أو ينجزون قدراً معيناً من العمل، لصالح المعبد. أما ذوو المهارات الخاصة، فقد وظّفوا مهاراتهم ليس لخدمة المجتمع فحسب، بل أيضاً لأغراض التجارة الخاصة والمقايضة؛ وبذلك أتيح مجال معين للمبادرات الفردية. وفي الواقع، كان هناك نوع ثالث من أراضي المعبد (تُعرف بأراضي "أورولا") يُؤجَّر للأفراد بغرض زراعته.

أما الشخصية الرسمية الأخرى، وهي الحاكم أو "إنسي" ، فقد شغلت منصباً دائماً في المدينة، إذ نجد أن كبير كهنة الإله الذي يُعدّ مالكاً للمدينة كان يُلقّب بـ "إنسي" ويتولى مهام حاكم المدينة. ومن ثم، ففي مرحلة مبكرة من

التطور السياسي، كانت هناك ثلاث شخصيات رسمية قد تؤول إليها سلطة السيطرة على "دولة المدينة"، وكما يشير البروفيسور فرانكفورت "بحلول عصر السلالات المبكرة، كان أحد هؤلاء المسؤولين قد رسّخ مكانته كحاكم في كل مدينة من مدن بلاد الرافدين" (فرانكفورت، المرجع السابق، ص 223).

بين الحين والآخر خلال عصر فجر السلالات، كانت إحدى دويلات المدن هذه تتولى قيادة البلاد وتُضفي اسمها على إحدى السلالات الحاكمة المتعددة التي تشكّل قوائم الملوك المبكرة وهكذا نجد مدن كيش، وأوروك وأور، وإيسن، ولارسا وباد تيبيرا تتناوب على تولي القيادة في فترات مختلفة، وقد تفاوتت مدد حكم السلالات التي حملت أسماءها، فبعضها استمر لفترة وجيزة للغاية، بينما استمرت أخرى لمائتي عام أو أكثر.

غير أن النمط العام للثقافة لم يتغير بتغير السلالات الحاكمة فمع أن كل مدينة كان لها معبودها الحامي الخاص مثل "شيشمس" في سيبار، و"سين" في أور، و"مردوخ" في بابل إلا أن المخطط العام للمباني المعبدية الشمسانية ، وتنظيم سلك الكهنة، والبنية الاجتماعية، كانت متماثلة عملياً في جميع أنحاء بلاد سومر وأكاد. وسيتم تناول موضوع المباني المعبدية والكهنة بمزيد من التفصيل في فصل لاحق، ولكن لا بد هنا من الإشارة بإيجاز إلى البنية الاجتماعية لدى السومريين.

كان المجتمع ينقسم إلى ثلاث طبقات. تأتي في المقدمة طبقة "الميلو" أو طبقة النخبة وتضم الملك والنبلاء والكهنة ومسؤولي الحكومة والجنود النظاميين. أما الطبقة الثانية فتتألف من التجار والمزارعين والحرفيين وغيرهم من الأحرار ذوي المهن المختلفة ، وهؤلاء كانوا يُعرفون باسم "الموسكينو" (مسكينو) .كانت الطبقة الثالثة التي ارتكز عليها بنيان المجتمع، تتألف من المريدين سواء كانوا طبقة علمية او دينية. ولم تكن هذه الطبقات متساوية أمام القانون بأي حال، إذ تفاوتت العقوبات المطبقة عليها تفاوتاً كبيراً، ومن المرجح أن هذه الفوارق الطبقية كانت ذات أصل عسكري.

لقد تمتع السومريون بكفاءة عالية في الحروب، سواء من حيث الأسلحة أو التكتيكات؛ فقد ابتكروا تشكيل "الكتيبة المتراصة" (الفالانكس) الذي استخدمه المقدونيون لاحقاً بفعالية فتاكة. وفي مجالي الفنون والحرف، بلغ السومريون مستوى رفيعاً من الإتقان ، إذ نادراً ما تفوق أمهر الحرفيين المصريين على براعة الصاغة وصنّاع الحلي السومريين. كما ابتكر الكهنة السومريون وطوّروا نظام الكتابة على الألواح الطينية المعروف بـ "الكتابة المسمارية"، وهو نظام لم يقتصر تبنيه على البابليين والآشوريين فحسب، بل شمل الحيثيين والفرس أيضاً في فترات لاحقة. لم يكن هذا النظام أبجدياً، بل كان يعتمد على المقاطع الصوتية والرموز الدالة على الأفكار (الإيديوغرامات) أي أن الرموز المكوِّنة للكتابة كانت تعبّر عن أفكار ومقاطع صوتية، لا عن حروف أو أصوات مفردة. ونظراً لأن النظام قد ابتُكر للتعبير

عن اللغة السومرية وهي لغة غير سامية– فقد نشأت تعقيدات عند تبنيه من قبل البابليين للتعبير عن لغتهم السامية إذ أضفى البابليون دلالات وقيمًا جديدة على الرموز أثناء تكييف النظام ليتناسب مع لغتهم، مما أدى إلى أن يحمل الرمز الواحد ما يصل إلى خمس أو ست قيم مختلفة، وهو ما جعل عملية فك الرموز أمراً بالغ الصعوبة. وعلاوة على ذلك، ولأن البابليين ورثوا عن السومريين مجمع آلهتهم ونظامهم الديني برمته بما في ذلك الطقوس والتعاويذ فقد استمر استخدام اللغة السومرية لأغراض دينية حتى العصر السلوقي، تماماً كما ظلت اللغة اللاتينية لغة الكنيسة والمحاكم خلال العصور الوسطى. وصلت إلينا ألواح عديدة تتضمن قوائم للعلامات تعرض في أعمدة متوازية القيم السومرية والبابلية للعلامات المسمارية، مما يدل على أن الكتبة البابليين كانوا بحاجة إلى الاستعانة بمعاجم عند تعاملهم مع النصوص السومرية القديمة.

وفي غمرة استيعابهم للثقافة السومرية، احتفظ البابليون والشوريون بالأسماء السومرية للعديد من الآلهة، وأسماء المعابد، والألقاب الرسمية، وأسماء الأدوات الطقسية، بينما حوّلوا بعض الأسماء والألقاب إلى صيغ شمسانية بعد أن كانت آدانية فعلى سبيل المثال، تحوّل الاسم السومري لإله الشمس "بابار" إلى الاسم السامي "شمش" كما أن الكلمة السومرية التي تعني "معبد" –أي "هيكال" هي تحريف للكلمة السومرية "هاي–غال" التي تعني "البيت العظيم". وتستند المجموعة الشهيرة من القوانين البابلية التي وضعها حمورابي إلى مجموعات أقدم من القوانين السومرية بل إن كل جانب تقريباً من جوانب الثقافة البابلية والآشورية قد تشكّل وتأثر بالثقافة السومرية لدرجة أنه يصعب تحديد العناصر ذات الأصل السومري الخالص في الديانة البابلية. وهناك جانب آخر في خلفية الديانة البابلية يستحق الذكر، ألا وهو تأثير البيئة الطبيعية والظروف الجغرافية على هذه الديانة. ففي كل من مصر وبلاد الرافدين، تحدد نمط الحضارة بشكل رئيسي بحقيقة أن الأنهار –نهر النيل في مصر، ونهر دجلة والفرات في بلاد الرافدين كانت مصدر الحياة في هذه البلدان. ففي مصر، لم يُنظر قط إلى نهر النيل الذي عُبد كإله على أنه قوة معادية أو مدمرة، إذ أضفى فيضانه الهادئ والمنتظم الذي كانت تتحكم فيه وتوزع مياهه سلطة مركزية، وهو ما كان سبباً في توحيد مصر مبكراً تحت حكم ملكي سياسي واحد طابعاً من الاستقرار على النمط الديني المصري، وهو أمر افتقرت إليه بلاد الرافدين. ففي تلك البلاد الأخيرة، كان قيام حضارة منظمة ثمرةً لصراع شاق ضد الفيضانات المدمرة وغير المتوقعة التي كان يتعرض لها وادي النهر؛ ولذا صيغت أساطير الخلق البابلية في إطار صراع مع قوى معادية مُثّلت في صورة التنين وفي المقابل، لم تكن لدى مصر أي أسطورة تتناول "الطوفان". وللسبب ذاته، لم يشهد البلد توحيداً مبكراً ومستقراً تحت سلطة واحدة، كما كان الحال في مصر. وتُبرز –ببراعة– مقولةٌ مقتبسة من مساهمة البروفيسور جاكوبسن القيّمة في كتابٍ صدر مؤخراً بعنوان "المغامرة الفكرية للإنسان القديم" ..

"يقوم هذا النهج ذاته على أساس 'دراما المعركة مع الطبيعة'. ففي كل عام جديد، وحين كانت الفيضانات تهدد بإعادة الفوضى المائية البدائية، كان من الضروري أن تخوض الآلهة مجدداً تلك المعركة الأزلية التي كُسب فيها العالم لأول مرة. وهكذا، كان الإنسان يتقمص شخصية الإله او يُجسّدها ففي الطقوس التعبدية الشمسانية ، كان الملك يحل محل 'إنليل' أو 'مردوخ' أو 'آشور'، وبصفته تلك كان يصارع قوى الفوضى. وحتى أواخر حضارة بلاد الرافدين –أي قبل بضعة قرون من عصرنا الحالي كان الملك في بابل يتقمص شخصية 'مردوخ' في كل عام جديد، فيهزم 'كينغو' (قائد جيش 'تيامات') عن طريق حرق حملٍ كان يُعتقد أن ذلك الكيان الإلهي يتجسد فيه". ويتابع البروفيسور جاكوبسن قائلاً:

"في هذه الاحتفالات التي كانت تُعد احتفالات رسمية للدولة ساهمت الدولة البشرية في السيطرة على الطبيعة وفي الحفاظ على نظام الكون. فمن خلال تلك الطقوس، كان الإنسان يضمن تجدد الطبيعة في فصل الربيع لا سيما وان منسوب دجلة والفرات من المياه كان اعلى بكثير واقوى من العصر الحديث، ويكسب المعركة الكونية ضد الفوضى، ويعيد خلق العالم المنظم من جديد كل عام انطلاقاً من حالة الفوضى".

من أبرز سمات ديانة بلاد الرافدين ذلك العدد الهائل من الآلهة التي حُفظت أسماؤها في النصوص الدينية المتنوعة التي وصلتنا. تشغل القائمة الوصفية للآلهة الأكدية أكثر من 240 صفحة، والعديد من هذه الأسماء كما أشار ذلك الباحث تستعصي على كل محاولات استجلاء معانيها. ومن ثم، لا يسعنا هنا إلا أن نكتفي بذكر أسماء أهم الآلهة في المجمع الإلهي (البانثيون) البابلي والآشوري ووصف وظائفها. فعند العودة إلى أبعد نقطة تتيحها الأدلة الأثرية، نجد ديانة سكان بلاد الرافدين في مرحلة متقدمة من التطور انها ديانة اقرب ما تكون الى الكوزمولوجيا الجامعة، ويستحيل تقديم أي رواية كاملة عن أصلها. فعلى سبيل المثال، لا يوجد في بلاد الرافدين ما يماثل ما يبدو أنه مرحلة "الطوطمية" في ديانة مصر القديمة. وتُظهر بعض الأسس الشمسانية البابلية آثار صراع بين الآلهة الأقدم وتلك التي نالت السيادة في المجمع الإلهي في مرحلة لاحقة، وهو ما يشبه إلى حد كبير أسطورة إطاحة "زيوس" بـ "كرونوس" في اليونان. وقد تعكس مثل هذه الأساطير العملية التي أدت فيها آلهة شعب غازٍ إلى خفض مكانة آلهة السكان الأصليين للبلاد وجعلهم في مرتبة أدنى. وغالباً ما يتبين أيضاً أنه في خضم هذه التغيرات، تحولت الآلهة التي جُرّدت من مكانتها وسُلب منها عرشها إلى أرواح شريرة؛ ومن المحتمل أن يكون هذا قد حدث في بلاد الرافدين، حيث كما سنرى لاحقاً لعبت الأرواح الشريرة دوراً مهماً في ديانة بابل وآشور. وعلاوة على ذلك، فإن انشغال البابليين بأرواح الموتى وقدرتها على إلحاق الضرر بالأحياء قد يشير بوضوح إلى مرحلة "الإحيائية" (الاعتقاد بوجود أرواح في

الأشياء) في التطور الديني، وهي مرحلة يمكن رصد آثار أخرى لها في استخدام التمائم أو التماثيل الطينية لحماية المنازل أو الأفراد.

ثمة سمة بارزة في ديانة بلاد الرافدين وهي سمة تشترك فيها مع ديانات قديمة أخرى تستحق الذكر، ألا وهي طابعها المحافظ الشديد والمتصلب في تطبيق الشريعة الشمسانية. فعلى سبيل المثال، نجد أن الصيغ الطقسية والصلوات التي كانت مستخدمة في مدينتي "أور" و"إيسن" حوالي عام 2300 قبل الميلاد ظلت قيد الاستخدام حتى العصر الحديث عند الايزيديين، وذلك رغم التغيرات السياسية التي حدثت في تلك الفترة وأدت إلى استبدال الآلهة التي كانت تُوجَّه إليها تلك الصلوات في الأصل بآلهة أخرى.

لقد وُجدت قوائم متنوعة للآلهة منذ العصور السومرية المبكرة، أي قبل وقت طويل من صعود سلالة بابل الأولى وفي منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد تقريباً ربما في مدينة "أوروك" وُضعت قائمة قياسية (موحدة). وقد استند الترتيب العام لمجمع الآلهة البابلية والآشورية إلى هذه القائمة، رغم ما طرأ بمرور الوقت من تغيرات على الأهمية النسبية لمختلف الآلهة.

يأتي في مقدمة هذا الترتيب الراسخ الإله الأسمى "آنو" ، الذي يعني اسمه باللغة السومرية "إله السماء"، والذي يمكن القول إنه يقابل إله السماء اليوناني "زيوس". ففي العصر السومري المبكر، كان وضع "آنو" غامضاً نسبياً، ولم يرد اسمه في أي من القوائم الثماني عشرة التي تعود لتلك الفترة. ولكن بدءاً من عهد "جوديا" الملك الكاهن الشهير لمدينة "لجاش" (حوالي 2060-2042 ق.م وفقاً للتسلسل الزمني الحديث الذي وضعه "فورر") بدأ "آنو" يتبوأ مكانة السيادة التي احتفظ بها طوال التاريخ اللاحق للديانة البابلية. ووفقاً لملحمة الخلق البابلية بالصيغة التي وصلتنا بها آنو كان مسكنه في السماء الثالثة، وكان يُلقب بـ "الأب" و"ملك الآلهة". لم تصلنا أي تمثيلات تصويرية لـ "آنو"، غير أن رمزه المتمثل في المزار المقدس الذي تعلوه القلنسوة الإلهية ذات القرون كثيراً ما يظهر على أحجار الحدود البابلية. وكان رقمه المقدس هو 60 ..

في الفكر البابلي المبكر، كان مصطلح "تحديد المصير" لأي شيء سواء كان كائناً حياً أو جماداً يعني تعيين مكانه في النظام الكوني القائم. وفي الصيغة السومرية المبكرة لقصة الخلق، نجد أن الخالق، بإطلاقه الأسماء على الحيوانات، يحدد "مصيرها"، أي أنه يخصص لها مكانتها في نظام الخليقة. ومن الأساطير السومرية المبكرة والزاخرة بالتفاصيل المثيرة، قصة طائر العاصفة "انزو " الذي سرق "ألواح المصير" من الإله "إنليل"، وكيف استعادها "إنليل" منه. وكثيراً ما نجد مشهداً يتكرر تصويره على الأختام الأسطوانية القديمة يصور إحضار الطائر "انزو" المأسور الذي يُصوَّر بهيئة نصف إنسان ونصف طائر للمثول أمام "إنليل" بغرض محاكمته.

وعلى غرار الإله "آنو"، نجد أن "إنليل" يمتلك نسباً طويلاً وزوجة تُدعى "نينليل"؛ وكان وزيره الأول هو "نوسكو"، إله النار، فضلاً عن امتلاكه حاشية معتادة من الآلهة الأقل شأناً الذين قاموا بأدوار مثل حراس الأبواب، والطهاة، والرعاة، والرسل. وكان المركز الرئيسي لعبادة "إنليل" هو المعبد الشهير في مدينة "نيبور" والمسمى "إيكور أي "بيت الجبل" وهو اسم تحول لاحقاً إلى مصطلح عام يُطلق على المعابد. ومع ذلك، فقد عُبد "إنليل" في مدن أخرى عديدة أيضاً، إذ حظي بحق استضافة في معبد "آنو" الذي شيده "غوديا" في مدينة "لكش"،كما يُرجح أن المعبد القديم في مدينة "آشور" المسمى "إي-أم-كور-كور-را " أي "بيت الثور البري للأراضي" كان مكرساً لعبادة "إنليل"، وهناك أدلة تشير إلى وجود عبادته في مدينة "بورسبا" أيضاً.

كان رقمه المقدس هو 50، أما "طريق إنليل" أي ذلك الجزء من السماء المرصعة بالنجوم المخصص له فكان يقع إلى الشمال من "طريق آنو" الذي كان يغطي منطقة خط الاستواء السماوي. ومن الناحية النظرية، كانت جميع النجوم الواقعة على مسافة تزيد عن 12 درجة شمال خط الاستواء تابعة له، ويُشار إليها باسم "نجوم إنليل" في نص عُثر عليه في "بوغازكوي" أما رمزه الفلكي الخاص فكان كوكبة "الثريا" ، التي غالباً ما كانت تُصوَّر على أحجار الحدود في هيئة سبع دوائر صغيرة.

كان "إنكي" أو "إيا" كما عُرف عموماً في النصوص اللاحقة هو الإله الثالث والأكثر إثارة للاهتمام ضمن الثالوث الأول من الآلهة العظام الاثنا عشر . فكما كان "آنو" إله السماء و"إنليل" إله الأراضي (أي الأرض)، أُضفي على "إنكي" طابع خاص بوصفه إله المياه ، إذ ساد الاعتقاد بأن مسكنه يقع في "الأبسو" أو لُجّة المياه العميقة وهي المحيط السفلي الذي كان العالم يرتكز عليه وفقاً للتصور الكوني البابلي. ومن الألقاب المحببة التي أُطلقت على "إنكي" (أو "إيا") لقب "بيل نيميكي" أي "سيد الحكمة"، نظراً لاعتباره مصدراً لكل المعارف السحرية السرية، فضلاً عن كونه المعلم الذي علّم البشرية شتى الفنون والحرف الضرورية لرفاه الإنسان.

هو الذي كشف للبشر أسرار الكتابة والبناء والزراعة. وكان الماء الذي كثيراً ما أُطلق عليه اسم "ماء الحياة" عنصراً جوهرياً في التعاويذ ، إذ يخلّص البشر من الأمراض وهجمات الأرواح الشريرة . ومن ثم، وبصفته إله المياه، كان "إيا" يُستدعى خصيصاً في الرقى والتعاويذ، وعُرف بلقب "بيل شيبتي "، أي "سيد التعاويذ" .

وعلى النقيض من "آنو" و"إنليل" اللذين كان يُنظر إليهما، كما رأينا، باعتبارهما معادِيين لتزويد البشرية بكل العلوم كان يُنظر إلى "إيا" على أنه ودود ومواتٍ للبشر بشكل خاص. ففي العديد من الصيغ المبكرة لأسطورة الخلق، يلعب "إيا" دوراً في خلق الإنسان وفي أسطورة الطوفان، بفضل تدخله، انكشفت خطة "إنليل" الرامية إلى إبادة البشرية أمام "أوتو نبو شتيم"، الذي قام إثر ذلك ببناء سفينة عظيمة ونجا من الطوفان ، كان المركز الرئيسي لعبادة

"إيا" في مدينة "إريدو" (مرقد الإمام علي في العصر الحديث)، الواقعة عند رأس الخليج العربي وتُعد أقدم المدن السومرية ، حيث كان يقيم في معبده المسمى "إينغورا "، وتوجد شجرته المقدسة "كيشكانو "التي كانت تحظى هي الأخرى بتبجيل خاص. وكان خادم "إيا" هو "ممو "إله الحرف والصناعة والمجسِّد للمهارة الفنية وزوجته هي الإلهة "دامكينا "وابنه هو "مردوخ "وهو اسم سومري الأصل ، بخلاف معظم الآلهة الأقدم في مجمع الآلهة (البانثيون) التي كانت تحمل أسماءً سومرية وبابلية وأخرى آشورية . ومع صعود بابل إلى مرتبة السيادة في بلاد الرافدين وربما نتيجة لذلك حلّ "مردوخ" محل بعض الآلهة الأقدم في الطقوس الكبرى، وأصبح الشخصية المحورية في العبادة البابلية. أما في آشور، فقد حلّ محله الإله "آشور"، وهو الإله الرئيسي لآشور.

وفي النصوص السحرية، عادةً ما يُصوَّر "إيا" و"مردوخ" وهما يتعاونان لضمان فاعلية الرقية أو التعويذة لدرجة أننا نجد أسطورة استشارة "مردوخ" لأبيه تُستخدم كصيغة ثابتة ومتكررة في العديد من التعاويذ. يرد "إيا" على "ماردوخ" قائلاً: "يا بني، ما الذي تجهله؟ وما عساي أن أمنحك أكثر مما لديك؟ يا ماردوخ، ما الذي لا تعلمه؟ وما الذي يمكنني إضافته إلى معرفتك؟ فما أعلمه أنا، تعلمه أنت أيضاً".

كان الرقم المقدس للإله "إيا"هو 40 ، وكان "طريق إيا" يشير إلى ذلك الجزء من السماء الواقع على بعد 12 درجة جنوب خط الاستواء السماوي. وتُنسب إلى "إيا" نجوم ومجموعات نجمية مختلفة في النصوص التنجيمية، ومن أبرزها من حيث تكرار الذكر كوكبة الحوت الجنوبي وكوكبة الدلو أما رمز "إيا"، كما يظهر على أحجار الحدود، فكان إما رأس كبش أو "الماعز السمكة "، وهو كائن أسطوري يجمع بين جسد سمكة ورأس ماعز.

وفي القوائم المبكرة، ارتبطت شخصية "الإلهة الأم" –التي عُرفت بأسماء متعددة مثل "نينماه "و"نينتو "و"نينهارساج " و"أرورو "بالثالوث العظيم الأول للآلهة. وقد تمحورت وظيفتها الخاصة حول الولادة؛ كما ارتبطت بصفتها "أرورو" بالإلهين "إنليل " أو "إيا" في عملية خلق البشرية.

وتلي ذلك في ترتيب قوائم الآلهة المبكرة ثالوثٌ ثانٍ من الآلهة الذكور مقترنٌ بإلهة أنثى. تألف هذا الثالوث من "سين" (Sin) إله القمر، و"شماش" (Shamash) إله الشمس، و"أداي" أو آدي إله العاصفة وخالق الجميع في حين كانت الشخصية الأنثوية المقترنة بهم هي الإلهة "عشتار". ويُعتقد أن "سين" ذو أصل سومري وكان يلفظ دائماً بوضع مقطع شي للإشارة الى القدسية أو العلوم ، والأمر نفسه كان ينطبق على شمش وآدي ، إذ كان القمر يُعتبر مذكراً والشمس مؤنثة في المعتقدات القديمة. وقد حظيت أطوار القمر بأهمية خاصة في هذه العبادة، حيث أُطلق اسم مميز على فترة الظلام وهو "بولو" وكانت تختصر بكلمة بَوّ ، إذ كان يُعتقد أنها فترة تشتد فيها خطورة الأرواح الشريرة. كما كان يُنظر إلى "سين" على أنه سيد التقويم، الذي تُحدد بموجبه الأيام والشهور والسنوات. كان أيضاً

إلهاً للنبات، ونُسِبَت إليه خصوبة الماشية. وكان الرقم 30 هو رقمه المقدس بطبيعة الحال، بينما كان الهلال رمزه. اتسمت لحيته بلون اللازورد، ويُصوَّر في النقش البارز في "مالتايا" ممتطياً حيوانه المقدس الثور المجنح. وقد كانت مدينتا "أور" و"حران" المركزين الرئيسيين لعبادته في بلاد الرافدين . أما نظيره إله الشمس فكان له قوائمه الخاصة والتي اطلق عليها السومريون اسم التقويم الشمساني. ونظراً لأن النهار كان يُعتبر تالياً لليل وفقاً للمنظور الشرقي للعلاقة بينهما، فقد كان يُنظر إلى الإله التالي في الثالوث وهو "شمش"، إله الشمس على أنه نظير للإله "سين". وهنا أيضاً، ورغم أن عبادة إله الشمس كانت رئيسية في بلاد الرافدين إلا أن هذا الإله يظهر أيضاً في القوائم السومرية المبكرة تحت اسم شي . شمش ..

غالبًا ما يُصوَّر "شي . شمش" على الأختام البابلية وهو يشرق من بين الجبال وتنبثق الأشعة من كتفيه؛ بينما كان يُعتقد أنه يهبط ليلاً عبر بوابات الجبال ويجتاز العالم السفلي إما سيرًا على الأقدام أو على متن عربة تجرها بغال نارية. وقد عبده الناس من جميع الطبقات، وتمثلت وظيفته الأساسية في إرساء دعائم الحق والعدل في حياة المجتمع. وعلى المسلة التي تحمل شريعة حمورابي الشهيرة، يظهر "شي . شمش" وهو يمنح القوانين للملك. وكان يُنظر إليه بالاشتراك مع الإله "أدي" على أنه المعنيّ بشكل خاص بمنح النبوءات وتفسيرها. كان رقمه المقدس هو 20، والرمز المعتاد الذي يمثله على الأختام والآثار هو قرص الشمس الذي تتوسطه نجمة ذات أربع رؤوس، وتنبثق الأشعة من بين رؤوس تلك النجمة. أما في آشور، فقد كان رمزه الذي يبدو أنه كان رمزًا للملكية أيضًا عبارة عن قرص مجنح يشبه إلى حد كبير قرص الشمس المجنح المصري. وكان المركز الرئيسي لعبادة "شي . شمش" في شمال بابل هو مدينة "سيبار"، وفي جنوب بابل مدينة "لارسا" بينما تشارك مع الإله " شي . سين" في معبد واحد بمدينة "آشور". أما الشخصية الثالثة في هذا الثالوث، فهي الإله "أدي" إله العاصفة الذي انتشرت عبادته على نطاق واسع في آسيا الصغرى وبلاد الرافدين وسوريا وفلسطين ووصلت الى كشمير وأجزاء من السند والهند . فلدى الحيثيين عُرف باسم "عَدْيْ)"، وفي سوريا عُرف بأسماء متعددة مثل "عادي " و"عدي"، كما ورد ذكره في العهد القديم باسم "عاداي". وفي المراحل المبكرة من الديانة العبرية اطلق عليه أدوناي ، كان "يهوه" يُصوَّر كإله للعاصفة بصفات تشبه صفات "آدي"؛ ولذا لم يكن مستغربًا أن يخلط عامة الناس في شمال إسرائيل إبان عهد سلالة "عمري"بين صفات كل من "آدي . آدوناي" و"يهوه". وقد أشار "جوديا" إلى "أدي" بلقب "صاحب الرعد" (أو المزمجر)، إلا أن الانتشار العام لعبادته في بابل يبدو أنه كان نتيجةً لعلاقات أوثق بين بابل والغرب. بصفته إله العاصفة، يُصوَّر "أدي" وهو يؤدي دوراً بارزاً في العاصفة التي تسببت في الطوفان. كان الرقم 6 هو رقمه المقدس، أما الرمز الأكثر تمييزاً لأنشطته فكان

البرق، إذ يُصوَّر عادةً ممسكاً به بيده اليمنى، بينما تحمل يده اليسرى فأساً. وكان الثور حيوانه المقدس، وهو رمز انتشر على نطاق واسع في أرجاء الشرق الأدنى القديم ويلقبونه بالسلطان ـ آدي .

كان للإله "أدي" معابد في بابل وبورسيبا وأربائيلو وأربخا وحلب وآديلب، كما شارك الإله "أنو" في استخدام زقورة بمدينة آشور كانت مخصصة له وحده في الأصل. وكان يمتلك معبداً شهيراً في حلب (قلعة حلب)، حيث كان الملوك الآشوريون يقدمون القرابين خلال حملاتهم العسكرية في سوريا وقد دوّن الملك "شلمنصر الثالث" في نقشٍ يُعرف بـ "نقش الثور" تفاصيل تقديم قربانٍ كهذا للإله "أداي" في حلب أثناء حملةٍ قام بها في السنة السادسة من حكمه.

تُعد الإلهة المرتبطة بالثالوث الثاني أشهر الآلهة الإناث وأكثرهنّ حظوةً بالعبادة في مجمع الآلهة البابلي والآشوري بأسره، وهي الإلهة "عشتار". والصيغة المعتادة لاسمها باللغة السومرية هي "إنانا" ورغم ارتباطها كما ذُكر سابقاً بالثالوث الثاني من الآلهة، إلا أنها أزاحت في وقت مبكر "أنتو " الزوجة الشرعية للإله "آنو " والتي اتسمت بشخصية غير مؤثرة عن مكانتها في الأخوية البابلية الحاكمة ، وحلّت هي محلها كمساعدة للإله الأسمى "آنو". ومع مرور الوقت، أخذت عشتار تستوعب في كيانها صفات معظم الآلهة الإناث الأخريات، حتى عُرفت بلقب "الإلهة" بامتياز.

تحتل عشتار مكانة بارزة في الميثولوجيا البابلية، ولا سيما في قصص الطوفان وملحمة جلجامش، التي سنتناولها بمزيد من التفصيل لاحقاً. وتُظهر شخصية عشتار جانبين متباينين تماماً فمن ناحية، هي إلهة الحب والإنجاب، وقد ارتبطت بمعابدها فئة من الأشخاص المقدسين عُرفوا باسم "الهيرودولات "العذراوات". ومن ناحية أخرى، كانت أيضاً إلهة الحرب لا سيما في آشور وتظهر في الأختام وهي متسلحة بالقوس وجعبة السهام بل إنها صُوِّرت أحياناً بلحية تشبه لحية الإله "آشور". وفي علم التنجيم البابلي، ارتبطت عشتار بكوكب "ديلبات " أي كوكب الزهرة كما نُسب إليها أيضاً "نجم القوس " أو نجم الشعرى اليمانية وكان رقمها المقدس هو 15، أي نصف الرقم المقدس الخاص بوالدها ، أما رمزها فكان نجمة ذات ثمانية أو ستة عشر شعاعاً. وعادةً ما تُصوَّر وهي تمتطي حيوانها المقدس الأسد أو تظهر برفقته، وإن كانت ترتبط أيضاً كما يظهر في "بوابة عشتار" في بابل بهيئة التنين المعروف باسم "موشخوشو " ..

وكما هو متوقع، كانت هناك مدن عديدة عُبدت فيها عشتار وأقيمت لها فيها معابد، إلا أن مركز عبادتها الرئيسي كان مدينة "أوروك" حيث ضمّ طاقم معبدها فئات من "العذراوات" من الذكور والإناث على حد سواء. وهناك،

عُبدت بصفتها "الإلهة الأم"، وبصفتها إلهة الحب والإنجاب. شملت المراكز الأخرى لعبادتها كلاً من آشور وبابل وكالح وأور ونينوى وأربيل، وفي المدينة الأخيرة، كانت تُبجَّل بصفة أساسية بصفتها إلهة الحرب.

من الشخصيات المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بعشتار وإن كان مكانها ورتبتها في مجمع الآلهةأعلى منه مرتبة نجد الإله السومري القديم "تموز". ويعني اسمه السومري "دومو-زي" "الابن الحقيقي" وهو إبن أنكي بينما هي إبنة ننار يعني أبناء عمام. ففي قوائم الملوك البابلية، وضمن الملوك الذين حكموا "قبل الطوفان"، نجد أكثر من اسم "دوموزي الراعي"؛ بينما نجد "دوموزي الصياد" ضمن ملوك السلالة الأولى في مدينة "أوروك" (التي سبقت عهد جلجامش مباشرة) في الفترة التي تلت الطوفان وهم ليسو تموز أو ديموزي المنتمي للأخوية البابلية . وفي النصوص الطقسية العديدة الخاصة بتموز، نجد تفاصيل أسطورة نزوله إلى العالم السفلي (موته الجسدي)، ونحيب عشتار على حبيبها، ونزولها هي الأخرى إلى العالم السفلي بحثاً عنه، ثم عودة الإلهين المظفرة إلى الأرض حاملين معهما البهجة والخصب مع حلول الربيع. ومن الواضح أن تموز يلعب دور إله الغطاء النباتي، إذ يموت بموت العام ويُبعث من جديد مع أزهار الربيع ومحاصيل الحبوب الناشئة. ومع تطور هذه العبادة لاحقاً في بابل، اتخذت أسطورة وطقوس "الإله الذي يموت ويُبعث" (طبعاً ذكر في مخطوطات سابقة تدخل الآلهة لإعادته الى الحياة) شكلاً نمطياً تمثل في "عيد رأس السنة البابلية الكبير" أو رأس السنة الشمسانية في نيسان ، وهو موضوع سنتناوله بمزيد من التفصيل لاحقاً. ورغم أن عبادة تموز توقفت عن كونها عبادة رسمية للدولة في بابل وآشور، إلا أنها ظلت محفوظة بين عامة الناس وانتقلت إلى سوريا وكنعان ..

وهناك شخصية انثوية أخرى في الأخوية البابلية وهي أريشكجال التي كانت حاكمة العالم السفلي الذي يُشار إليه عادةً بـ "أرض اللاعودة" في النصوص الدينية البابلية هي الإلهة المهيبة "إريشكيجال"، التي عُرف اسمها بالصيغة السامية "ألاتو". ووفقاً للمخطوطات البابلية، استدعت إريشكيجال الإله "نيرجال" للمثول أمامها ومساءلته عن عدم وقوفه احتراماً لرسولها "نامتار" أثناء اجتماع الآلهة، وحين مَثُل نيرجال أمامها، أمسك بشعرها وجرّها عن عرشها عازماً على قطع رأسها. عندئذٍ رضخت الإلهة واقترحت أن يتخذها نيرجال زوجةً له، فقبل العرض وشاركها منذ ذلك الحين حكم العالم السفلي وانتمى الإثنين للأخوية البابلية منذ ذلك الحين. أما في هيئته كإله للعالم العلوي، فيبدو أن نيرجال كان يمثل وجهاً من أوجه الإله "شي ـ شمش"، إذ جسّد الجانب المظلم والمُدمر لأنشطة إله الشمس، والمتمثل في إرسال الأوبئة والحروب والدمار والفيضانات. وكان يُعتقد أنه يقضي نصف العام في العالم السفلي والنصف الآخر في العالم العلوي. وقد كانت مدينة "كوثى" المركز الرئيسي لعبادة كل من إريشكيجال ونيرجال، غير

أن نيرجال حظي بعبادة واسعة النطاق في أنحاء بلاد الرافدين، وشُيدت له معابد في مدن "لارسا" و"إيسن" و"آشور".

يظهر "نامتار"، رسول الإلهة "إريشكيجال"، بشكل متكرر في النصوص السومرية فقد كان نذير الموت في العصر الحديث يطلق عليه عزرائيل ، وكان يتبعه ستون مرضاً يملك سلطة تسليطها على البشر. ومن الآلهة التي غالباً ما اقترنت بالإله "نيرجال" نجد الإله "إيرا" إله الطاعون الذي كان عدواً لدوداً للبشرية؛ وللحماية من أفعاله، كان يُدفن غالباً لوحٌ يحمل تعويذة سحرية تحت المنازل. وتُعد هذه الآلهة من أهم المعبودات الواردة في القوائم البابلية المبكرة .

لقد رأينا سابقاً أن عشتار كانت تُعتبر في آشور قريبة للإله آشور ابنه أخيه نِنار، وتحتل المكانة الأسمى بين الآلهة الإناث. وهناك إله آخر ورد اسمه في النصوص الآشورية هو "شولمانو . سلمانو" ، الذي يبدو أنه الصيغة الآشورية للإله "نينورتا". غالباً ما يصعب رسم خط فاصل بين الآلهة والأرواح الشريرة او تلك التي تسيطر على العالم السُفلي فعلى سبيل المثال، يُدرج "نامتار" في القوائم بوصفه إلهاً، ولكنه يظهر أيضاً ضمن "الأوتوكو" السبعة الأشرار أي الذين كثيراً ما يُشار إليهم في ألواح طقوس طرد الأرواح الشريرة. لقد لعبت الأرواح السفلية التي كان بعضها خيّراً لكن معظمها شرير دوراً كبيراً في الحياة اليومية للبابليين، وكان يُنظر إليها نظرة واقعية باعتبارها كائنات ذات أشكال مميزة وأسماء محددة. وفي عهد الملك آشوربانيبال، ورد في رسالة كتبها أحد الكتبة إلى سيده الملكي أنه أشرف على إعداد "صورة لابنة آنو (لاماشتو)، وصورة لنامتارو، وصورة لالاتاراك، وصورة للموت". وكانت مثل هذه الصور أو التماثيل الصغيرة تُستخدم لأغراض الحماية، سواء نُقشت على ألواح توضع في المنازل أو صُنعت كتماثيل تُدفن تحت عتبات الأبواب.

ألواح طرد الأرواح الشريرة. لعبت هذه الأرواح التي كان بعضها خيراً ولكن معظمها شرير دوراً كبيراً في الحياة اليومية للبابليين، وكان يُنظر إليها نظرة واقعية باعتبارها كائنات ذات أشكال مميزة وأسماء فردية. وفي عهد آشوربانيبال، يذكر أحد الكتبة في رسالة إلى سيده الملكي أنه أمر بإعداد "صورة لابنة آنو (لاماشتو)، وصورة لنامتارو، وصورة لالاتاراك، وصورة للموت". كانت مثل هذه الصور أو التماثيل الصغيرة تُستخدم لأغراض الحماية، سواء على ألواح توضع في المنازل أو كتماثيل تُدفن تحت عتبات الأبواب. من المقتنيات البابلية المألوفة ذلك اللوح الواقي (أو الطارد للأرواح الشريرة)، الذي يحمل على أحد وجهيه تعويذة لطرد الروح المخيفة "لاماشتو"، وعلى الوجه الآخر تصويراً لهذه الشريرة وهي تصعد من العالم السفلي لمهاجمة ضحيتها. وتُظهر العديد من هذه التصاوير أشكالاً كابوسية تجمع بين الهيئة البشرية والهيئة الحيوانية. وعلى النقيض من التصور المصري للآلهة التي غالباً ما تُمثَّل بأشكال حيوانية فإن الآلهة البابلية والآشورية تظهر دائماً في هيئة بشرية، وإن كانت غالباً ما تكون مصحوبة بحيواناتها المقدسة. وقد يعزى ذلك

إلى حقيقة أن البابليين وأسلافهم السومريين لم يمروا بمرحلة "الطوطمية" في تطورهم الديني، وهي المرحلة التي نعلم أن المصريين قد مروا بها.

يمكن تخصيص مساحة أكبر بكثير لوصف مجمع الآلهة الشمساني البابلي، إلا أننا قد استعرضنا بالفعل ملامح الشخصيات الرئيسية ، ويمكن القول إن العديد من الآلهة التي تشكل هذا المجمع الضخم ليست في الواقع سوى مجرد أسماء. فالكثير من الآلهة الصغرى، وبعض الآلهة الكبرى أيضاً، ما هي إلا تجسيدات لسمة واحدة أو لظاهرة طبيعية واحدة، ولكن تحت مسميات مختلفة. ومن الواضح أن العديد من هذه الآلهة لا تعدو كونها تجسيداً لأفكار مجردة ، فعلى سبيل المثال، تحمل قرينة "نبو" (إله الكتابة) اسم "تاشميتو" الذي يعني "السمع" بينما نجد في بعض النصوص الدينية البابلية المبكرة أن الإله "إيا" قد خلق إلهة تُدعى "زالتو" أي "النزاع" أو "الخصومة" لتكون نقيضاً لعنف الإلهة "عشتار". وعلاوة على ذلك، تكشف لنا النصوص الدينية عن وجود عملية مستمرة لدمج سمات آلهة متعددة في إله واحد، لا سيما في المراحل المتأخرة من التطور الديني البابلي.

ومع ذلك، يمكن أن نلمس من خلال ترانيم التوبة البابلية وجود شعور بعلاقة شخصية مع الإله آدي، وإحساسٍ يشبه إلى حد ما تجربة الشعور بالذنب والاغتراب التي نجدها في البانتيون الاشوري، إذ كان هذا الجانب حاضراً في التجربة الدينية البابلية، لا سيما في مراحلها المتأخرة وقبل مغادرة موضوع مجمع الآلهة البابلي، ثمة جانب من اللاهوت البابلي ينبغي تناوله بإيجاز، ألا وهو مسألة "الملكية الإلهية" التي كانت تطلق على ادي لقب ملك آدي في كل من بابل وآشور. بادئ ذي بدء، تجدر الإشارة إلى وجود فرق جوهري بين مفهوم الملكية في مصر ومفهومه في بلاد الرافدين، وهو فرق لم يحظَ بما يكفي من الاهتمام في المؤلفات السابقة التي تناولت هذا الموضوع.

عند النظر في المجموعة الأولى من النصوص، نجد رغم وجود اختلافات طفيفة تشابهاً عاماً وثيقاً بين الطقوس الليتورجية التي وصلتنا كاملة عن الديانة الشمسانية في بابل، إذ تتضح معالمها الرئيسية بجلاء. فالمستهل المعتاد يتضمن وصفاً لما حلّ بالهيكل والمدينة والشعب من ويلات وخراب، وذلك نتيجةً لانتصار القوى الشريرة في العالم السفلي على "تموز"، راعي شعبه. وتلي ذلك دعوةٌ إلى حدادٍ عام وشامل، حيث تحث "عشتار" التي تجمع بين صفات الأم والأخت والقرينة لتموز الكهنةَ وعامةَ الشعب على مشاركتها في النحيب. ويبدو هذا النحيب وكأنه صدىً لـ "كلمة" تموز نفسه أو صرخته المنبعثة من العالم السفلي، فتلك "الكلمة" تنطوي على قوة سحرية وتجلب دماراً لا رجعة فيه، ما لم يقم الإله نفسه بسحب "كلمته" تلك.

تستعرض هذه المراثي التي تتخذ طابعاً تبادلياً في الإنشاد مشهد دمار المعبد وخراب الأرض بمن فيها وما فيها من محاصيل، وذلك تحت وطأة العاصفة الهائجة التي أطلقتها قوى العالم السفلي، أو ما يُعرف بـ "هبوب الجبار الرهيب"،

وهي عبارة تتكرر باستمرار في هذه المراثي. وتصف المراثي بتفصيل دقيق الحالة المأساوية للإله الأسير فهو مقيد في العالم السفلي في "السهبة" القاحلة وقد غلبه نوم سحري، ملقىً وسط نباتات ذابلة تكتوي بحرارة لافحة. وتمضي المراثي لتصور أحزان عشتار فهي كزوجة فقدت زوجها، وأم ثكلى فقدت وليدها، كبقرة فقدت عجلها، وعنزة فقدت جديها، ونعجة فقدت حملها. وتشكل هذه المراثي المصحوبة بطقوس وأفعال محددة الجزء الأكبر من الطقس الديني. ثم تأتي مرحلة استشارة عشتار لعرّاف العالم السفلي، وإعلانها قرار النزول إلى ذلك العالم بحثاً عن زوجها، ويصاحب ذلك وصفٌ لتزين الإلهة استعداداً لرحلتها، إذ تذكر أنها كحّلت عينيها لأجله، وزيّنت كتفيها بأغصان الأرز العطرة، وألبست جسدها أثواباً براقة، ووضعت على رأسها إكليلاً متلألئاً من أجله.

ثم تنطلق صرخة من العالم السفلي من تموز الغائب تطالب بتقديم قرابين الاسترضاء وإعداد مأدبة طقسية. وعقب إعداد المأدبة، يأتي وصف لموكب احتفالي يضم ملوكاً مُؤلَّهين ذُكرت أسماؤهم بدءاً من "أور–نامو"، أول ملوك سلالة أور الثالثة (2294 ق.م)، ووصولاً إلى "بور–سين"، سابع ملوك سلالة إيسن (2040 ق.م) مما يتيح لنا تحديد فترة زمنية تقريبية لهذه الطقوس المبكرة، التي تسبق قليلاً عهد حمورابي.

ومع اقتراب كل ملك حاملاً هداياه، كان ينشد العبارة المتكررة "أبهِج قلبك بنباتك". وحينئذ تقول عشتار "مدفوعةً بصوت النبوءة، جئتُ إليك"، وتدعو تموز بجميع ألقابه، مختتمةً كلماتها بالقول "إليك يا ثوري البري في السهب، ويا حَمَلي في السهب سأوجه صلاتي". وتعلن عشتار مجدداً أنها تزينت وتألقت كشجرة الأرز لتُدخل البهجة على قلب ذاك طفلها وحبيبها الذي عبر النهر. ثم تأتي أغنية النصر الختامية التي تبدأ بعبارة "بندائك للرب، حررتَ شجرة الأرز النبيلة الخاصة بك من السجن". ويبدو أن الخاتمة عبارة عن ترنيمة تمجيد موجهة للآلهة التي التأم شملها في حجرة الزفاف.

إن أول استنتاج يمكن طرحه بخصوص هذه النصوص الطقسية هو أنها تمثل مرحلة مبكرة جداً من ديانة بلاد الرافدين، وربما تسبق بكثير الطقوس الأكثر تعقيداً الخاصة بعيد رأس السنة البابلية الشمساني التي ساهمت هذه النصوص في تشكيلها إلى حد كبير. ومن المعروف أن عبادة "أدونيس" كانت تحتل مكانة هامة في ديانة شمال سوريا كما أن نقاط التشابه العديدة بين طقوس تموز ونصوص "رأس شمرا" تعزز الرأي القائل بأن عبادة تموز كانت تشكل جزءاً من الخلفية الدينية العامة المبكرة في الشرق الأدنى. علاوة على ذلك، ففي حين أدت التطورات العمرانية والتحولات السياسية في بلاد الرافدين إلى تغيير شكل الطقس المركزي للدولة مما طمس إلى حد ما سماته الأصلية المرتبطة بالزراعة والخصوبة ربما حافظت كل من كنعان وسوريا على الكثير من الطابع الأقدم والأبسط لعبادة "تموز."

وهذا هو الشكل الذي اتخذته عبادة "تموز" كما تظهر في نصوص "رأس شمرا" والذي تواصل معه المستوطنون الاشوريون الأوائل. ومن المحتمل أيضاً أن تكون المجموعة الاشورية التي قدمت من بلاد الرافدين قد احتفظت بذاكرةٍ حول الطابع العام وأسلوب الطقوس والترانيم الخاصة بـ "تموز"، إذ توجد في الأدب الشعري الاشوري فقرات عديدة تشير لا إلى اقتباس مباشر، بل إلى تأثرٍ بأشكال أدبية معينة. ولا يتسع المقام هنا لأكثر من الإشارة إلى بعض أوجه التشابه الأسلوبي الأكثر بروزاً.

وتحتوي هذه الطقوس والترانيم على فقرات حية تصف تدمير معابد "تموز"؛ فبينما يرى "لانغدون" أن هذه الأوصاف تشير إلى أحداث تاريخية، يظل من المحتمل أن يكون الأمر متعلقاً بتدمير طقسي للمباني المقدسة كجزء من مراسم الاحتفالات السنوية المرتبطة باختفاء "تموز". ففي هذه الفقرات، نقرأ عن تدمير أعمدة المعبد وزخارفه المنحوتة، وعن تدنيس قدس الأقداس الذي لم تطأه قدم من قبل، وعن اقتحام الأعداء للحرم المقدس المكسو بأشجار الأرز، وعن تناثر جثث القتلى في ساحات المكان المقدس.

وإلى جانب هذه الأوصاف، تبرز شكوى من زوال المودة الفطرية؛ إذ توقفت الأم عن رعاية أطفالها، والأب عن رعاية صغاره، وانتُزع العرش المقدس من الحرم، واختفى الرب الذي كان يمنح المشورة والرد من خلال الوحي. ووصفٌ حيٌّ لتدمير الهيكل، يظهر تشابهاً لافتاً مع أوصاف الخراب الذي ألحقته قوى العالم السفلي بمعابد "تموز". ولعل الآية الخامسة التي تتسم ببعض الصعوبة تجد تفسيراً لها في وصف العدو ضمن الطقوس الليتورجية الخاصة بتموز بأنه يقتحم سياج أشجار الأرز المقدسة.

ويمكن التوسع كثيراً في هذا المسار من المقارنة، لكن المغزى العام يشير إلى أن الانتشار المبكر والواسع لهذه الطقوس في بلاد ما بين النهرين والمناطق الخاضعة لتأثيرها الثقافي قد وفّر مخزوناً من القوالب الشعرية والصور البلاغية المتاحة للاستخدام كلما دعت الحاجة أو سنحت المناسبة الملائمة كما حدث في الأديان اللاحقة التي اخذت من بلاد الرافدين الشريعة والناموس ووظفتها بطريقة اخرى. وهذا يعني هذا أن الأنبياء العبرانيين، أو مؤلفي الترانيم للمناسبات المقدسة، قد استمدوا نصوصهم مباشرة من مصادر بلاد ما بين النهرين، بل إنهم وظّفوا قوالب شعرية وصوراً مجازية قديمة، وطوّعوها للتعبير عن الأفكار الدينية الجديدة النابعة من تجربتهم الدينية الخاصة. وهذا يتماشى تماماً مع ما يُقرُّ بحدوثه في مجالات ثقافية أخرى،كمجالي القانون والطقوس، على سبيل المثال.

هناك نقطتا تلاقٍ أخريان تنبثقان من النصوص الطقسية (الليتورجيا). تتعلق النقطة الأولى التي سبق الإشارة إليها بالأهمية الخاصة المنسوبة إلى "كلمة" تموز، فعند هبوطه إلى العالم السفلي، يُصوَّر الإله وهو يطلق صيحات الويل

والندب على مدينته وأرضه. وتُعزى جميع المحن التي تعاني منها الأرض والشعب بما في ذلك إطلاق العنان للعواصف القادمة من العالم السفلي، وحتى المعاناة التي يواجهها الإله نفسه إلى القوة السحرية الكامنة في تلك "الكلمة". وطالما لم يسترد تموز كلمته، فلا الصلاة ولا التعويذة تجدي نفعاً في تغيير مجرى الأحداث. ولكن حين يستيقظ الإله من نومه السحري، يكون أول ما يحدث هو انطلاق صوته، إذ يزأر كالثور البري، وعندها يبدأ تحول أحوال الأرض نحو الأفضل، متزامناً مع عودة الإله إلى معبده. وفي اللغة المستخدمة لوصف "كلمة" تموز وآثارها مع التركيز على استحالة التراجع عنها وكذلك في الاستعارات المتنوعة لوصف صوت الإله، وسنعود لمناقشة هذه النقطة عند الحديث عن النصوص السحرية، ولكن التركيز هنا ينصب على الجانبين المختلفين لهذا الرمز. فيما يتعلق بالإله، ثمة عنصر طقسي كثيراً ما يظهر مصوَّراً على الأختام التي تعود لما قبل العصر السرجوني يتمثل في قطع شجرة على الجبل المقدس، وذلك تعبيراً عن موت الإله، إذ تنوح عشتار على فقدان شجرة الأرز النفيسة لديها. وتوجد هذه الممارسة الطقسية في فينيقيا، كما أن لشجرة "الجد" في الطقوس المصرية الدلالة ذاتها. ومن ناحية أخرى، فإن شجرة الأرز، بما تتسم به من شموخ وبأس، تُعد رمزٌ تستخدمه الإلهة مراراً للتعبير عن جاذبيتها، بينما تستعد للقاء زوجها الذي عاد إلى الحياة.

تُعد "السارية المقدسة" (الهليل في الايزيدية) باعتبارها رمزاً لـ شي . شمس وعنصراً شائعاً في أرجاء الشرق الأدنى القديم، في حين اتخذ الرمز الذكري شكل "العمود". غير أن شجرة الأرز تُمثّل، في هذه المرحلة المبكرة، كلاً من الألوهية الذكرية والأنثوية: فهي ترمز في حالتي السقوط ثم الانتصاب إلى الإله تموز الذي يموت ثم يبعث حياً وترمز بفضل خضرة أغصانها الوارفة وشذاها العطر إلى الإلهة التي تبحث عن زوجها. وثمة عناصر أخرى عديدة في النصوص الطقسية تستدعي النقاش، إذ تسلط الضوء على عبارات واستعارات غامضة وردت في البانتيون البابلي، غير أنه يتعين علينا الآن الانتقال إلى الفئة الأخرى من نصوص تموز، ألا وهي النصوص السحرية.

الفصل الرابع

الطقوس المركزية الشمسانية

تُبرز هذه النصوص مبدأً راسخاً في الديانة الشمسانية الرافدية (بلاد ما بين النهرين)، مفاده أن الطقوس المركزية الكبرى المرتبطة بالأعياد الموسمية تتسم في جوهرها بطابع كوزمولوجي مرتبط بالفلك الى حد كبير وبالثورات الشمسية ومواقع القمر، وأنها تشكل مصدراً لمجموعة متنوعة من الطقوس الثانوية أو العرضية التي يُوظَّف فيها ذلك العلم لتلبية احتياجات فردية، مثل علاج مختلف أنواع الأمراض والصداع والحمى والصرع وغيرها. يتألف الجزء الأول من الطقس من ابتهالات موجهة إلى عشتار وتموز (وآلهة أخرى ثانوية) مصحوبة بقرابين ذات طابع رمزي. وتبدأ الابتهالية الأولى بالكلمات التالية:

"في شهر تموز، حين تجعل عشتارُ شعوبَ البلاد تبكي على تموز ، وحين تجتمع عائلات البشر هناك، تظهر عشتار، وإذ ترى حال البشر، فإنها تزيل المرض وتسببه في آن واحد.

وفي اليوم الثامن والعشرين من الشهر يوم حظائر الأغنام ، عليك أن تقدم لعشتار رمزاً للفرج (العضو الأنثوي) مصنوعاً من حجر اللازورد، ونجمةً ذهبية وعليك أن تذكر اسم المريض وتقول: 'أنقذي المريض.'"

وفي اليوم التاسع والعشرين، يُعَدُّ سريرٌ لتموز (أي سرير جنائزي) وتُقدَّم للآلهة قرابين متنوعة من الطعام والشراب. وتُوجَّه المزيد من الابتهالات إلى تموز وعشتار، طلباً لطرد الأرواح الشريرة التي هاجمت المريض، ورجاءً بأن يأخذها تموز معه إلى العالم السفلي.

ثم تأتي تعليمات الطقوس اللازمة ، إذ يتعين على المريض الوقوف عند طرف سرير الجنازة الخاص بـ "تموز" وتغطية وجهه، دلالةً على أنه ميت. بعد ذلك، يضربه الكاهن سبع مرات بقصبة، وتضيف التعليمات "بمجرد أن تلمسه، تتغير حاله (أو هويته)". وتتضح طبيعة هذا التغيير المقصود من الكلمات التي تلي ذلك مباشرة "وهكذا تقول له: لتسر عشتار، حبيبتك، إلى جانبك". وهذا يعني أن المريض قد استبدل شخصيته بشخصية الإله. ثم يغادر المريض طرف السرير، ويرتدي ثوباً من الخيش (المسح)، ويجرح جسده، ويجثو أمام عشتار مصلياً "يا عشتار، أنقذي شعبك (أو ربما: رجلك، أي زوجك)". بعد ذلك، يقوم الكاهن بقص خصلة من شعر رأس المريض ونزع حزامه، وإلقائهما في النهر (الذي يرمز إلى العالم السفلي)، مصحوبتين باثني عشر رغيفاً ومقدار من الدقيق الناعم. وبهذا إذا جاز التعبير تكتمل عملية تبادل الشخصية. ثم يمتنع المريض عن تناول أطعمة معينة ويرتدي ثوب الخيش لمدة ثلاثة أيام،

وهي الفترة التي يقضيها تموز في العالم السفلي. وبذلك تكتمل الطقوس؛ وتكمن فاعليتها في تبادل الشخصية، حيث ينتقل المرض إلى الإله، فيموت المريض رمزياً ويبعث مع الإله، ويتحرر من سطوة الروح الشريرة.

يوضح هذا النص بجلاء مبدأ طقس "البوّ" أي طقس الاستبدال الذي وردت أشكال مختلفة منه في نصوص أخرى ضمن المجموعة ذاتها. ومن الأمثلة على ذلك حالة وفاة "شماش-شوم-أوكين" -المشار إليها في "الرسائل الآشورية والبابلية" لهاربر، رقم 437- باعتبارها موتاً استبدالياً (فداءً) عن نبلائه المتمردين. وهناك أيضاً "شار-بوهي" أي الملك البديل، الذي ظهر في مرحلة لاحقة من تاريخ الاحتفال بعيد رأس السنة الشمسانية البابلية. وفي نصوص سحرية أخرى تتصل بطقوس علاج أمراض شتى ناجمة عن وجود أرواح شريرة، نجد المبدأ ذاته معبّراً عنه بطرق مختلفة ففي أحد النصوص، يُتخذ الجدي (وهو رمز مألوف للإله تموز) بديلاً عن المريض ، هذه الطقوس لا يمكن أن يفهمها مترجم ألواح أو مستشرق دون أن يفهم العلم الباطن عند الايزيديين ..

يُقتل المريض رمزياً بخنجر خشبي، بينما يُذبح الجدي طقسياً بخنجر نحاسي. ثم يُعامل الجدي معاملة الميت فيُحنط ويُقام عليه المأتم ويُدفن وفق الطقوس المرعية، في حين يتماثل المريض للشفاء. وتشمل الأشكال الأخرى للبدائل الخنزير (وهو عنصر موجود أيضاً في طقوس رأس السنة)، والحمل، وتمثال من الطين يمثل المريض أو الروح الشريرة، وحتى الجرذ. ويمكن هنا ذكر مثال مثير للاهتمام بشكل خاص لطقسالـ بوّ ، إذ سيقودنا هذا المثال إلى مناقشة أصل عنصر الاستبدال في النظام الطقسي العبري. يتعلق الأمر بنص يصف حالة رجل مصاب بـ "روح الخرس" أي شكل من أشكال فقدان القدرة على الكلام (الحُبسة)، أو ربما، وبشكل أدق، شلل في عضلات الحلق. وكانت الطقوس المحددة لهذه الحالة تجري على النحو التالي: يُربط جدي عند رأس سرير المريض وتُقطع عصا من الحديقة وتُلف بصوف ملون، وتُجهز جرة مملوءة بالماء، ويُقطع غصن أرز من الحديقة. بعد ذلك، تُوضع العصا والجرة وغصن الأرز طوال الليل في مكان يُدعى "أبولي شا داراتي" (أي "بوابة الأبدية")، وهو اسم غامض المعنى. وفي الصباح، يُنقل الجدي والعصا وجرة الماء وغصن الأرز إلى حافة الصحراء، التي سبق توضيح دلالتها كرمز للعالم السفلي. تُترك العصا وجرة الماء هناك، بينما يُنقل الجدي وغصن الأرز إلى مفترق طرق؛ وهناك يُذبح الجدي ويُسلخ ويُفصل رأسه عن جسده، مع إبقاء الأطراف متصلة بالجلد. يُطهى اللحم، ويُلف جلد الجدي حول غصن الأرز، وتُوضع قرابين جنائزية من العسل والزيت في أوانٍ، ثم تُحفر حفرة ويُصب فيها العسل والزيت، ويُدفن فيها غصن الأرز الملفوف بجلد الجدي. وأخيراً، يتناول المريض شيئاً من اللحم المطهو. يبدو أن السطر الأخير الذي لحقه التلف للأسف كان ينص على أنه في اليوم الذي يبعث فيه شخص أو كيان ما (لم يُحدَّد هويته)، سيتحرر المريض من الكابوس الذي يثقل كاهله وسينفتح فمه.

وهنا، يتسم مبدأ الإحلال بشيء من التعقيد، لكنه يظل واضحاً بما يكفي؛ فجدي الماعز يمثل "تموز"، بينما قد ترمز شجرة الأرز إما إلى "تموز" أو إلى "عشتار" (والأرجح أنها ترمز للأخيرة)، ويتم دفنهما رمزياً في الصحراء. وفي هذه العملية، يُربط المريض بـ "تموز" ويُماثَل به إلى أقصى حد ممكن، لتكون النتيجة النهائية هي زوال مرضه.

والكثير من هذه الطقوس تمارس لليوم في الكثير من القرى والبلدات الايزيدية وكذلك بعض الأقليات في الشرق الأوسط كالدروز والعلويين ، وهي طقوس ليست سحرية بل محاولة جادة لتسخير قوى الطبيعة الكونية لخدمة حواس وجسد الكائن البشري .

غير أن هذه الموازنة تثير تساؤلاً حول أصل الجوانب المختلفة لطقوس القرابين البابلية. ففي التطورات اللاحقة لطقوس "تموز" كما نراها في النصوص الشمسانية تبرز ثلاثة مفاهيم مترابطة تتصل بموت الأضحية: أولاً، الفكرة التي سبق مناقشتها، وهي أن الأضحية تمثل رمزاً للإله ومن خلال تماهي المُقدِّم مع الأضحية، تتحقق عملية انتقال لمرض المُقدِّم أو إثمه إلى ذلك الرمز الإلهي. وبذلك، يشارك المُقدِّم رمزياً في معاناة الإله وموته وبعثه، محققاً بذلك الخلاص. وثانياً، تبرز فكرة استرضاء القوى المعادية في العالم السفلي إذ يُفترض أن ترضى تلك القوى بوجود البديل وهنا نجد عبارة "بوّ لإريشكيجال"، وثالثاً، نشأت فكرة أن جثة الأضحية أو دمها قد تكون وسيلة للتطهير، سواء كان ذلك لمبنىً مقدس (كما في طقوس رأس السنة) أو لفردٍ ما.

ليس هذا هو المقام المناسب للخوض في النظرية العامة لأصل القرابين لدى الشعوب السامية غير أنه يمكن الإشارة نظراً لارتباط الأمر بالمادة المطروحة إلى وجود مسارين رئيسيين تطورت عبرهما مؤسسة القرابين، حيث ينبع كل منهما من مصدر مختلف. ويمكن إرجاع أصل المجموعة الأولى إلى تطورات طقوسٍ مبكرة ارتبطت بموت الإله، وهي طقوس كانت تحتل مكانة مركزية في المراحل الأولى للديانة الشمسانية في الشرق الأدنى. يُعتقد أن المجموعة الثانية قد نشأت من تصور الإله بوصفه مالكاً للأرض، يمتلك مسكناً ويحيط به جمعٌ مُنظَّم من الكهنة وخدم المعبد؛ إذ كان يُعترف بلقب الإله ومكانته من خلال تقديم القرابين المأخوذة من قطعان الماشية ومن ثمار الأرض، مع الحفاظ على فكرة مفادها أن الآلهة بحاجة إلى وجباتها اليومية.

في مجموعة الطقوس الأكادية ، نجد ترتيبات مخصصة لـ "الوليمة الكبرى" و"الوليمة الصغرى" أو ما يمكن تسميته بـ "الإفطار" وبذلك كان يتم تأمين احتياجات القائمين على خدمة المعبد الشمساني. وتتوفر لدينا قوائم تتضمن الحيوانات والطيور والزيت والخبز، وكل ما يلزم لمائدة الآلهة وقد احتوت إحدى أقدم الألواح التي فُكّت رموزها والمكتشفة في "رأس شمرا" على قائمة من هذا القبيل. لقد كان هذا المبدأ قابلاً للتوسع بشكل كبير، ومن هنا نشأت فئة من القرابين لا ترتبط بالأفكار الثلاثة الرئيسية المتمثلة في الاستبدال (الفدية)، واسترضاء الإله، والتطهير. كانت

هذه القرابين بمثابة هدايا لم تكن طوعية تماماً، بل نابعة من طبيعة العلاقة بين الإله والمتعبد وكان الهدف منها الحفاظ على تلك العلاقة في حالة مرضية.

أوضح الفصل السابق أن الآلهة الرئيسية في المجمع الإلهي البابلي كانت تحظى بمدن تُعد مراكز خاصة لعبادتها؛ فمدينة بابل كانت مقر الإله "شي شمش" الذي تبوأ المكانة الأسمى بين الآلهة الأخرى المعبودة فيها، وكان للإله "شمش" (إله الشمس) مقر في مدينة "سيبار"، بينما عُبد الإله " شي سين" (إله القمر) في مدينتي "أور" و"حران". وفي هذه المراكز المحلية، كان لكل إله مسكنه الخاص الذي أطلق عليه السومريون اسم "البيت العظيم والذي شكّل نواة لمجمع من مباني المعبد، تتفاوت أحجامها تبعاً لأهمية الإله وثراء المدينة. وكانت هذه المباني تضم طاقم المعبد من الكهنة والكاهنات الذين تولوا أداء كافة المهام المتعلقة بعبادة الإله وإدارة ممتلكاته وأراضيه. ويهدف هذا الفصل إلى تقديم وصف للمعبد البابلي أو الآشوري وطاقم الكهنة العاملين فيه.

كشفت الحفريات الأثرية أن مباني المعابد في المدن الكبرى مثل بابل أو أور كانت تتسم بتصميمات معقدة ومتقنة وتشغل مساحات شاسعة من الأرض. غير أن المكان الذي كان يُحفظ فيه تمثال الإله وتُطلب فيه مشورة الكاهن في المراحل المبكرة لنشوء العبادة، ربما كان بسيطاً ومتواضعاً للغاية إذ لم يكن يتعدى كونه كوخاً مبنياً من الطين والقصب. ولدينا تصوير لمثل هذا المزار البسيط على لوح صوري شهير عُثر عليه في مدينة "كيش". كما يُظهر نقش بارز مبكر جداً من المرمر محفوظ في المتحف البريطاني كوخاً من القصب تظهر بجانبه حزمتان من القصب تمثلان الرمز المميز للإلهة الأم "إنانا"، ويُعد هذا الكوخ بمثابة حظيرة مقدسة للأغنام، ويمكن اعتباره نموذجاً مبكراً للمباني المقدسة. ولكن بحلول نهاية الألفية الثالثة قبل الميلاد، تطور ذلك المزار البسيط ليصبح مجمعاً واسعاً من المباني يتوسطه المعبد نفسه، وتحيط به مصليات جانبية للآلهة الأقل شأناً، وغرف للكهنة، ومطابخ، وقاعات للدراسة، ومكتبات، ومذابح للقرابين، والعديد من الغرف الأخرى المخصصة لأغراض متنوعة تتصل بعبادة الإله وخدمته.

كانت المدن الكبرى تزخر بالعديد من المعابد؛ فعلى سبيل المثال، ووفقاً للوثائق المعاصرة والقوائم الوصفية، ضمت مدينة بابل في عهد نبوخذ نصر الثاني ما لا يقل عن ثمانية وخمسين معبداً مكرساً لآلهة محددة، ناهيك عن معابد أخرى عديدة لم تكن مخصصة لآلهة بعينها. ومن هنا يتضح الدور المحوري الذي لا بد أن طبقة الكهنة قد لعبته في حياة هذه المدينة العظيمة. لقد جرت عمليات تنقيب للكشف عن مواقع العديد من المعابد في بابل وآشور خلال النصف قرن الماضي، وأظهرت الدراسات تبايناً كبيراً في المخططات المعمارية لهذه المعابد؛ ومع ذلك، فقد اشتركت جميعها في سمات أساسية، منها وجود فناء مركزي وحجرة مقدسة داخلية (تُعرف بـ "السيلا") تحتوي على كوة وقاعدة مخصصة لتمثال الإله. أما المعابد الأكبر والأكثر أهمية، فكانت تضم أفنية أصغر تحيط بها غرف مخصصة لارتداء

ملابس الكهنة، ومخازن، وغرف لأغراض متنوعة. ويمكن اعتبار مخطط معبد "ايزيدا" في بابل نموذجاً لتصميم المعبد التقليدي؛ إذ يتألف المعبد من مساحة مسورة مستطيلة الشكل تمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، وهو توجيه يتناسب مع طبيعة "ايزيدا" بصفته إلهة للعالم المادي، حيث كان يُعتقد أن العالم المادي جزء من نطاق سيطرة الإله "إيا" (سيد المحيط)، الذي حدد البابليون موقعه في الخليج إلى الجنوب الشرقي من بابل.

كان المعبد يضم فناءً مركزياً كبيراً وفناءين أصغر حجماً يتصلان به من الجهة الغربية. وقد وقع الباب الرئيسي للمعبد ومدخل الفناء المركزي الذي أطلق عليه البابليون اسم "كيس سلمانو" أو "الفناء المهيب"في الجهة الشمالية. وعند الدخول من الباب الرئيسي، كان يواجه المتعبد جداراً مصمتاً؛ ولم يكن بوسعه رؤية الممر المؤدي إلى الغرفة التمهيدية والكوة التي ينتصب فيها تمثال الإلهة إلا بعد عبور الفناء الأمامي ودخول الردهة. وفي أيام الأعياد، كان موكب المتعبدين والكهنة يدخل من البوابة الرئيسية، ويعبر الفناء الأمامي والردهة وصولاً إلى الفناء المركزي، ثم يدخل الغرفة التمهيدية ليضع الهدايا التي جلبوها أمام الإلهة في حجرتها المقدسة. ثم كان الموكب يخرج عبر ممرٍّ في الجانب الشرقي من الردهة، صعوداً في ممرٍّ ضيق الممر المؤدي شمالاً والخروج عبر الباب الجانبي جهة الشرق، وذلك لتجنب التداخل مع القادمين. وكانت كل ساحة من الساحتين الأصغر حجماً محاطةً بغرف للمعيشة وأخرى أصغر، لتشكل بذلك مسكناً للكاهن الأكبر ومساعديه.

كان الإله "ايزيد" يُحظى بطلب واسع بصفته إله للشفاء، ويشير التصميم المتقن للممرات والغرف الجانبية إلى تخصيص أماكن لرعاية المرضى وممارسة الكهنة لمهامهم العلاجية. وسنتناول في فصل لاحق الطقوس والتعاويذ التي كان الكهنة يستخدمونها في علاج الأمراض. كان معبد "شي شمش" الإله الحامي لمدينة بابل بطبيعة الحال أكبر المعابد البابلية وأكثرها روعة وفخامة. وقد عُرف باسمه البابلي "إيساجيلا"، أي "البيت الذي يرفع رأسه عالياً". كان المعبد عبارة عن مجمع واسع مستطيل الشكل يقع على الضفة الشرقية لنهر الفرات، وتحيط به أسوار عالية ذات أبراج. وفي الجزء الشمالي من الساحة الكبرى، كانت تقوم "الزقورة" أي برج المعبد الشمساني المعروفة باسم "برج بابل" والتي سيأتي ذكرها لاحقاً، بينما ضم النصف الجنوبي من الساحة معبد "شي شمش" ومعه خمسٌ وخمسون مقصورة جانبية. وكان "الطريق المقدس" أو طريق المواكب يمتد بمحاذاة الجانب الغربي للمعبد، حيث توجد البوابات الأربع الكبرى التي كانت تدخل منها المواكب وتخرج من الحرم المقدس. وقد تنافس الملوك البابليون والآشوريون في إغداق الهدايا على هذا المعبد العظيم فعندما أُعيد بناء المعبد في عهد الملك "أسرحدون"، قدّم الملك أواني من الفضة والذهب بلغت قيمتها خمسين "مينا"..

الزقورة. وُجدت هذه السمة المميزة لمجمع مباني المعابد في معظم مواقع المدن القديمة التي تم التنقيب عنها في بلاد ما بين النهرين. تنوع شكل الزقورة في المواقع المختلفة، لكن نمطها العام كان عبارة عن برج مستطيل كبير، يرتفع على مراحل متناقصة الارتفاع إلى قمة عليها غرفة فيها ثقوب دائرية لها علاقة قوية بدورات الشمس والقمر وفي داخلها خطوط محددة كان البابليون يستخدمون هذه الخطوط لتعريف الأوقات وتحديد التواريخ ، حيث كان يُحتفل بطقوس الزواج المقدس من خلال وقوع اشعة الشمس على هذه الخطوط. وكانت المراحل المختلفة تُصعد عبر منحدرات أو سلالم خارجية. أسفل المبنى كانت توجد حجرة، تُسمى أحيانًا "جيجو"، والتي لا يتفق العلماء تمامًا على الغرض منها، ولكنها ربما كانت تُستخدم لجزء مهم من طقوس رأس السنة لا سيما دخول الشمس من ثقب دائري يوضه لهذا الغرض تماماً وتوجد غرفة مماثلة في معبد لالش اليوم. لم تكن الزقورة، مثل الهرم المصري، مقبرة ملكية لكنّ الاعتقاد السائد بأنه كان مكان لتحديد الأعياد التواريخ المقدسة ، من المؤكد أن الزقورة بالمعنى الدقيق للكلمة، معبدًا عادياً ، أي مسكنًا لإله بل كانت مبنىً مقدسًا ولعبت دورًا بالغ الأهمية في الطقوس البابلية العظيمة. وراء القصة الايزيدية عن الغرض من برج بابل، تكمن حقيقة أن البابليين القدماء اعتبروا الزقورة بمثابة رابط بين السماء والأرض. كان الأكيتو عيداً خاصاً، عادةً ما يكون منفصلًا عن المجمع المركزي لمباني المعبد،كان له دورٌ هام في احتفالات رأس السنة. وكان المكان الذي حيث كان الموكب المقدس، بقيادة مردوخ، ينطلق في اليوم العاشر من نيسان من الاحتفال من إساجيلا، لأداء جزء أساسي من طقوس رأس السنة. يجب علينا الآن أن نتناول طبيعة ووظائف العاملين في المعبد. الكهنوت، في الفترة المبكرة لمدن سومر وأكاد، كان حاكم المدينة، المسمى بالسومرية باتيسي (أو إنسي)، وبالأكادية عاشقو ، يمارس الوظيفة المزدوجة كاهن و ملك. ولكن بمرور الوقت، انفصلت الوظيفة الكهنوتية، وظهرت طبقة خاصة من الأشخاص المقدسين الذين كانت مهمتهم العمل كوسيط بين الإله وشعبه.

يصل الموكب خلال ثلاثة أيام من المشي والطقوس الى معبد شي شمس وهناك تبدأ عملية بالإحتفال برأس السنة الايزيدية التي تصادف الأربعاء الأولى من نيسان الشرقي (يختلف التقويم الشرقي عن الغربي بـ 13 يوم) لهذا تصادف بين 13 أو 16 نيسان في التقويم الغربي الگريگوري ، بما أن الإله كان يُعتبر مالك الأرض، والناس مستأجرين لديه، فقد كان جزءٌ هامٌ من واجبات الكهنة الشمسانيين يتمثل في إدارة ممتلكات الإله وجمع معاشاته ورسومه. أقدم الألواح المكتوبة المعروفة لدينا جاءت من معبد عشتار في أور، وتتألف من سجلات لهذه الرسوم المدفوعة عينيًا للكهنة الشمسانيين. لكن واجبات الكهنة الذين شكلوا طاقم أحد معابد المدينة الكبرى كانت واضحة، وقائمة بفئات الكهنة المختلفة ستعطي فكرة عن نطاق أنشطتهم. لا توجد كلمة في اللغة الأكادية تعني "كبير الكهنة" (إلا إذا كان لقب شنغو ماه يحمل هذا المعنى)، ولا شك في ذلك لأن الملك كان في الأصل رئيسًا

للأنشطة الدينية والدنيوية لدولته. لكن بمرور الوقت، تولى كاهن يحمل لقب أور ـ كالو، والذي لا تزال وظائفه الأصلية غامضة، المكانة الرئيسية في الكهنوت ونجده يؤدي الطقوس المركزية في الاحتفالات الموسمية الكبرى. فيما يلي أسماء الفئات الرئيسية للكهنة كما نعرفها من النصوص الدينية المختلفة من بابل وآشور.

(أ) كهنة كالو (القوالون). كانت موسيقى المعبد من اختصاص هذه الفئة من الكهنة.

وكانت وظيفة كهنة كالو (القوال) هي "تهدئة قلوب الآلهة العظيمة" من خلال ترتيل الترانيم والصلوات المصحوبة بالآلات الموسيقية، وأهمها الشبّاب المقدّس المصنوع من جذوع الأشجار الخالدة على كوكبنا ، تعاملت فئة مهمة من الكهنة الشمسانيين مع ذلك الجانب من الديانة البابلية الذي كان يتعلق بالاعتقاد بالأرواح الشريرة وأنشطتها. كان يُطلق على كهنة البحث اسمي "ماسكو ماشو" و"عشبو"، وكانت وظيفتهم حماية الفرد من شرور الأرواح الشريرة من خلال أداء الطقوس وترديد الأقوال الدينية. كانت المرأة الحامل معرضة بشكل خاص لهجمات الأرواح الشريرة أثناء تأدية الطقوس الشمسانية وللحماية، كانت تستدعي العشبو الذي كان يلبي حاجتها من خلال طقوس ربط العقد المقدسة وترديد الأقوال المناسبة.

كان يُعتقد أن العديد من الأمراض الشائعة ناتجة عن أنشطة الأرواح الشريرة ولمواجهة هذه الأنشطة، كان يُستدعى الكاهن الشمساني لأداء الطقوس وترديد الأقوال التي من شأنها أن تُحرر المريض من سلطان الروح الشريرة. كمثال على هذه الطقوس، لدينا نص ينص على أنه يجب على المؤمنين ان يتحصنوا بالأقوال والنصوص التي تجنبهم 60 مرضاً وكان الجميع توّاقاً لحفظ هذه الاقوال وخاصة اثناء السفر او المرور بالغابات والبحار وغيرها ، كانت هناك طبقة كهنوتية قديمة وهامة للغاية تُعرف باسم "أور ـ كالو" أو "العراف ـ الكوجك". كان يراقب الطوالع ويفسر الأحلام. وكان يرافق الملك في حملاته ويتخذ القرارات بشأن الأيام المناسبة لبدء مشروع ما. وشمل عمل الكوجك تنظيم التقويم، ومراقبة الهلال والكواكب، وتحديد الأيام السعيدة والنحسة؛ وقد ورد ذكر أنشطته مرارًا في مراسلات الدولة لملوك آشور. لم تقتصر الكهنوتية على الرجال، بل كانت النساء جزءًا من طاقم المعابد الكبرى. وكان الانتماء إلى طبقة الكاهنات شرفًا، ونسمع عن العديد من الملوك الذين كرّسوا بناتهم للكهنوت. وقد وضع قانون حمورابي قواعد لسلوكهن وحدد حقوقهن المدنية. وعاشت بعضهن في مسكن خاص أو مزار قريب من دارها ولكن بشكل عام، كنّ يتمتعن بحرية التنقل في المجتمع. كانت أهم وظائفهن هي العمل كنساء مقدسات في المهرجانات الموسمية الكبرى.

اسمهم الأكادي، قاديشو. وبطبيعة الحال، احتوى معبد عشتار على طاقم كبير من هؤلاء النساء، اللواتي عُرفن بالاسم الخاص إشتاريتو (العشتاريات) . وباستثناءات قليلة، كان من المعتاد أن تصبح الكهنوت وراثية، وأن تُنقل المعرفة الخاصة بمختلف وظائف الكهنوت من الأب إلى الابن ولذلك لم يكن هناك قانون للعزوبية لرجال الدين البابليين. واعتُبرت معرفة الطقوس سرًا يجب الحفاظ عليه بشدة. في نهاية نص طقسي، غالبًا ما نجد خاتمة نصية تتضمن عبارات مثل "يجوز للمبتدئ أن يرى الطقوس التي ستؤديها، أما الغريب أو الدخيل فلا يجوز له رؤيتها، وإلا سيُقصر عمره (يتبع الايزيديون لليوم هذه التعاليم). على المُتَنَصِّر أن يُعلّمها للمُتَنَصِّر أما الشخص غير المُتَعَصِّر فلا يجوز له رؤيتها فهي من بين الأمور التي حَرَّمَها الآلهة العظام، آنو، وإنليل، وإنكي . كان مسار التدريب للكهنوت طويلًا وشاملًا. كان مجرد تعلم نظام الكتابة المسمارية المُعقَّد، وإتقان اللغة السومرية كلغة مقدسة للطقوس، مهمة شاقة بحد ذاتها. خضع مُنشدو المعبد والعازفون لدورة تدريبية مدتها ثلاث سنوات، ومن المُرجَّح أن الرتب العليا من الكهنة كانت تحتاج إلى فترة تدريب أطول بكثير. تُظهر الأختام البابلية القديمة أنه كان من المُعتاد في البداية أن يؤدي الكهنة وظائفهم برداء ابيض كامل لكن لاحقًا، أصبح الزي المعتاد لخادم المذبح ثوبًا أبيض من الكتان فيه نقوش بُنية اللون . وفي بعض مع ذلك، كان الكاهن يظهر مرتديًا رداءً أحمر، ربما لإثارة الخوف في الأرواح الشريرة ولسبب مماثل، كان الكهنة يرتدون أقنعة أثناء أداء الطقوس وخاصة أولئك الذين لم تكن اللحية تغطي كامل وجوههم لم يكن تعدد المناصب أمرًا نادرًا؛ فقد ورد ذكر كاهن في عهد شمشو إيلونا كان يشغل في آن واحد منصب سكرتير الهيكل، وكاهن المسح، وصانع الجعة، وبواب الهيكل، ومطهر ساحة الهيكل، وكان لكل منصب منها راتب خاص به. تفاوت عدد الكهنة التابعين للمعبد تبعًا لأهمية كل من المدينة والإله الذي ينتمي إليه؛ ولكن في معابد المدن الكبرى، كان عدد الموظفين كبيرًا جدًا.

في قائمة موظفي معبد الإلهة باو في عهد أوروكاجينا، حوالي عام 2600 قبل الميلاد، تم إحصاء 736 شخصًا. وفي وقت لاحق، في العصر الذهبي للسلالة البابلية الحديثة، بلغ عدد موظفي معبد مردوخ على الأرجح عدة آلاف. ولعلّه ليس من المستغرب أن نجد شكاوى من إساءة استخدام السلطة والامتيازات من قبل الكهنة، على غرار تلك التي نجدها لدى أنبياء إسرائيل. يتهم الملك أوروكاجينا الكهنة بالاستيلاء على أفضل الماشية لأنفسهم، ونهب حدائق الفقراء. وفي وقت لاحق، نجد كاهنًا يتهم زميلًا له بالافتراء عليه أمام الملك، مدعيًا أنه فتح صندوقًا مختومًا وسرق أحجارًا كريمة؛ بينما يبلغ كاهن معبد نينورتا الملك أن مسؤولًا رفيعًا في المعبد قد أخذ بعض الذهب من القبة الذهبية للإله.

تُظهر مراسلات ملوك آشور مدى الدور الكبير الذي لعبه الكهنة في شؤون البلاط وبشكل عام، كانت سلطة الكهنة تتزايد أو تتناقص مع تزايد أو تتناقص السلطة المدنية للدولة. في ظل حكم ملوك آشور الأقوياء، كان نفوذ الكهنة محصورًا بدقة في نطاق اختصاصه. لكن في بابل، نظرًا للمكانة المرموقة التي احتلتها تلك المدينة كعاصمة دينية لبلاد ما بين النهرين، حتى بعد تراجع أهميتها السياسية، مارست الكهنوت دائمًا سلطة كبيرة لا سيما خلال الأيام الأخيرة من الإمبراطورية البابلية الحديثة، التي كان آخر ملوكها، نابونيد، كاهنًا وعضوًا في هيئة الكهنة. ومع ذلك، كان هناك امتياز واحد لم يتنازل عنه ملوك بابل وآشور أبدًا ألا وهو حق تعيين مرشحيهم في المناصب الكهنوتية العليا، وهو حق غالبًا ما كان يُمارس لصالح أقاربهم.

تُفيدنا السجلات بأن آشوربانيبال عيّن شقيقيه الأصغرين كاهنين رئيسيين للإلهين "آدي" و" شي سين" على التوالي، في حين كان من المألوف تعيين ابنة الملك في منصب "سيدة البيت"، أي الكاهنة الرئيسة (مجيور). وعلينا الآن أن نتناول مختلف الطقوس والممارسات الشعائرية التي شكّلت ملامح السنة الدينية البابلية، والتي يمكن إدراجها جميعاً تحت المصطلح العام "العبادة" ..

عندما نتناول قصص الخلق البابلية، سنجد أنها تتخذ أشكالاً متنوعة للغاية، غير أن القاسم المشترك بينها جميعاً تقريباً هو فكرة أن الإنسان قد خُلق من أجل "دلو"، أي خدمة الآلهة. وقد كان يُنظر إلى هذه الخدمة بمنظور مادي وحرفي بحت إذ كانت الآلهة تحب الطعام والشراب والموسيقى والرقص، وتحتاج إلى أسرّة للنوم والاستمتاع بملذات المعاشرة الزوجية، كما كان لا بد من غسلها وإلباسها وإرضائها بالروائح الطيبة، وإخراجها في مواكب احتفالية في المناسبات الرسمية. كانت كل هذه الأنشطة تستند إلى افتراض خيالي بأن تماثيل الآلهة كائنات حية، إلا أن الأمر كان يتجاوز مجرد الخيال بالنسبة للبابليين القدماء، ففي "بيت ممو" أي ورشة الحرفيين التي تُصنع فيها التماثيل وقبل تثبيت التماثيل في مقاصيرها المقدسة، كان يتعين عليها الخضوع لطقوس معينة تُعرف باسم "ماسي" أي "غسل الفم"، و"بيت–بي" أي "فتح الفم" وهي طقوس كان يُعتقد أنها تمنح التماثيل الحياة. وكانت الطقوس اليومية في المعبد تتمحور في المقام الأول حول غسل تماثيل الآلهة إذ كانت المقاصير تُجهّز بطاولات ذات درجات، تُوضع الزهور على إحداها، بينما يُوضع الطعام والشراب المخصص للآلهة على الأخرى (سماط) . كما كانت توجد مبخرة أو مواقد لحرق البخور، وكان الكاهن القائم على الخدمة يرش الماء النقي لتطهير المقصورة التي تُقدم فيها هذه الوجبات. أما الطعام المُقدَّم للآلهة فكان يتألف من الخبز والفطائر، ولحوم حيوانات متنوعة كالثيران والأغنام والماعز والغزلان بالإضافة إلى الأسماك والدواجن بأنواعها المختلفة.

في أوقات الأزمات الخطيرة التي واجهت الملكية، كان من الممكن أن يحل بديل بشري محل الملك (المخطوطات تشير الى ان الملك كان من أصحاب الأعمار الطويلة)، بل وربما يواجه الموت درءاً للعواقب الوخيمة التي قد تلحق بالدولة. وسنتناول لاحقاً العلاقة بين هذا الاستبدال وطقوس رأس السنة والفرق بين الانسان والبشر . ويمكن الإشارة إلى جانب أخير من جوانب القرابين، ففي اليوم الخامس من مهرجان رأس السنة، كان كاهن طقوس الطرد (المعروف بـ "ماش ماشو" أو كاهن الرقى) وكاهن الذبح يقومان بقطع رأس خروف، ثم يمسحان بجسد الخروف جدران المزار وبابه وبذلك كانا يزيلان طقسياً أي دنس أو نجاسة وينقلانها إلى جسد الخروف. بعد ذلك، كان يُلقى على رأس الخروف دعاء يرغب به المرء ويقومون بحرقه كاملاً الى ان تأتي رائحة القرنين منه ليتأكدون أن هذه الرائحة انتشرت في الهواء وتم نقل الأمنية من خلال الدعاء ..

ننتقل الآن من الطقوس اليومية لخدمة الآلهة الشمسانية إلى المناسبة الدينية المحورية في التقويم العام البابلي. ولا داعي للتأكيد على حقيقة أن سكان وادي دجلة والفرات كانوا شعباً يعتمدون على الفلك الى حد كبير ومن ثم، فإن نمط عامهم الديني كان يتبع تعاقب الفصول واصطفافات الكواكب وتقدمها وتراجعها وكذلك مواقع القمر. وتتمثل المحطتان الرئيسيتان في عام الاعياد في فصل الربيع حين تظهر البراعم والنباتات الجديدة وفصل الخريف والانقلاب فيه حين تُجمع ثمار الأرض بأمان ويمكن اعتبار أي من هاتين المحطتين بدايةً للعام. ونعلم من الأدلة المستمدة من نصوص الطقوس البابلية أن كلا الموسمين كانا يمثلان مناسبةً لاحتفال رأس السنة الأولى في نيسان والثانية في التجمع أو الجماعية في العاشر ففي مدينتي "أوروك" و"أور"، على سبيل المثال، كانت تُقام احتفالات في فصلي الربيع والخريف بشكل دائمي ..

أما في بابل، فقد كان المهرجان يُقام خلال الأيام الأحد عشر الأولى من شهر "نيسان" في فصل الربيع وقد أدت مكانة بابل المرموقة إلى شيوع الاحتفال بهذا المهرجان في فصل الربيع. ورغم أن النصوص الطقسية التي تصف مجريات المهرجان ليست كاملة، إلا أنها تغطي الجوانب الأهم من تلك المراسم. ونظراً لأن سرد كافة تفاصيل هذا العرض الطقسي الشامل والمُفصَّل سيستغرق وقتاً طويلاً، فإننا سنكتفي بوصف أبرز أفعال الطقس وشعائره.

وخلال أيام المهرجان، كانت تُتلى "ملحمة الخلق" مرتين. ومن المرجح أن سلسلة الطقوس المُؤدَّاة كانت تهدف إلى محاكاة درامية ذات غاية سحرية للسمات الرئيسية لأسطورة الخلق التي تجسدها الملحمة الشمسانية. وتتمثل هذه السمات في صراع بين الإله "المادة" وتنين الفوضى "النفس"، حيث يخرج اله "المادة" منتصراً غير أنه في مرحلة ما من الأسطورة لم تَرِد في "ملحمة الخلق" ذاتها ولكننا نعرفها من مصادر ايزيدية اخرى يتعرض الإله للهزيمة والقتل، ويظل جثة هامدة "في الجبل"، وتنتصر النفس والهتها وهناك الكثير من الاقوال والنصوص الايزيدية لحد هذا اليوم

تجسد هذا الصراع وتجعلنا ندرك عمق التعاليم التي كانت مخصصة بالفعل لتنور والبشر وانتقالهم من مرحلة البشر بعمر قصير وغرائز حيوانية الى انسان طويل العمر بوعي الهي وغرائز روحية تطلب الترقي في النور وفهم معنى الهيكل العظيم لخالق الوجود ..

وارتبطت بمعنى الطقوس الخالدة في هذه المرحلة طقوسٌ بالغة الأهمية كان للملك فيها الدور الرئيسي ففي اليوم الخامس، كان الكهنة الشمسانيون يُدخلون الملك ويضعونه أمام تمثال "الاله" ويتركونه وحيداً. ثم يدخل كبير الكهنة وينزع عن الملك شاراته الملكية ليضعها على مقعد أمام الإله. وبعد ذلك، يضع الكاهنُ يده على رأس الملكَ ، يتلو الملك إقراراً (اعترافاً) محدداً يعلن فيه براءته من أي أفعال قد تلحق الضرر ببابل وشعبها ودينها ، فيرد عليه الكاهن بتقديم بركة من الإله ووعود بالنجاح والازدهار. وحينها ينهض الملك ويستعيد شاراته الملكية من يدي الكاهن، الذي يعاود وضع يده على رأس الملك ويباركه. وكان الهدف من هذا الإجراء الغريب هو الحصول على فأل فإذا تسببت اليد في ذرف الدموع، كان ذلك دليلاً على رضا الإله، أما إذا لم يحدث ذلك، فكان يُعد علامة على غضب "الإله" ونذيراً بوقوع كوارث. ومن الواضح أن هذا الجزء من الطقوس يرتبط بموت الإله وبعثه رمزياً وهو الحدث الذي يُجسَّد في هذه المرحلة من احتفالات رأس السنة وله دلالة مزدوجة فمن ناحية، يعكس الغاية الزراعية للطقوس، والمتمثلة في استخدام وسائل فلكية ونوعية لتعزيز نمو نباتات الربيع ومن ناحية أخرى، قد يشير إلى حقبة أقدم كانت فيها عملية قتل الملك وتنصيب خليفة له أكثر شباباً وقوة حدثاً موسمياً ..

أما بقية جوانب الطقوس، فقد شملت مراسم تُعرف بـ "تحديد الأقدار"، حيث يُحدَّد مستوى الازدهار في العام الجديد، بالإضافة إلى مراسم "الزواج المقدس" بالغة الأهمية، والتي يُرجح أنها كانت تُقام في مقصورة تقع عند قمة الزقورة. وفي هذه المراسم، كان الملك يمثل الإله، بينما تؤدي كاهنة رفيعة المقام دور الإلهة. كانت هذه الطقوس تُعدّ أمراً جوهرياً لضمان خصوبة الأرض. وكانت تتضمن موكباً يسير عبر "الطريق المقدس" من معبد "إيساجيلا "إلى "بيت أكيتو " أي بيت الشمس الواقع خارج المدينة. وفي هذا الموكب، كان الملك "يمسك بيد من يمثل الاله في المقدمة من الشمسانيين ليقوده خارج المعبد في مقدمة الموكب، يتبعه جميع الآلهة الزائرة والكهنة وعامة الشعب. وفي مرحلة ما من أيام الاحتفال، كان يجري تقديم عرض درامي يجسد الصراع بين مردوخ وتنين الفوضى، وهو الصراع الذي سبق ذكره. ومن المحتمل أن هذا العرض كان يتخذ في آشور شكل مواجهة بين الملك وأسد (أو أسود) أُحضر خصيصاً لهذا الغرض. هكذا تبدو الخطوط العريضة لأعظم مناسبة طقسية في التقويم البابلي والآشوري ففي آشور، حلّ الإله القومي "آدي" محل شي شمس باعتباره الشخصية المحورية في الطقوس، ومع ذلك لم يكن يُعتبر أي ملك آشوري مُنصّباً شرعياً ما لم يقم بـ "الإمساك بيد" من يمثل آدي في بابل خلال احتفالات رأس السنة الجديدة.

وثمة عنصر موسمي آخر في هذه الشعائر يستحق الذكر، وهو العنصر المرتبط بأطوار القمر. فالتقويم الديني البابلي وإن كان يتحدد جزئياً وفقاً للمواسم الفلكية كان في أصله تقويماً قمرياً شأنه شأن سائر التقاويم القديمة حيث كانت أطوار القمر تُراقب بدقة وتُبنى عليها العديد من التنبؤات والنُذُر. وقد تمثلت أهم محطتين في مسار القمر من منظور ديني في مرحلة اكتمال القمر أو البدر وتُعرف بـ "شباتو" ويغسل الايزيديون أيديهم بمياه صافية ويوجهوها باتجاه القمر ثلاث مرات مع تمتمة الامنيات والرغبات ويوم اختفاء القمر تماماً (ويُعرف بـ "بلعو" إذ كان هذا اليوم الأخير يُعدّ فترة محفوفة بمخاطر خاصة، وتُمارس فيه طقوس الصيام والصلاة وغيرها من الشعائر وتسمى طقوس ابتلاع القمر

.

كان الناس يترقبون ظهور الهلال أيضاً، إذ كان ظهوره الذي يمثل بداية الشهر مناسبةً لإقامة الطقوس. ومن المحتمل أن "أهلة الشهور" و"الاربعاء المقدس" لدى الايزيديين الأوائل كانت أعياداً قمرية ترتبط ببداية الشهر واكتمال القمر (البدر)، وقد تعود في أصلها المشترك إلى تقاليد شمسانية قديمة شملت الأعياد القمرية البابلية والكنعانية على حد سواء. ، كانت أيام السابع والرابع عشر والحادي والعشرين والثامن والعشرين من الشهر تُعد أياماً مميزة وكان اليوم التاسع عشر يُعرف بـ "يوم الغضب"، وتُقام فيه طقوس خاصة تشمل الصيام والصلاة.

وقبل أن نغادر موضوع الأعياد الموسمية، تجدر الإشارة إلى احتمال أن تكون لكل مدينة تقويمها الموسمي الخاص فعلى سبيل المثال، يُعد التقويم الاحتفالي لمزار"لالش" الذي يعود إلى العصر السومري معروفاً وموثقاً جيداً. ففي تلك المدينة (عين سوفني) ، كان يُحتفل بعيد رأس السنة الايزيدية من خلال طقس تلوين البيض ورش قشرتها على الاراضي الزراعية واعداد الاطعمة والخبز بالوان واشكال مختلفة ، كما كانت تُقام أعياد لحصاد الشعير ولصناعة الشعير المُنبّت (المالت)، وعيدٌ لموسم جزّ الأغنام. ومما يسترعي الانتباه أن حصاد الشعير وجزّ الأغنام كانا يمثلان أيضاً مناسبات دينية خاصة في الديانة الايزيدية المبكرة.

وسنختتم هذا الجزء من موضوعنا بوصف لجانب من الممارسات الطقسية التي لعبت دوراً كبيراً في الحياة اليومية للناس.

أولاً، كان الاعتقاد بوجود الارواح الشريرة وقوتها يشكل هاجساً مستمراً في عقل البابلي إذ كانت جميع أنواع الأمراض والمصائب تُعزى إلى الأفعال الخبيثة لتلك الأرواح الشريرة. ولهذا، كان كهنة "عشبو" يمارسون عملهم يومياً في أداء الطقوس وتلاوة التعاويذ والرقَى بهدف درء المخاطر أو علاج الأمراض الناجمة عن تلك الأرواح. كانت هناك طقوس وتَعاوِيذ لعلاج الصداع وألم الأسنان والحمى وفقدان النطق، وأخرى لتهدئة الطفل الباكي، ولإصلاح ذات البين بين الأصدقاء المتخاصمين، ولحماية النساء أثناء الحمل؛ وهي فترة كنّ فيها عرضةً بشكل خاص لهجمات روح شريرة

أنثى خبيثة للغاية تُدعى "لاماشتو". وقد وصل إلينا تمثالٌ مُرعِبٌ لها نُقِشَ على لوحٍ كان يُعَلَّق في المنازل، وتضمن تعويذةً للحماية من "لاماشتو". ومن المرجح أن هذا الجانب من الممارسات الدينية الايزيدية كان يحتل حيزاً أكبر بكثير في عقل البابلي العادي وحياته اليومية مقارنةً بعبادة الآلهة العظام.

ثانياً، تمثّل أحد جوانب الممارسات الدينية الايزيدية الذي استلزم عمل فئة كبيرة من الكهنة ومارس تأثيراً بالغ الأهمية على الحياة العامة والخاصة في رصد النُذُر (العلامات الغيبية) وجمعها وتفسيرها. وكان هذا المجال اختصاصاً أصيلاً لكهنة "البرّ " أو "العرافين" الذين سبق الحديث عنهم في الفصول السابقة. إذ كان يُنظر إلى كل حدث تقريباً على أنه يحمل دلالة دينية، أي أنه يعكس مشيئة القوى السماوية، سواء كانت مواتية أو غير مواتية. وقد وفّرت ظواهر عديدة مثل مراقبة طيران الطيور، ومواقع الأجرام السماوية بالنسبة لبعضها البعض، والظواهر غير المعتادة في الشمس أو القمر، وهيئة أحشاء وكبد الحيوانات المُضحّى بها، ووضعية السهام عند إلقائها على الأرض مادةً للنُذُر التي جرى تدوينها لتشكل بمرور الوقت مجموعة ضخمة من الأدبيات الخاصة بالنُذُر، وهي نصوص كان يعتمد عليها كاهن "البرّ" للاهتداء إلى تفسير أي نذير بعينه. وتزخر المراسلات الملكية الآشورية بأمثلة عديدة توضح كيف كان الملوك يطلبون مشورة الكهنة بشأن شؤون الدولة أو إدارة الحملات العسكرية؛ فلم يكن الملك يخرج للحرب قط دون أن تصحبه مجموعة من كهنة "البرّ"، كما نقرأ عن استشارة الملك سنحاريب لعرافيه قبل الشروع في حملاته المختلفة ضد سوريا وفلسطين. وتعود أصول مجموعة نُذُر الكبد إلى عهد الملك سرجون الأول، وقد أسفرت الحفريات الحديثة في مدينة "ماري" عن العثور على مجموعة من نماذج الكبد المصنوعة من الأحجار الكريمة الثمينة ، والتي كانت تُستخدم لأغراض العرافة والتنبؤ.

لا توجد حضارة قديمة أو ديانة مبكرة نعرفها تخلو من الأسرار ولذا تُعد الأسرار عنصراً مهماً في ثقافة أي شعب، ولا مكان لها أكثر أهمية مما هي عليه في ديانة البابليين والآشوريين الشمسانية . وعند فحص هذه الأسرار التي حُفظت ضمن الموروث الضخم للأدب الديني البابلي والآشوري الشمساني، نجد أنها تنقسم إلى فئتين رئيسيتين: أسرار الطقوس (الظاهر ـ الثيولوجيا) وأسرار الأصل أو التكوين (الباطن ـ الميثولوجيا) وليس من السهل إختراق أسرار الايزيدية الشمسانية دون الحصول على الرخصة والاذن من كبارهم ، تُعد "أسرار الخلق" وهي أشهر الأسرار البابلية الشمسانية التي يحتفظ بها الايزيديون الى اليوم وهي أسرار طقسيةً بامتياز نظراً لاستخدامها في احتفالات رأس السنة، ومع ذلك فهي تقدم تفسيراً لنشأة الكون المنظّم، مما يضفي عليها طابع أسرار الأصل أيضاً. غير أن علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) يشير إلى أن حاجة الإنسان الأولية حين واجه بيئة غامضة وغالباً ما كانت معادية لم تكن تكمن في تفسير أصل تلك البيئة، بل في ابتكار نمط فعّال من السلوك لضمان مقومات الحياة الجيدة. ومن

ثم، ثمة احتمال كبير بأن تكون "الأسرار الطقسية" التي تشكل فيها الأسرار الجانب المنطوق من الطقس وتتمتع بقوة سحرية خاصة لدى الايزيديين هي الشكل الأقدم للأسرار. لكن غالباً ما يصعب رسم خط فاصل دقيق بين الأنواع إذ توجد أسرار معينة مثل "ملحمة جلجامش" الشهيرة أطلق عليها البروفيسور "دورم" اسم "الأساطير البطولية"، وهي تصعب إدراجها تحت أي من الفئتين الرئيسيتين المذكورتين آنفاً. وعليه، فإننا لن نحاول في هذا الفصل وضع تصنيف صارم أو قطعي، بل سنكتفي بعرضٍ لأهم الأسرار والتعاليم البابلية والآشورية المعروفة لدينا باسم الشمسانية .

ولكن، قد يكون من المثير للاهتمام هنا لغرض المقارنة عرض تصنيف آخر للأسرار، وهو تصنيف البروفيسور ثوركيلد جاكوبسن ، يمكن تلخيص الأسئلة التي طرحتها وأجابت عنها الأدبيات الميثولوجية الايزيدية الغزيرة والمتنوعة في الألفية الثالثة، في معظمها، تحت ثلاثة عناوين رئيسية.

أولاً، هناك أسرار الأصل (الباطن) التي تتساءل عن منشأ كيان معين لخصتها الايزيدية بتسمية الدرّة داخل الكون أو مجموعة من هذه الكيانات: كالآلهة (آدي ، طاوس ملك ، ايزيد) ، والنباتات، والبشر. وعادةً ما تأتي الإجابة بصيغة 'الولادة'، وبصورة أقل شيوعاً بصيغة 'الخلق' أو 'الصناعة.'وتتألف المجموعة الثانية من أساطير التنظيم. وتتساءل أساطير هذه المجموعة عن كيفية نشوء سمة معينة أو مجال محدد ضمن النظام العالمي القائم: كيف حصل إله ما على وظيفته ومهامه، وكيف نُظِّمَت الزراعة، وكيف ظهرت فئات بشرية معينة ذات سمات استثنائية (أو شاذة) وكيف حُدِّدت مكانتها. وتجيب الأساطير عن ذلك قائلة: 'بموجب مرسوم إلهي.'

وأخيراً، ثمة أساطير التقييم التي تُعدّ بمعنى ما فئة فرعية تندرج تحت أساطير التنظيم. وتتساءل أساطير هذه المجموعة عن الأساس أو الحق الذي يمنح شيئاً ما مكانته في النظام العالمي، إذ تعمد هذه الأساطير إلى الموازنة بين المزارع والراعي، أو في مقاربة مختلفة للسؤال ذاته بين الحبوب والصوف. كما تبحث في المزايا النسبية للذهب النفيس مقابل النحاس المتواضع وإن كان أكثر فائدة ، وما إلى ذلك. وفي كل هذه الحالات، يجري تأكيد معايير التقييم الكامنة في النظام القائم وإرجاعها إلى قرار إلهي".

من المحتمل أن يدرج البروفيسور جاكوبسن ما أطلقنا عليه اسم "الأسرار الطقسية" ضمن إحدى الفئات المذكورة أعلاه. ومع ذلك، يصعب ألا نخلص إلى أن بعض الأسرار قد نشأت بوصفها الجانب المنطوق من الطقس فهي لا تنفصل عن الطقس بمعنى أنها أي الكلمات المنطوقة في الأسطورة تؤدي فعلاً ما، إذ تمتلك القوة السحرية الكامنة في الطقس ذاته.

أسرار الخلق ..

لقد تحدثنا بالفعل عن الصيغة المتأخرة لأسرار الخلق الايزيدية كما ترد في الأنشودة التي كانت تُؤدَّى في محطة مهمة من احتفالات رأس السنة الشمسانية في بابل . ولكن وراء هذه الرواية المتأخرة للأسرار المقدسة ، تكمن عدة صيغ أقدم ومتباينة. ففي رواية سومرية مبكرة لقصة الخلق، تتعاون الآلهة الثلاثة العظام في المجمع الإلهي السومري في إنجاز عملية الخلق ، وهي موجودة في النصوص الايزيدية ..

ولا نجد هنا ذلك الصراع الموجود في "ملحمة الخلق" إذ يُصوَّر النشاط الإبداعي للآلهة ممتداً ليشمل إنشاء المدن الخمس التي وُجدت قبل الطوفان. وتمضي الرواية لتصف الطوفان، الذي يرتبط هنا ارتباطاً مباشراً بعملية الخلق. أما في "ملحمة الخلق"، فلا يُشار إلى الطوفان وكما سنرى، فإن أسطورة الطوفان البابلية لا تمت بصلة للنشاط الإبداعي للآلهة، بل وصلتنا كجزء من "ملحمة جلجامش."

وفي رواية أخرى، يُصوَّر الإله "آدي" وهو يخلق الأرض عن طريق ربط حزمة من القصب وسكب التربة فوقها وهي صورة تعكس بوضوح الطريقة التي مكّنت المستوطنين السومريين الأوائل من إقامة مستوطنات زراعية في مناطق الأهوار بوادي النهر. (وتدخل هذه الأسطورة أيضاً ضمن طقوس احتفال رأس السنة).

وهناك أيضاً نص مجزَّأ يتعاون فيه الإله "آدي" والإلهة "أيزيد" لخلق الإنسان من الطين باستخدام الأقوال السرية المصاحبة بالموسيقى الدينية ذات الموجات العليا ويسميها الايزيديون بشاص ايزيد اليوم .غير أن كل هذه الروايات المبكرة قد حلت محلها في بابل الروايةُ الكلاسيكية الواردة في "إينوما إيليش" وهو الاسم البابلي لملحمة الخلق وهي الرواية التي سنصفها الآن.

يتضمن الجزء الأول من القصيدة وصفاً لحالة الكون قبل وقوع الأحداث التي أدت إلى قيام الإله "آدي" بخلق نظام كوني جديد. تصف الرواية حقبة لم تكن فيها سماء ولا أرض، بل مجرد فوضى مائية تتألف من اختلاط مياه "المادة" وهو لُجُّ المياه العذبة ومياه "تيامات" وهي محيط المياه المالحة و"ممو" الذي ربما يمثل كما يرى البروفيسور جاكوبسن كتل السحب والضباب (نسبة الى الرمزية التي يمثلها كوكب ممو في الأسرار البابلية). لم تكن ثمة أهوار أو جزر، ولم تكن الآلهة قد وُجدت بعد. ومن المرجح أن الوصف الايزيدي لحالة الفوضى المائية البدائية التي سبقت بدء النشاط الإلهي الخلّاق يستمد أصله من هذا المصدر. وتلي ذلك سردٌ لنسب الآلهة فقد أنجب الزوجان الأولان، "لاهمو" و"لاهامو"، كلاً من "أنشار" و"كيشار"؛ وكان "أنو" هو الابن البكر لـ "أنشار"، وقد أنجب "أنو" على صورته "نوديمود" أي "إيا" الذي لم يكن له نظير بين الآلهة. ولقد أزعج السلوك الصاخب والمتمرد لهذه الآلهة الشابة والديهما

"أبسو" و"تيامات"، فخططا بمشورة من "ممو" للقضاء على الآلهة التي كانا قد خلقاها.طبعاً هذه التعاليم الرمزية لها أبعاد عميقة لا يمكن نشرها لأنها تتعلق بقضية خلق المجموعة الشمسية بكل كواكبها وطبيعتها الروحية المتأصلة في كل كوكب ، ورسائل بابل السرية تتطرق الى هذا الأمر بالتحديد بنفس طريقة طرحها في النصوص الايزيدية وخاصة قول الخليقة ..

وهذا النص، شأنه شأن ملحمة "إينوما إيليش"، يتمتع بتاريخ أدبي طويل في النصوص الشمسانية ويمكن إرجاع صيغته الأكادية التي تستند إلى مصادر سومرية إلى مطلع الألفية الثانية قبل الميلاد. تتألف القصيدة من اثني عشر لوحاً جميعها من اللازورد النقي ، بعضها وصل إلينا في حالة مجزأة ويُعد اللوح الحادي عشر الذي يضم الرواية البابلية الشهيرة لقصة الطوفان أفضل الألواح حفظاً. وقد سلطت الأبحاث الحديثة ضوءاً جديداً وكثيراً على هذه الأسطورة، ولا سيما من خلال أعمال البروفيسور "كرامر" والسيد "سي. جي. جاد" من المتحف البريطاني. وقد نُشرت نتائج أبحاث البروفيسور "كرامر" في مجلد بعنوان "الأساطير السومرية" (ضمن منشورات الجمعية الفلسفية الأمريكية، المجلد الحادي والعشرون، عام 1944). أما أحدث ترجمة للنص، فيمكن العثور عليها في مجموعة "نصوص الشرق الأدنى" التي أُشير إليها آنفاً.

تُعد هذه القصيدة ملحمة بطولية تتمحور حول مآثر "جلجامش"، وهو ملك أسطوري لمدينة "أوروك" وقد ورد اسمه في قوائم الملوك السومريين ضمن ملوك السلالة الثانية التي تلت الطوفان، حيث جاء خلفاً لـ "دوموزي" الملقب بـ "الصياد". ووفقاً للأسطورة، كان "جلجامش" يجمع في تكوينه بين طبيعتين: ثلثان إلهي وثلث مادي (انسان)، كما منحته الآلهة ضخامة في الجسد وقوة تفوق القدرات البشرية (البشر ثلثان مادي وثلث إلهي). تبدأ القصة بوصف شكوى أهالي "أوروك" إلى الإله "آدي" من غطرسة "جلجامش" واستبداده بالمدينة. واستجابةً لشكواهم، قامت الإلهة "الشمسانية" التي كانت قد خلقت "جلجامش" بخلق رجل بري يُدعى "إنكيدو" كائن مستنسخ، ليكون نداً لـ "جلجامش" في القوة حيث كان "إنكيدو" يقتات على العشب ويصاحب الوحوش البرية. وعندما بلغ "جلجامش" نبأ وجود "إنكيدو" وعلم بأنه يعيق الصيادين عن صيد الطرائد، أمر بإرسال إحدى بغايا المعبد للإيقاع بـ "إنكيدو" واستدراجه، إذ لم يكن الأخير قد عرف مثل هذه الملذات من قبل. خرجت إلى الغابة واستلقت عند أحد موارد المياه، وعرضت مفاتنها على "إنكيدو" حين جاء ليشرب مع الوحوش الضارية. فضمّها إليه وتمتّع بها سبعة أيام ولكن حين حاول العودة إلى رفاقه من الحيوانات، لاذت تلك الحيوانات بالفرار منه. وحينئذٍ، أوضحت له المرأة التي أغوته أنه قد طرأ عليه تغيّرٌ ما.

"لقد صرتَ حكيماً يا إنكيدو، وصرتَ كالإله". لم يعد إنكيدو رفيقاً ملائماً للغزلان وقد حدثته البغي عن بأس جلجامش ومجده، فأثارت فيه طموحاً لتحدي جلجامش في اختبار للقوة. عند هذه النقطة تنتهي اللوح الأول. ويصف اللوح الثاني دخول إنكيدو إلى مدينة "أوروك" وصراعه الملحمي مع جلجامش، وهو صراع ينتهي بالمصالحة وعقد عهد صداقة بينهما. وتسرد الألواح الثلاثة التالية تفاصيل المغامرة المشتركة الأولى لجلجامش وإنكيدو فعلى الرغم من محاولات إنكيدو لثنيه عن عزمه، يقرر جلجامش غزو "غابة الأرز" ومهاجمة حارسها الرهيب، العملاق "هواوا" الذي ينفث النار (وفي النسخة الآشورية يُكتب الاسم بالصيغة الأكثر شيوعاً: "هومبابا"). ورغم وجود فجوات عديدة في المصادر المختلفة، إلا أن ما يمكن فهمه من النص يكفي لتوضيح أن المغامرة بمساعدة الإله "شمش" والإلهة "نينسون" (أم جلجامش) قد تكللت بالنجاح وانتهت بمقتل "هواوا."

وتتناول الألواح من السادس إلى الثامن الأحداث التي أدت إلى موت إنكيدو. ففي البداية، نجد سرداً لكيفية دعوة الإلهة "عشتار" لجلجامش ليكون عشيقاً لها، وكيف يرفض البطل محاولاتها تلك بازدراء، مذكراً إياها بالمصير البائس الذي لاقى كل عشاقها السابقين. وحينها، تطلب "عشتار" وقد استبد بها الغضب من الإله "آنو" أن يخلق "ثور السماء" للقضاء على جلجامش، مهددةً بأنه إذا رفض طلبها، فإنها ستحطم أبواب العالم السفلي وتطلق سراح الموتى جميعاً ليعيثوا فساداً في الأرض. وبالفعل، يُخلق الثور ويبدأ في نشر الدمار والخراب، لكن جلجامش وإنكيدو يتمكنان سريعاً من هزيمته وقتله؛ إذ لا يمكن السماح بمثل هذا التحدي السافر للقوى السماوية. وفي مجمع الآلهة، يطالب الإله "إنليل" بموت إنكيدو عقاباً له على ذلك ، يموت إنكيدو، وتصف خاتمة اللوح السادس رثاء جلجامش لصديقه. ويُشار هنا أيضاً إلى أن الأسطر من الثالث والثلاثين إلى التاسع والثلاثين من اللوح السابع تتضمن الوصف الشهير لحال الموتى في العالم السفلي البابلي:

"يقودني (إنكيدو) إلى بيت الظلمة، مسكن إيركالا، إلى البيت الذي لا يغادره من دخله، وإلى الطريق الذي لا رجعة منه، وإلى البيت الذي يُحرم قاطنوه من الضوء، حيث الغبارُ زادُهم والطينُ طعامُهم. إنهم يرتدون ما يشبه الطيور، متخذين الأجنحةَ لباساً، ولا يرون ضوءاً، بل يقيمون في الظلام".

دفع موت "إنكيدو" بـ "جلجامش" إلى الانطلاق في رحلة بحثاً عن وسيلة للإفلات من مصير صديقه وتجنب المصير المحتوم المتمثل في الموت وراح يبحث عن الخلود . ووفقاً للتقاليد القديمة، فإن الكائن الانساني الوحيد (ثلثيه من الآلهة وثلث من عالم المادة) الذي منحته الآلهة هبة الخلود هو سلفه "أوتونبوشتيم"، الناجي الوحيد من الطوفان. ومن ثم، عزم "جلجامش" على العثور على "أوتونبوشتيم" ومعرفة سر الخلود منه. وتتضمن الألواح من التاسع إلى

الحادي عشر تفاصيل المغامرات التي خاضها "جلجامش" خلال رحلته المحفوفة بالمخاطر بحثاً عن "أوتونبوشتيم". في البداية، يصل إلى سلسلة جبال "ماشو" التي يحرسها "رجل العقرب" وزوجته، وهي جبال لم يعبرها أي إنسان من قبل؛ فيسمح له الحارسان بالمرور، فيسلك "طريق الشمس"، وبعد اجتياز مسافة اثنتي عشرة "فرسخاً" في الظلام، يصل إلى فردوس أرضي ضاع وصفه بسبب تلف العمود الأخير من اللوح. وفي مستهل اللوح العاشر، نجد "جلجامش" يتحاور مع "سيدوري"، صاحبة حانة الجعة، التي تبدو وكأنها تجسيد للإلهة "عشتار" إذ تحاول ثنيه عن المضي قدماً في المرحلة التالية من رحلته، وهي عبور "مياه الموت" (مياه البحر الميت تحتها قصر اسطوري). وتخبره بأن سعيه عبثي قائلة: "إن الحياة التي تنشدها لن تجدها فعندما خلقت الآلهة البشر، خصصت الموت لهم، واحتفظت بالحياة لنفسها". ومع ذلك، ولأنها تدرك أنه لن يتراجع عن هدفه، فإنها تنصحه باستشارة "أورشانابي" ملاح "أوتونبوشتيم"– الذي قد يتمكن بمساعدته من عبور "مياه الموت".

يعثر جلجامش على "أورشانابي"، الذي يطلب منه الذهاب إلى الغابة وقطع مئة وعشرين عموداً وبعد إنجاز ذلك، يُنزلان القارب إلى الماء ويصلان إلى "مياه الموت" بعد رحلة استغرقت شهراً ونصف الشهر. ثم يوجه أورشانابي جلجامش لدفع القارب باستخدام تلك الأعمدة، وإسقاطها واحداً تلو الآخر، مع الحرص على ألا تلمس يداه مياه الموت. وهكذا يصل جلجامش أخيراً إلى "مصب الأنهار"، وهو المكان الذي خصصته الآلهة لـ "أوتونبوشتيم" وزوجته ليكون مقراً أبدياً لهما فيعرض جلجامش على سلفه الغاية من رحلته ويسأله كيف نال هبة الخلود. ورداً على ذلك، يقص عليه أوتونبوشتيم قصة الطوفان وتجدر الإشارة هنا إلى أن الرواية الآشورية التي أصبحت الصيغة المعتمدة للأسطورة تختلف في تفاصيل كثيرة عما نعرفه عن الرواية السومرية الأقدم المرتبطة بأسطورة الخلق. يخبر أوتونبوشتيم جلجامش أنه عندما كان يقيم في مدينة "شورباكاخ" القديمة، قررت الآلهة إبادة البشرية بطوفان عظيم. كان من المفترض أن تظل الخطة سرية، لكن الإله "إيا" الذي كان ودوداً تجاه البشر أفشى السر بأن ردد كلمات الآلهة أمام كوخ القصب، الذي نقل بدوره تلك الكلمات إلى أوتونبوشتيم. وعملاً بتعليمات "إيا"، بنى أوتونبوشتيم سفينة ذات شكل وأبعاد غريبة، إذ يبدو أنها كانت مكعبة الشكل تماماً ، وقسماً فسرها على انها غواصة متقدمة فقد كانت تتألف من ستة طوابق، وقُسّم مسقطها الأفقي إلى تسعة أقسام، وإن كان من المحتمل أن تكون هذه القياسات خاصة بمخزن السفينة الداخلي. وقد ذهب بعض الباحثين إلى أن شكل السفينة كان يشبه الغواصات النووية الحديثة العملاقة، أو القارب الدائري الذي استُخدم للنقل في نهر الفرات منذ أقدم العصور. جمع أوتونبوشتيم في السفينة ممتلكاته وعائلته والكثير من الخبراء والمهنيين ومختلف أنواع الماشية والحيوانات البرية (قسماً من الترجمات لم تنشر تفاصيلها تتحدث عن وضع الـ آر ني إي ودي إن آي لكل المخلوقات في قارورات زجاجية صغيرة وضعت في

مجمدات كانت في الغواصة). واستمر الطوفان سبعة أيام، حتى "عادت البشرية جمعاء إلى طين". ثم استقرت السفينة على جبل "نيسير" وبعد انتظار دام سبعة أيام، أطلق أوتونبوشتيم تباعاً حمامةً وسنونوةً وغراباً. وحين لم يعد الغراب، فتح أوتونبوشتيم السفينة وأطلق سراح جميع من فيها من كائنات حية. ثم قدّم القرابين، وتخبرنا الرواية أن الآلهة استنشقت رائحة القرابين الزكية وتجمعت حول مُقدِّمها كالذباب. ويلي ذلك وصفٌ للمشهد في مجمع الآلهة، حيث تنوح عشتار على هلاك قومها وتلوم إنليل على الطوفان، وتُقسم بقلادتها المصنوعة من اللازورد ألا تنسى أبداً أيام الطوفان. يستشيط إنليل غضباً لنجاة بعض البشر، ويتهم "إيا" بإفشاء سر الآلهة غير أن "إيا" يهدئ من روع إنليل، فيعلن الأخير أن أوتونبوشتيم وزوجته سيصبحان بمنزلة الآلهة ويعيشان إلى الأبد عند مصب الأنهار. هنا تنتهي قصة الطوفان التي رواها أوتونبوشتيم، ثم يمضي ليخبر جلجامش بأن مسعاه ميؤوس منه، مبيناً له أنه لا يستطيع حتى التغلب على النوم، فكيف له أن يصارع الموت؟ فظروف منح الخلود لأوتونبوشتيم كانت استثنائية ولا يمكن تكرارها. وكنوع من التخفيف عن جلجامش إزاء خيبة أمله، يخبره أوتونبوشتيم عن نبتة سحرية تنمو في قاع البحر، ولها القدرة على إعادة الشباب إلى الشيوخ. يغوص جلجامش ويستخرج النبتة ثم ينطلق عائداً إلى مدينة "أوروك"، عازماً على الاستفادة من خصائصها السحرية لنفسه ولقومه.

في طريق العودة، يعثر جلجامش على بركة ماء عذب ويتوقف للاغتسال فيها. وبينما هو يغتسل، تخرج حية من البركة وتخطف النبتة وأثناء رحيلها تنسلخ عن جلدها، تاركةً جلجامش يندب خسارته. وهنا تنتهي اللوح الحادي عشر. أما اللوح الثاني عشر فلا يُعد جزءاً من الملحمة الأصلية، رغم أنه ينتمي إلى الدورة السومرية للتقاليد المتعلقة بالبطل وقد أثبت السيد "جاد" أنه ترجمة مباشرة لأصل سومري. يتناول هذا اللوح غرضين سحريين، هما "بوّ" و"موّ" وربما كانا عبارة عن طبل وعصا قرع سحريين كانت الإلهة "إينانا" قد أهدتهما لجلجامش، وسقطا في العالم السفلي. يندب جلجامش فقدهما، فيعرض "إنكيدو" النزول إلى العالم السفلي لاستعادتهما. يحذره جلجامش بأنه لكي ينجح، عليه الالتزام بمحاذير (أو طقوس محظورة) معينة، يبدو أنها تنتمي إلى طقوس جنائزية قديمة. يفشل إنكيدو في الالتزام بتلك المحاذير ويعجز عن العودة من العالم السفلي. يحاول جلجامش عبثاً دفع "إنليل" و"سين" للوساطة لدى آلهة العالم السفلي، لكنه ينجح أخيراً في إقناع "إيا" بالوساطة لدى "نيرجال"، الذي يفتح ثغرة في الأرض تخرج منها روح إنكيدو كنفحة ريح. يزود إنكيدو جلجامش بمعلومات عن حال الموتى في العالم السفلي، وعند هذه النقطة ينقطع نص اللوح. ومن الواضح أن هناك أجزاءً أخرى لقصة جلجامش؛ فقد نُشر بعضها بالفعل، ومن بينها نص نشره البروفيسور "أولبرايت" في دورية باسور 1994 يتضمن وصفاً لوفاة جلجامش. غير أنه من الواضح أيضاً أن مؤلفاً بابلياً قد صاغ استناداً إلى التقاليد السومرية المتناثرة، سواء الشفهية منها أو المكتوبة ملحمة

شعرية عظيمة بطلها جلجامش، تتمحور فكرتها الجوهرية حول الحزن والإحباط الناجمين عن حتمية الموت البشري. وهناك ما يدعو للاعتقاد بأن بعض المصادر السومرية قد تمثل أساطير طقسية وتشير اللوح الأخير كما اقترح السيد "جاد" إلى وجود صلة بطقوس الدفن. ولطالما لوحظت العلاقة بين قصص الطوفان العبرية والأسطورة الواردة في ملحمة جلجامش وقلّما ينكر أحد اليوم أن الروايات الايزيدية للقصة (إذ توجد روايتان على الأقل) استمدت مادتها من مصدر سومري أو بابلي قديم.

ثمة أسطورة بابلية وآشورية قديمة أخرى تتمحور أيضاً حول فقدان الخلود تُعرف باسم "أسطورة أدابا". لقد كانت هذه الأسطورة واسعة الانتشار إذ عُثر على أقدم صيغة كاملة لها ضمن "رسائل تل العمارنة"، ويبدو أن الكتبة المصريين استخدموها كنص لتعلم الكتابة المسمارية. ووفقاً للأسطورة، فإن "أدابا" قد خلقه الإله "إيا" ليكون "نموذجاً للبشر"، ومن ثم يُفترض أنه الإنسان الأول وقد كان ملكاً وكاهناً لمدينة "إريدو"، وهي أقدم المدن السومرية. وبينما كان يمارس الصيد في الخليج العربي، قلبت "رياح الجنوب" قاربه، فقام هو بكسر جناح تلك الريح. توقفت رياح الجنوب عن الهبوب لمدة سبعة أيام، مما دفع الإله "آنو" للاستفسار عن السبب وحين عُرف ما فعله أدابا، أمر "آنو" باستدعائه للمثول أمامه. حينئذٍ، وجّه الإله "إيا" ابنه بشأن كيفية التصرف: فعليه ارتداء ملابس الحداد، وعندما يصل إلى الإلهين الحارسين لبوابة السماء وهما "تموز" و"نينجيشيزيدا" عليه أن يوضح لهما أنه يرتدي الحداد حزناً على غيابهما عن الأرض، وبذلك ينال رضاهما ويُسمح له بالدخول. كما أخبره "إيا" بأنه عندما يمثل أمام الآلهة، سيُعرض عليه "خبز الموت" و"ماء الموت" اللذين يجب عليه رفضهما، لكن بإمكانه ارتداء الثوب والدهن بالزيت اللذين سيقدمانهما له. وبالفعل، اتبع أدابا هذه التعليمات بطاعة، فلقي ترحيباً حسناً من "تموز" و"نينجيشيزيدا"، وعندما سأله "آنو" عن سبب كسره لجناح رياح الجنوب، شرح له الملابسات؛ فهدأ غضب "آنو" وأمر بتقديم "خبز الحياة" و"ماء الحياة" لأدابا. غير أن أدابا التزاماً بتعليمات أبيه رفضهما. حينها ضحك "آنو" منه وأخبره بأنه قد رفض هبة الخلود، وأن المرض والموت سيكونان من نصيب البشرية من الآن فصاعداً. وهكذا، تتناول كلتا هاتين الأسطورتين القديمتين تلك المسألة المقلقة: لماذا يموت البشر؟ غير أن ثمة شعوراً يكمن وراء أسطورة "أدابا" مفاده أن حرمان البشرية من هبة الحياة الأبدية قد تم نتيجة حيلة ما أو بسبب غيرة الآلهة (والمقصود هنا الإله "إيا"). لقد وصل إلينا عبر الروايات البابلية والآشورية، بل وحتى الترجمات الحيثية العديد من الأساطير وشذرات الأساطير الأخرى التي تعود إلى العصر السومري، إلا أنه يتعذر استعراضها جميعاً هنا ومن بينها أساطير تتناول مسألة المُلك وأصله .

أما زكريا سيتشن فقد ترجم اللوح بصورة أكثر جدية وصرامة ومعبرة عن الحقيقة التي تناولتها النصوص الايزيدية ..

من اللوح الثامن ...

وليأتي آدابا إبن الأرض الى نيبيرو ، بهذا أعلن آنو قرارهُ ! لم يكن أنليل مسروراً بالقرار ، من كان يظن أن هذا الأمر سيحدث ؟ تصميم عامل بدائي ويصبح الكائن مثلنا ..ويهبه المعرفة ويسافر بين السماء والأرض ! وسيشرب مياه العمر الطويل على نيبيرو ويأكل طعام العمر الطويل ، سيصبح كائن الأرض مثلنا نحن الأنوناكي هذا ما كان يقوله أنليل لأنكي وغيره من القادة ..

بقرار آنو أنكي لم يكن مسروراً أيضاً ، كان وجهه متجهماً يعد أن تحدث آنو بعد أن تحدث أنليل وافق أنكي أخاه أنليل . بالفعل من كان يظن بحدوث هذا ؟ هذا ما قاله أنكي للآخرين ، جلس الأخوان للتفكير ، كانت نينماه تتداول الأمر معهم أيضاً لا يمكن تجنب أوامر أنو ، هذا ما قالته لهم فليصاحب أدابا صغارنا الى نيبيرو ، لتخفيف خوفه وشرح الأمور لآنو ، هذا ما قاله أنكي للآخرين ! وليكن رفاقه نينجيشيزيدا ودموزي ، بالمناسبة أيضاً ليروا نيبيرو لأول مرة بأعينهم ، نينماه حبذت الإقتراح ، ولد صغارنا على الأرض ، فهم ينسون نيبيرو وتخطت دورات حياتها أولئك الذين على الأرض ، فليذهب أبناء أنكي غير المتزوجين حتى الآن ، أيضاً للسفر الى نيبيرو ، وربما يجدون لأنفسهم عرائس ! عندما قدمت الغرفة الفضائية التالية من نيبيرو لسيبار نزل الابرات وزير آنو من الغرفة لقد جئت لإحضار إبن الأرض أدابا ، هذا ما قاله للقادة ، قدم أدابا للأبرات وأيضاً تيتي وأبناءها لهُ بالفعل هم على صورتنا وشبهنا ! هكذا قال الابرات ، وقدم لألابرات أبناء أنكي نينجيشيزيدا ودموزي ، قال له أنكي تم اختيارهما لمرافقة أدابا في رحلته ! قال الابرات سيسعد آنو برؤية أحفاده ..

استدعى أنكي أدبا للإستماع الى تعليمات ، قال أنكي ، أدابا ستذهب الى نيبيرو ، الكوكب الذي أتينا منه وستقف بين يدي ملكنا آنو وستقدم لجلالته وستنحني أمامه .. وتكلم فقط عندما تسأل وإعطي إجابات قصيرة للأسئلة وستعطى لك ملابس جديدة ، إرتدي الملابس الجديدة سيعطونك خبزاً ليس موجود على الأرض والخبز موت لا تأكله ! سيعطونك في الكأس أكسيراً ، والأكسير موت لا تشربه ، سيسافر نينجيشيزيدا ودموزي معك ، إصغِ لكلامهما جيداً وستعيش بذلك كلّف أنكي أدابا ، سأتذكر هذا ، قال أدابا ! إستدعى أنكي نينجشيزيدا ودموزي وأعطاهم بركته ومشوراته ستقفون بين يدي آنو الملك ، أبي .. وستنحنون أمامه رضوخاً وتبجيلاً لا تجبنوا أمام الأمراء والنبلاء ، فأنتم سواسية فمهمتكم إعادة أدابا الى الأرض ولا يسحركم سحر نيبيرو !

قال نينجيشيزيدا ودموزي سنتذكر هذا ! عانق أنكي الصغير دموزي وقبّلهُ على جبهته عانق أنكي نينجيشيزيدا الحكيم وقبلهُ على جبهته وضع لوحاً مختوماً في يد نينجيشيزيدا دون أن يراه أحد ! قال أنكي لنينجيشيزيدا ، ستعطي

أبي آنو هذا اللوح سرّاً ! ثم غادر الاثنين مع أدابا الى سيبار ، وذهبوا الى مكان المركبات الفضائية قدم الثلاثة أنفسهم لالابرات وزير آنو أعطي نينجيشيزيدا ودموزي زيّ الأغيغي ، وكان يشبه ملابس النسور الفضائية ..

بالنسبة لأدابا حلق شعره ، وأعطي خوذة نسر بدلاً من الأزرار أعطي رداءاً ضيقاً ليلبسه . وأجلس بين نينجيشيزيدا ودموزي داخل التي تصعد الى السماء وعندما أعطيت الإشارة إرتعدت وإرتجفت المركبة الفضائية جبّن وصرخ أدابا أثناء الرحلة وحلق النسر بلا جناحين ! وضع نينجيشيزيدا ودموزي ذراعيهما على جنبه وكانوا يهدءونه بالكلام وعند الارتفاع الى مسافة فرسخ في الجو ، نظروا الى الأرض رأوا أراضي يفصلها بحار ومحيطات ..

وعندما كانوا على ارتفاع فرسخين صغر حجم المحيط تدريجياً وكان حجم الأرض بحجم السلة . عندما ارتفعوا بمسافة ثلاثة فراسخ مرة أخرى ألقوا نظرة على المكان الذي غادروا منه . أصبحت الأرض الآن بحجم الكرة الصغيرة إبتلعها بحر من الظلام الواسع مرة أخرى إرتبك أدابا فقد جبّن وصرخ ، وصرخ ، أعيدوني ! وضع نينجيشيزيدا يده على رقبة أدابا خلال لحظة كان أدابا هادئاً . وعندما هبطوا على نيبيرو كان هناك كثير من الفضول لمشاهدة أطفال أنكي الذين ولدوا في الأرض ، بل وأكثر من ذلك لرؤية أبناء الأرض ..

لقد وصل كائن من عالم آخر الى نيبيرو ! بهذا كانت تصرخ الحشود . أصطحبوا مع الابرات الى القصر لغسلهم وتعطيرهم . أعطوا ملابس جديدة تليق بهم . إمتثالاً لكلام أنكي إرتدى أدابا الملابس في قصر تجمع النبلاء والأبطال في قاعة العرش تجمّع الأمراء والمستشارون قادهم الابرات الى غرفة العرش وخلفه أدابا ومن وراءه نجلي أنكي في قاعة العرش إنحنوا أمام آنو الملك ووقف آنو من على عرشه صرخ أحفادي ! أحفادي ! وعانق نينجيشيزيدا وعانق دموزي والدموع في عينيه احتضنهم وقبّلهم أجلس على يمينه دموزي وعلى يساره أجلس نينجشيزيدا وبعد ذلك قدّم الابرات لآنو إبن الأرض أدابا هل يفهم كلامنا ؟ سأل أنو الملك الابرات بالفعل يعرف لقد درّسه الرب أنكي ، بهذا أجاب الابرات قال آنو لأدابا .. إدنو مني ، ما هو إسمك ومهنتك ؟

تقدّم أدابا وإنحنى مرة أخرى .. إسمي أدابا وخادم الرب أنكي هذا ما تحدث به أدابا .. أحدثت قدرته على الكلام الكثير من الذهول لقد أنجز على الأرض العجب العجاب ! أعلن ذلك آنو لقد أنجز على الأرض العجب العجاب ! هتف بذلك من تجمّع ليكن هناك إحتفال ! ولنرحّب بضيوفنا ! هذا ما قالهُ آنو جميع من تجمّع الى غرفة الطعام وأومأ بالجلوس على الموائد بسعادة على مائدة الطعام قدّم خبز نيبيرو لأدابا ولكنه لم يأكلهُ على مائدة الطعام قدّم أكسير نيبيرو لأدابا ولكنه لم يشربهُ إستغرب آنو الملك واعتبرها إهانة ..

لماذا أرسل أنكي لنيبيرو هذا الكائن الأرضي سيء الخلق وكشف لهُ عن الطرق السماوية ؟ قال آنو لآدابا .. تعال الآن أدابا ! لماذا لا تأكل أو تشرب ورفضت ضيافتنا ؟ أمرني سيدي أنكي أن لا آكل الخبز .. ولا أشرب الأكسير .. ! بهذا أجاب أدابا الملك آنو . قال آنو .. كم أن هذا الشيء غريب ؟ لماذا منع أنكي إبن الأرض الأكل من طعامنا وإكسيرنا . هذا ما سألهُ لالابرات وسألهُ لدموزي ، لم يعرف الالبرات الجواب , ولم يستطع دموزي الشرح . وسأل نينجيشيزيدا ، قال نينجيشيزيدا لآنو .. ربما يكون الجواب في هذا ! ثم قدّم لآنو اللوح السري الذي حملهُ خفية . كان آنو في حيرة ، وكان قلقاً ، ذهب الى غرفته الخاصة لفك اللوحة والآن هذه قصة أدابا جد الجنس البشري المتحضّر . وكيف جعل أبنائه كائن وأبايل على الأرض إكتفاءاً غذائياً في غرفته الخاصة كسر آنو ختم اللوح

أدخلهُ في ماسح الألواح ، لفك رسالة أنكي ولد أدابا من بذرتي من إمرأة أرضية ! هذا ما كانت تحتويه رسالة أنكي

وبالمثل تيتي حمل بها من بذرتي من إمرأة أرضية أخرى وهم موهوبون بالحكمة والقدرة على الكلام وليس لهم حظ في العمر الطويل كما في نيبيرو ..

يجب أن لا يأكل من خبز العمر الطويل ، ولا ينبغي لهُ الشراب من إكسير العمر الطويل . يجب أن يعود ويعيش ويموت أدابا على الأرض ، والموت يجب أن يكون من نصيبه . سيتم الإكتفاء الغذائي بزراعة ورعي ذريته على الأرض

وبهذا كشف أنكي سر أدابا لأبيه آنو . ذهل آنو من رسالة أنكي السرية ولم يعرف أيغضب أو يضحك ! استدعى وزيره الابرات الى غرفته الخاصة وقال لهُ . ما هي القواعد ؟ ماذا يجب على ملك فعلهُ ؟ بهذا إستفسر من وزيره بموجب قواعدنا يُسمح بالخليلات ولا يوجد قواعد للتزاوج بين الكواكب ! بهذا أجاب الابرات الملك .. إذا كان هذا سيتسبب في ضرر فلنمنعه ! أعيدوا أدابا فوراً الى الأرض وليمكث نينجيشيزيدا ودموزي فترة أطول !

ثم استدعى آنو نينجيشيزيدا لغرفته الخاصة إستفسر من نينجيشيزيدا .. هل تعلم ما تحتويه رسالة أبيك ؟ خفض نينجيشيزيدا رأسه ، وقال بصوت هامس . لا أعرف لكن أستطيع التخمين ، لقد فحصت جوهر حياة أدابا ، وهو من بذرة أنكي . قال آنو .. هذه هي الرسالة بالفعل ..! يجب أن يعود أدابا الى الأرض فوراً ليكن قدره أباً للرجل المتحضّر . أما بالنسبة لك نينجيشيزيدا ، ستعود الى الأرض مع أدابا وستكون بجانب أبيك معلم البشرية المتحضّرة ..! بهذا قرر الملك آنو ، وتقرّر مصير أدابا ونينجيشيزيدا . عاد آنو والاثنين الآخرين الى الجمع من العلماء والنبلاء ، والأمراء والمستشارين . أعلن للجمع نصّ قرارهُ . يجب أن لا يطول الترحيب بإبن الأرض ، فعلى كوكبنا لا يمكنه الأكل أوالشرب وقد شاهدنا قدراته المذهلة فليعود الى الأرض ..

ولتحرث ذريّته حقول الأرض ، والرعي في المروج ولضمان سلامته وتجنّب مخاوفه ، سيسافر معه نينجيشيزيدا عائداً

وسترسل معه بذور نيبيرو من الحبوب التي ستتكاثر على الأرض سيصغر معنا دموزي الأصغر سناً لمدة شار ثم يعود بعد ذلك الى الأرض وبحوزته النعاج وجوهر الخراف . كان هذا هو قرار آنو وإنحنت رؤوسهم بالموافقة على كلام الملك وفي الوقت المحدد أخذ نينجيشيزيدا وأدابا الى مكان المركبات الفضائية وودعهم آنو ودموزي والابرات والمستشارون والنبلاء والأبطال ان هناك إهتزاز وإرتجاف وإرتفعت المركبة شاهدوا كوكب نيبيرو يتصاغر رأوا السماوات من الأفق الى الأوج في الرحلة شرح نينجيشيزيدا لآدابا الكواكب الآلهة وعلمهُ دروساً في تجفيف الشمس والأرض والقمر ..

عند عودتهم الى الأرض ، أخبر نينجيشيزيدا بكل ما حدث ضحك أنكي وضرب عورته ، سارت الأمور كما توقعت ، قال هذا بسعادة ! وقال أنكي بإستثناء إحتجاز دموزي وهو لغز ! كان أنليل حائراً لدرجة كبيرة حيال عودة نينجيشيزيدا وادابا العاجلة . ما الذي حدث .. ؟ وما الذي حدث على نيبيرو ؟ كان يستفسر من أنكي ونينجيشيزيدا .. إدعِ نينماه أيضاً .. ولتسمع أيضاً ما حدث ، هذا ما قالهُ لهُ أنكي . بعد وصول نينماه حكى نينجيشيزيدا لأنليل ولها ما حدث وحكى أيضاً عن معاشرة أنكي لإناث الأرض ..

لم أكسر أي قواعد ! وقد ضمنت إكتفائنا الغذائي ! هكذا قال لهم أنكي لم تكسر أي قواعد ؟ لقد حددت مصير الأنوناكي ، وأبناء الأرض بفعلك المتهوّر ! هكذا قال أنليل غاضباً ، الآن تم التصويت ، القدر مسيّر بالمصير ! إمتلك الغضب أنليل وبغضب إلتف وتركهم واقفين . حضر مردوخ لأريدو كانت أمه دامكينا قد استدعته . طالب التحقق من الاحداث الغريبة من أبيه وأخيه قرر الأب والأخ إبقاء الأمر سرّاً عن مردوخ . كان آنو مسحوراً بالرجل المتحضّر وأمر على الفور إشباع كل من على الأرض ..! قالوا لمردوخ هذا فقط جزء من الحقيقة ..

أعجب مردوخ بأدابا وتيتي وأحب الأولاد . بينما يعلم نينجيشيزيدا أدابا دعني أكون معلم الأولاد هذا ما قاله مردوخ لأبيه أنكي وأنليل ليُعلّم مردوخ واحد وليعلم نينورتا الآخر ! بهذا ردّ عليهم أنليل . أقام نينجيشيزيدا في أريدو مع أدابا وتيتي وعلم أدابا الحساب والكتابة . أخذ نينورتا المولود الأول من التوأمين الى مدينة باد تيبيرا سمّاه كائن ، الذي يزرع الطعام في الحقل وعلمه حفر قنوات الري وعلمه الحرث والحصاد صنع نينورتا محراثاً من خشب الأشجار لكائن ليكون فلاحاً في الأرض أخذ مردوخ الأخ الآخر من أولاد أدابا الى المروج سمي بعد ذلك أبايل رجل المروج المائية

علمه مردوخ كيفية بناء الحضائر ، للبدء في الرعي وكانوا في انتظار عودة دموزي ..

عند إكتمال الشار عاد دموزي الى الأرض . أحضر معه جوهر بذرة الأغنام والنعاج للتربية . ونقل الى الأرض حيوانات نيبيرو ذات الأربع أرجل الى كوكب آخر ! وعودته بجوهر البذور والنعاج ان سبباً لكثير من الإحتفال . عاد دموزي بشحنته الثمينة ووضعها في رعاية أبيه أنكي . اجتمع القادة بعد ذلك ونظروا في كيفية العمل مع السلالة الجديدة لم يوجد أبداً على الأرض نعاج ، ولم ينزل من السماء على الأرض قبل ذلك حملاً . لم تلد من قبل أنثى ماعز مولودها لم يُغزل أبداً من قبل صوف الغنم ! قادة الأنوناكي أنكي وأنليل ونينجيشيزيدا ونينماه الذين كانوا الخالقين قرروا إنشاء غرفة خلق بيت التصميم أنشأت على تلة نقية من مكان الهبوط في جبل الأرز بالقرب من المكان زرعت بذور الأكسير ، التي جلبتها نينماه ، حيث أنشأت غرفة الخلق . هناك بدأت تكثر الحبوب والنعاج على الأرض . كان نينورتا معلم كائن للزراعة والحصد ..

كان مردوخ معلم أبايل لفنون تربية ورعي النعاج والخراف عندما حصدت المحاصيل الاولى وعندما نضجت أول نعجة أعلن أنليل مرسوم ، بإقامة إحتفال البدايات ! أمام جمع الأنوناكي قدمت الحبوب الأولى والحملان الأولى وضع كائن قربانه عند قدم أنليل وأنكي بتوجيه من نينورتا وضع أبايل قربانه عند قدم أنليل وأنكي بتوجيه من مردوخ منح أنليل الأخوين بركة مباركة وأشاد بجهدهم عانق أنكي إبنه مردوخ ورفع الخروف ليشاهد الجميع قال أنكي .. لقد نعمت الأرض الآن باللحوم للأكل والصوف للملابس !

الفصل الخامس

وهم الآلهة

تُعد أسطورة "نزول عشتار إلى العالم السفلي" الأطول والأهم بين هذه الأساطير. وتستند صيغتها الأكدية إلى الأسطورة السومرية التي تتناول نزول "إنانا" إلى العالم السفلي، إلا أنها تختلف عن النسخة السومرية في تفاصيل شتى. يصف النص الأكدي نزول عشتار إلى العالم السفلي دون أن يقدم تفسيراً لسبب قيامها بذلك. ونحن نعرف القصة الشهيرة التي تُجَرَّد فيها عشتار تدريجياً من حُليّها وملابسها أثناء عبورها لكل بوابة من البوابات السبع، حيث تقوم "إريشكيجال" بحبسها، ويتوقف كل أشكال الخصوبة والتكاثر على الأرض طوال فترة غيابها في العالم السفلي. يسود القلق والاضطراب في السماء، فيقوم الإله "إيا" بخلق كائن مخصي (أو خادم) ويرسله إلى العالم السفلي ليحتال على إريشكيجال ويجعلها تطلق سراح عشتار. تنجح الخطة، ويُطلق سراح عشتار لتعود إلى العالم العلوي. ويُختتم النص بفقرة تُصوِّر "تموز" وهو يستقبل عشتار عند عودتها، وتقول كلماتها: "في اليوم الذي يستقبلني فيه تموز، وحين تستقبلني معه مزمار اللازورد وخاتم العقيق الأحمر، وحين يستقبلني معه الرجال والنساء الناحبون، فليقم الموتى وليستنشقوا البخور". والجدير بالذكر أن الصيغة السومرية للأسطورة لا تتضمن أي إشارة إلى موت تموز ونزوله إلى العالم السفلي وهو الحدث الذي يُصوَّر في العديد من الطقوس والتراتيل الخاصة بتموز على أنه الدافع وراء نزول عشتار ولذا فإن هذه الإشارة هنا تُعد أمراً غير متوقع ويصعب تفسيره. وسنختتم هذا الفصل بتقديم ترجمة لأسطورة "الدودة والسن" إذ تُعد هذه الأسطورة مثالاً جيداً على الارتباط الوثيق بين الأسطورة والطقس الديني، لقد أظهرت لنا الطقوس والأساطير في بابل وآشور أن حياة المواطن البابلي أو الآشوري من المهد إلى اللحد كانت محاطة ومُوجَّهة بالمفاهيم والممارسات الدينية النوعية والتي تختلف جذرياً عن مفهوم الدين في العصر الحديث. ومن الواضح أن الأعياد الكبرى كانت تؤثر في حياة الأفراد العاديين باعتبارها مناسبات للابتهاج العام والاحتفال ولكن لا بد من أجل تكوين صورة متكاملة عن الديانة البابلية والآشورية من استعراض كيفية تأثير هذه الديانة الشمسانية في الجوانب الأكثر خصوصية في الحياة اليومية.

معظم الأسماء سومرية، وإن كان بعضها ينتمي لعالم الالهة ومن المرجح أن الشمسانيين قد تبنوا المعتقدات السومرية المتعلقة بالارواح الشريرة، إلى جانب النمط العام لثقافتهم وديانتهم. وكان يُنظر برهبة خاصة إلى أرواح الموتى الذين لم تُؤدَّ لهم طقوس الدفن الواجبة، أو الذين ماتوا في ظروف مشؤومة. وكان يُعتقد أن العديد منهم كانوا يؤدون واجباً وهما اثنان من ثالوث الآلهة العظام الذين اتسموا عموماً بالعداء تجاه البشر في حين أن الكثير غيرهم كانوا من نسل آلهة العالم السفلي. ومن ناحية أخرى، كان "إيا" العضو الثالث في ذلك الثالوث العظيم ودوداً دائماً تجاه البشر، واعتُبر مصدراً لفنون السحر والتعاويذ الحمائية التي اعتمد عليها البشر للدفاع عن أنفسهم ضد هجمات القوى الخارقة للطبيعة المعادية. ولهذا السبب أيضاً، كان "إيا" الإله الراعي لمختلف فئات الكهنة الذين تدربوا على طقوس طرد الأرواح الشريرة، ومعرفة التعاويذ والرقى، وتفسير الأحلام والنذُر؛ وهؤلاء هم الأشخاص الذين كان البابليون يلجؤون إليهم طلباً للمساعدة عند مواجهة أي مشكلة أو حيرة.

وفي هذا السياق، تجدر الإشارة أيضاً إلى وجود أشخاص امتلكوا المعرفة ذاتها لكنهم استخدموها لإلحاق الضرر بغيرهم من البشر؛ وهم السحرة والمشعوذون الذين تنعكس أنشطتهم الضارة في مختلف الصلوات والتعاويذ المحفوظة في مجموعات مثل "ماقلو" و"شوربو" المذكورتين آنفاً. فمنذ عهد "غوديا" حاكم "لالش" أي في منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد تقريباً نجد تشريعات وُضعت ضد هذه الفئة من الأشخاص المناهضين للمجتمع، وهي تشريعات يبدو أنها لم تكلل بالنجاح. وفي منتصف الألفية الثانية قبل الميلاد تقريباً، في العصر الآشوري الأوسط.

في مجموعة القوانين (تحرير: جي. آر. درايفر وجي. سي. مايلز، 1935)، نجد قسماً يتناول ممارسة السحر. ونصّه كما يلي:

"إذا أعدّ رجل أو امرأة تعاويذ أو أدوات سحرية، وضُبطت بحوزتهما، وقُدّمت ضدهما تهمة وأدلة إثبات، يُحكم على صانع تلك التعاويذ أو الأدوات السحرية بالموت. وعلى الرجل الذي رأى إعداد تلك التعاويذ، وسمع من شاهد عيانٍ –أخبره قائلاً: 'لقد رأيت ذلك بنفسي'– أن يتقدم كشاهد سماعي ويُبلغ الملك. وإذا أنكر شاهد العيان ما قاله ذلك الرجل، فعليه أن يُدلي بإفادته أمام 'الثور، ابن إله الشمس' قائلاً: 'أقسم أنّه قال ذلك' ، وحينها يُبرأ ذمته. أما شاهد العيان الذي نقل الخبر ثم أنكره، فيستجوبه الملك بالطريقة التي يراها مناسبة، ويستكشف خبايا نفسه. وعند استدعاء المُعالج (أو طارد الأرواح الشريرة)، فإنه يُجبر الرجل على الكلام، ويتحدث المُعالج قائلاً: 'لن يطلقوا سراحك من القسم الذي أُقسمتَ به أمام الملك وابنه؛ فلقد أُقسمتَ يقيناً وفقاً لكلمات اللوح الذي أُقسمتَ به أمام الملك وابنه'."

وتجدر الإشارة هنا إلى أن عقوبة ممارسة السحر في آشور هي الموت ، تماماً كما هو الحال في التشريعات الايزيدية ومن المثير للاهتمام أيضاً ملاحظة أنه في حالة الشاهد المعاند، يُستدعى الـ "آشيبو" أي المُعالج أو طارد الأرواح لإلزام الشاهد بقسمٍ ذي طابع مُلزم للغاية. تنص المادة الثانية من شريعة حمورابي على أن الرجل المتهم بالسحر يمكنه أن يخضع لاختبار النهر (المحاكمة الإلهية بالنهر): فإذا غرق، يُعتبر مذنباً ويحق لمُتّهِمه الاستيلاء على ممتلكاته أما إذا خرج سالماً، فيُحكم على مُتّهِمه بالإعدام. وفي مجموعة "ماقلو" التي سبق ذكرها تصف الشخصية التي تتلو التعويذة الساحرةَ بأنها "تلك التي تسكن كلمةُ شقائي في قلبها، وعلى لسانها تتولد أسباب هلاكي، ومن شفتيها ينبعث سمّي، والموت يتربص عند مواطئ أقدامها". ونظراً لأن جميع أنواع الأمراض أو المصائب كانت تُعزى إلى أفعال الأرواح الشريرة التي غالباً ما كان يحركها السحرة أو الساحرات فليس من المستغرب أن تكون النصوص السحرية زاخرةً بالإشارات إلى "الآشيبو" وإلى الدور الذي كان يؤديه في الطقوس الرامية إلى حماية البابلي أو تخليصه من غضب الآلهة، أو من هجمات الأرواح الشريرة. وفي مجموعة النصوص التي نشرها "إيبيلينغ" تحت عنوان " (من يوميات كاهن سحر آشوري)، نجد أن "الآشيبو" يُستدعى لأداء طقوس تهدف إلى حماية امرأة حامل (انظر ص 51)، أو تهدئة طفل باكٍ، أو تمكين رجل من مصالحة جارٍ أغضبه، أو إرباك العدو، أو ضمان نيل السائل حظوةً لدى الملك، أو تحقيق النجاح في نزاع قضائي. كما تصف نصوص عديدة نشاط "الآشيبو" في أداء الطقوس الرامية إلى شفاء أمراض مختلفة.

كانت عللٌ مثل الصداع والحمى والخرس والكوابيس تُعزى إلى هجمات الأرواح الشريرة أو أرواح الموتى وكان يُستدعى "الآشيبو" (الكاهن المعالج) لأداء الطقوس وتلاوة التعاويذ المناسبة للحالة المحددة. وفيما يلي مثال نموذجي لما كان يُطلب من "الآشيبو" فعله في حالة رجل استولت عليه "إيتيمو" (أي شبح) . عندما تستولي 'إيتيمو' على رجل، ويصرخ قلبه (من الألم)، عليك أن تطهّر نفسك في يوم سعيد، وتغتسل بماء من الخزان. وعليك الذهاب إلى البرية وكنس الأرض بغصن نخيل. وعليك صنع تمثال من الطين للرجل المريض ليكون بديلاً عنه وإلباسه ملابس عادية ووضع أربعة عشر رغيفاً (مرتين سبعة) لطعامه، ومغزل، وستار، ومسمار، وربطها جميعاً برأسه (رأس التمثال). وعليك إقامة مذبح أمام الإله ' شي شمش'؛ ونثر التمر والدقيق الناعم عليه، ووضع مبخرة تفوح بعطر السرو أمامه ووضع وعاء صغير للبخور عليه، ثم وضع ذلك التمثال أمام ' شي شمش.'

وعليك أن تقول: تعويذة، أيها الأب 'إيا'، يا مشرقاً، يا أبي 'إيا' الذي يُفعّل تعويذة 'مردوخ' ابن 'إريدو'. لقد رآه 'مردوخ'.مُسيطر السماء والأرض، خالق كل الأشياء، وقد رشّ الرجل المريض. نهاية التعويذة. عليك تلاوة هذه

التعويذة ثلاث مرات. وعليك قطع رباط ملابسه، وتقديم كعكة مخبوزة في الرماد ووعاءين من شعير الجعة (المالت) طعاماً له. وعليك أخذ ذلك التمثال وربطه بغصن أثل، وتلاوة تعويذة عليه، ثم وضعه في مكانه المخصص."

وتلي ذلك تعويذة طويلة أخرى، تُناشد آلهة العالم السفلي، التي يُفترض أن الرجل المريض (المُمثَّل في تمثال الطين) يقع تحت سلطتها. تنص الأسطر الختامية للوح على ما يلي: لقد دُفنتَ، ويمكنك أن تتحول، ويمكنك أن تتحول (أي: تعود إلى الحياة مجدداً). تعويذة: تُتلى عندما يعاني المرء من ألم في وسط جمجمته وجبهته."كانت الفكرة العامة التي تقوم عليها ممارسات "الآشيبو "كما هو الحال في العديد من الألواح المماثلة تستند في المقام الأول إلى مبدأ البوّ ، أي البديل.

غالباً ما يُقال إن الطقس يجري في "الصحراء"، وهي رمز شائع للعالم السفلي. وتُقدَّم القرابين لآلهة العالم السفلي، وتُؤدَّى الطقوس الجنائزية، وتستحضر التعويذة الإله " شي شمش" أو "إيا" أو "مردوخ" (وهم آلهة واهبة للحياة) وحينها يُعتبر المريض وكأنه قد بُعث من الموت، وبذلك يتحرر من القبضة الشريرة للقوة المعادية التي كانت قد استولت عليه، سواء كانت إلهاً أو روحاً شريرة أو شبحاً.

وقد أُشير سابقاً إلى أن عدداً كبيراً من الأرواح الشريرة يحملون أسماءً فالعديد من هذه الأسماء مستمد من أسماء الأمراض، وبعضها الآخر يشير إلى قوى معادية في الطبيعة أو إلى أنشطة مميزة ، فعلى سبيل المثال، كثيراً ما نسمع عن "رابيسو "أي "المتربص" أو "الرابض" لأنه كان يُعتقد أنه يكمن في الانتظار خفيةً. وقد تم تفسير آية غامضة على أنها إشارة إلى هذا الكائن المتربص. ويعود سبب إطلاق الأسماء على الأرواح الشريرة إلى إيمان الشمسانيين القدماء والسومريين كذلك بلا شك- بالقوة السحرية للأسماء إذ كان من الضروري معرفة اسم الشرير أو الشخص واستخدامه في التعويذة أو الرقية من أجل التمكن من السيطرة عليه. ويمكن الإشارة هنا إلى ممارسة شائعة جداً تظهر باستمرار في الألواح المخصصة لطرد الأرواح الشريرة، وهي عقد "العُقَد السحرية". وقد وُصفت سابقاً (انظر ص 51) نفس المصدر السابق (1935) حالة استخدام العُقَد السحرية التي يعقدها الكاهن الساحر لحماية المرأة الحامل. كما كان بإمكان الساحر أو الساحرة عقد عُقدة سحرية للسيطرة على عدو ما، وبحلّ تلك العُقدة، كانت قوة الساحر أو الساحرة تتبدد وتُبطل. وتنتهي إحدى ألواح "ماقلو" وهي سلسلة ألواح مخصصة لمكافحة السحر بالكلمات التالية: "حُلَّت عُقدتها، وبَطَل سحرها، وملأت تعاويذها الصحراء"، حيث ترمز الصحراء هنا إلى العالم السفلي، كما أُشير آنفاً. لم يكن المرض والسحر هما الحالتين الوحيدتين اللتين استدعيَت فيهما الاستعانة بـ "الآشيبو" فقد كانت المخاطر الخارقة للطبيعة تهدد معظم الأنشطة البشرية، إذ لم يكن بالإمكان الشروع في بناء منزل دون

اتخاذ الاحتياطات اللازمة. وكانت أكثر مراحل البناء خطورةً هي مرحلة وضع الأساسات ومرحلة إتمام البناء . كانت جميع المباني العامة أو المقدسة تُشيَّد مصحوبةً بوضع "ودائع التأسيس"، وهي ممارسة كانت تقترن بلا شك في العصور المبكرة بتقديم القرابين. وعند اكتمال البناء، كان الكاهن "آشيبو" يأتي ليضع تمثالاً طينياً لـ " الطوب" (أو اللبِن) ومعه بعض المؤن في قارب صغير لنقله بعيداً، ثم يتلو التعويذة التالية: "أيها الطوب، لقد انتُزعتَ وقُطعتَ وأُذللتَ. أستحلفك أيها الطوب بالسماء وبالأرض، وبـ (ألالا) و(بليلي)، وبـ (لاهمو) و(لاهامو)، وبالآلهة القاطنة في السماء، وبالآلهة القاطنة على الأرض، وبـ (أبسو) أي الأعماق المائية وبالآلهة القاطنة في (دوكو) أي الجبل المتلألئ لتُنتزع وترحل وتُزال وتضعف وتغادر هذا المكان إني أستحلفك ألا تعود". وتُشير اللوحة الطينية أيضاً إلى ضرورة أن يُدير الكاهن "آشيبو" والبناءُ وجهيهما بعيداً، ثم يلقيا بسبع لوحات (؟) جهة اليمين وسبع لوحات (؟) جهة اليسار في النهر، كما يُحظر على البنّاء دخول المنزل لمدة ثلاثة أيام. وتُظهر الأعداد الكبيرة من النصوص السحرية مدى الارتباط الوثيق بين الحياة اليومية للبابلي أو الآشوري وبين فن طرد الأرواح الشريرة؛ فالتاجر الذي تتراجع أعماله، والبغي التي تخبو جاذبيتها، والمزارع الذي يطلب المزيد من المطر أو يرغب في درء آفة الجراد، ورجل البلاط الذي يسعى لنيل الحظوة لدى الملك ، كل هذه الفئات المتنوعة من الاحتياجات حاضرة في النصوص السحرية التي توفر الطقس والتعويذة الملائمين لكل موقف. عند تناول مسألة الخطيئة والتكفير في الديانة البابلية، سنجد أنه لا بد من النظر في جوانب أخرى من أنشطة الكاهن المُعالج (الآشيبو). غير أننا يجب أن ننتقل الآن إلى مهام كاهن العرافة (البارو) وكيف أثرت تلك المهام في الحياة اليومية للبابلي؛ فقد كان من صميم عمل "البارو" تزويد عامة الناس بمعلومات عما يخبئه المستقبل.

اعتقد البابليون والآشوريون أن المستقبل قابل للتحكم والتنبؤ وكانوا يعتقدون أن كل ما يحدث في الكون يشكل جزءًا من نمط معقد من السبب والنتيجة وأن معنى هذا النمط يمكن تحديده من خلال مراقبة مسار الأحداث، حتى أبسطها. وكان جزءٌ هامٌ من نشاط البارو يتمثل في مراقبة حركات الأجرام السماوية، إذ اعتقد البابليون أن مسار الأحداث على الأرض يعكس مسار الأحداث في السماء ويتحدد به. قد يكون من المناسب هنا الاستشهاد بمقطع هام من مناقشة البروفيسور ثوركيلد جاكوبسن لفكرة بلاد ما بين النهرين عن الكون كدولة: لكن المجتمع البشري كان بالنسبة لسكان بلاد ما بين النهرين مجرد جزء من مجتمع الكون الأوسع. كان كون بلاد ما بين النهرين لأنه لم يكن يتكون من مادة جامدة، ولأن كل حجر ، وكل شجرة، وكل شيء يمكن تصوره فيه كان كائنًا له إرادة وشخصية خاصة به مؤسسًا على السلطة وكان أفراده أيضًا يطيعون الأوامر طواعية وتلقائية التي جعلتهم يتصرفون كما ينبغي. هذه الأوامر نسميها قوانين الطبيعة."

في نهاية المطاف، كانت إرادة الآلهة هي التي شكلت مجرى الأحداث لكن إرادة الآلهة لم تكن ثابتة، ولم تكن الآلهة تريد دائمًا الشيء نفسه . ومن ثم، من ناحية ،كان يُعتقد أنه من الممكن، من خلال الصلوات والتوبة والقرابين المناسبة، تغيير إرادة الآلهة وبهذا المعنى، يمكن التحكم في المستقبل. من ناحية أخرى، من خلال مراقبة تسلسل الأحداث، حيث ساد اعتقاد بإمكانية رصد نمط منتظم في ترابطها، مما يتيح التنبؤ بالمستقبل.

وتتجلى ثمرة قرون عديدة من هذه الملاحظات في تلك المجموعة الضخمة من نصوص النبوءات (أو البشائر) التي أُتيح جمعها بفضل عمليات التنقيب في مواقع عديدة في بلاد الرافدين. وإلى جانب ما نعرفه عن نصوص النبوءات ذاتها، فقد سلطت الرسائل الرسمية للملوك الآشوريين المحفوظة في مكتبة آشوربانيبال بنينوى الضوءَ بشكل كبير على أنشطة كهنة "البارو"فعلى سبيل المثال، نجد في إحدى الرسائل الكاهن "نابو–زير يخاطب الملك قائلاً: "لقد رصدتُ العلامات والنبوءات سواء صدرت عن السماء أو الأرض أو العالم السفلي أياً كان عددها، وعرضتُها متتابعةً أمام الإله شي شمش."

"في شهر تموز، وفي ليلة العاشر منه، تقترب كوكبة العقرب من القمر. وتفسير ذلك هو .. إذا ظهر القمر وكان العقرب بمحاذاة قرنه الأيمن، فإن أسراب الجراد ستنتشر خلال العام وتلتهم محاصيل الحبوب أما ملك عيلام فسيُقتل في ذلك العام وينتهي حكمه، إذ سيخرج عدوٌ وينهب أرضه. وفي المقابل، سينال ملك أكد صولجاناً رفيع الشأن وسيطول عهده، وإذا ما واجهه عدوٌ، فسيتحقق القضاء على ذلك العدو."

وكما تُظهر هذه الرسائل وغيرها الكثير، كان لكاهن "البارو" صلة وثيقة بالملك والبلاط الملكي إذ كان دائم التشاور مع الملك بشأن ما تكشفه النبوءات حول أي مسار عمل مقترح، كما كان حاضراً ومتاحاً باستمرار في أوقات الحروب. تقدم لنا الأدب الايزيدي صورةً حيةً لاستشارة الملك "سرجون" لشيوخ البلاط بشأن حملته المقترحة ضد العيلاميين ، وللطقوس التي اتبعوها في تقديم ردودهم وثمة إشارة أخرى كاشفة في النصوص الايزيدية المستخدمة انذاك تتناول أساليب العرافة البابلية وفروقاتها عن تلك المستخدمة في آشور.

إذ وقف ملك بابل عند مفترق الطرق، عند مفرق الطريقين، ليمارس العرافة فكان يرجف السهام ، ويستشير الترافيم (الأصنام المنزلية) ، ويفحص كبد الذبيحة؛ وكانت القرعة التي تشير إلى أورشليم في يده اليمنى". غير أن عادة استشارة "البارو" (الكاهن العرّاف) لم تقتصر على الملوك والبلاط الملكي فقد كان المواطن العادي يلجأ إليه طلباً للإرشاد في كل ما يتعلق بمعرفة الغيب. فإذا عزم تاجرٌ على القيام برحلة تجارية، أو أراد رجلٌ الشروع في بناء منزل أو ترتيب زواج ابنته، كان أول ما يهمه هو معرفة ما إذا كان اليوم الذي اختاره يوماً سعيداً (مباركاً) أم لا من خلال

استشارة "البارو". وكان ملوك بابل وآشور يحرصون دائماً –في نقوشهم العمرانية العديدة– على ذكر أن حجر الأساس قد وُضع في شهر سعيد ويوم سعيد. ومما سبق، يتضح أن الدور الذي لعبه العرّاف أو "البارو" في الحياة البابلية كان بالغ الأهمية. وعلينا الآن أن نستعرض بشيء من التفصيل العمليات والأساليب المتعددة والمتنوعة التي تندرج تحت مصطلح "العرافة".

يعود تقليد ممارسة العرافة إلى عصور سحيقة في القدموكان يُنظر اليها على أنها علم نوعي لفهم كوزمولوجيا الكون والإستفادة من علوم الفلك والإصطفافات الفلكية ومواقع النجوم ودخول الكواكب وخروجها وتقدمها وتراجعها وتأثيرها على ذبذبات الكائنات في الوجود مهما كان صنفها ، إذ تصف النسخة السومرية من أسطورة الطوفان بطل القصة وهو يمارس العرافة ، كما كانت طائفة "الباروتو" أي رابطة العرافين تعتقد أن الملك الأسطوري لمدينة سيبار أنكي هو من تلقى فن العرافة من الآلهة ونقله إلى طبقة الكهنة. وكان ممثل إله الشمس "شمش" (شمش السومري يختلف عن الإله شي شمس أو شمش هو الراعي الخاص لهذه الطائفة ، وإن كانت معظم الآلهة الكبرى تؤدي أيضاً دوراً في طقوس العرافة. فمنذ عهد "أور–نشو " ملك مدينة لجش وكاهنها (حوالي عام 3000 قبل الميلاد)، تشير إحدى النقوش إلى شخص يحمل لقب "كبير العرافين"، حيث تقابل الكلمة السومرية الدالة على "العراف" الكلمة الأكدية "بارو" وتختصر الى البرّ . وبعد ذلك بقرن تقريباً، تذكر نقوش تعود لعهد "أورو–كورجيا" مسؤولاً يُدعى "أبكالو" ، وهو خبير في العرافة ويلقب بأبو القوالون . وتُظهر أدلة أخرى استمرار تزايد أهمية العرافة وصولاً إلى عهد حمورابي البابلي ففي عهده، جرى تقنين ممارسات العرافة السومرية والأكدية، وقد رأينا بالفعل في الفصل السابق كيف كان الملوك الآشوريون يلجؤون مراراً إلى خدمات "البارو". وهناك ثلاث كلمات تحدد ثلاثة جوانب مختلفة لما كان يسعى العراف للتحقق منه، وهي: "برو" وتعني الرؤية، و"برو سو" وتعني القرار، و"عتو" وتعني العلامة أو النذير وتظهر الكلمة الأخيرة أيضاً في الأدب الايزيدي بصيغة "خديده " يسعى للوقوف على مشيئة الآلهة من خلال الأحلام والرؤى التي كان يُطلب منه تفسيرها، كما كان يسعى بشتى الطرق لإصدار قرارات بشأن شؤون الدولة، وهي قرارات كانت تُعدّ بطبيعة الحال قرارات صادرة عن الآلهة. وعن طريق مراقبة العلامات أو النُذُر كما رأينا سابقاً كان يراكم رصيداً من الحالات ذات الدلالة التي يبني عليها قراراته أو مشورته. وعلينا الآن أن نصف الأساليب المختلفة التي كان يستخدمها "البارو" (أو العراف) لتحقيق هذه الغايات.

تنقسم الأساليب التي يتبعها الكاهن العرّاف إلى فئتين رئيسيتين، وإن كان من الصعب أحياناً تحديد خط فاصل دقيق بينهما ويمكن تعريفهما بأنهما أساليب "طبيعية" وأخرى "آلية" (أو تقنية). تندرج تحت فئة الأساليب "الطبيعية" ظواهر مثل الأحلام والرؤى، وحالات الولادة، وحركات الحيوانات، والأهم من ذلك كله، الظواهر الفلكية والجوية

وسنخصص فصلاً مستقلاً للحديث عن هذه الأخيرة. أما تحت فئة الأساليب "الآلية"، فيمكننا إدراج ما يُعرف بـ "ليكانومانسي "أي مراقبة الأشكال التي يتخذها الزيت عند سكبه على سطح الماء يلي ذلك فحص الأعضاء الداخلية للحيوانات المذبوحة أو قرابين الأضاحي، ولا سيما الأغنام منها. وفي حين كانت الأحشاء مصدراً غنياً للعلامات والنبوءات، فإن دراسة الكبد المعروفة بـ "هيبتي سكبي "شكلت فرعاً بالغ الأهمية من أنشطة الكاهن "بارو" إذ عُثر على نماذج للكبد تُظهر سطحه مقسماً إلى مناطق كانت أشكالها تشكل أساساً للتنبؤات. وقد أسفرت الحفريات الحديثة في مدينة "ماري" عن اكتشاف عدد من نماذج الكبد المصنوعة من الطين، والتي تحمل نقوشاً تتعلق باستخدامها في أغراض العرافة والتنبؤ. وتندرج تحت الفئة ذاتها ممارسة العرافة بواسطة السهام وتُعرف بـ "بيلومانسي "وهي الممارسة التي أشار إليها اكثر من كوجك ايزيدي ، وكذلك العادة واسعة الانتشار المتمثلة في العرافة عن طريق إلقاء القرعة المقدسة. ومن الأمثلة المألوفة على ذلك استخدام الايزيديين لـ "الأوغر "وهي وسيلة يُجمع عموماً على أنها شكل من أشكال العرافة بالقرعة المقدسة. وفيما يلي وصف موجز لهذه المصادر المتنوعة للعلامات والمعلومات المتعلقة بالمستقبل. لقد عُدّت الأحلام والرؤى الليلية، منذ أقدم العصور، الوسيلة الأكثر مباشرة التي تنقل بها الآلهة مشيئتها إلى البشر. وتتضمن ملحمة جلجامش تدويناً لعدد من الأحلام التي راودت جلجامش أو صديقه إنكيدو؛ حيث يُصوَّر جلجامش وهو يلجأ إلى أمه الإلهة التي كانت "عالمة بكل شيء" لتفسير تلك الأحلام. كما تلقى "جوديا" في لالش تعليمات في المنام لبناء معبد، وتحتوي السجلات والنقوش التي تعود لملوك آشور في عصور لاحقة على أمثلة عديدة لأحلام ذات دلالة وأهمية. يمكن إيراد مثال

من رسالة وجهها مردوخ-شوم-أوسور إلى آشوربانيبال، وكان على الأرجح كاهن "بارو" في البلاط:

في المنام، قال الإله آشور لـ (سنحاريب) جدِّ الملكِ سيدي ما يلي: 'أيها الحكيم! إنك أيها الملك وسيد الملوك سليلُ الحكيم وأدابا إذ تفوق في معرفتك أبسو وجميع الحرفيين. وعندما ذهب (أسرحدون) والدُ الملك سيدي إلى مصر، رأى في منطقة حران معبداً مبنياً من خشب الأرز، حيث كان الإله (شي سن) يتكئ على عصا وعلى رأسه تاجان، بينما كان الإله نوسكو يقف أمامه. وحين دخل والدُ الملك سيدي، وضع (الإله) (تاجاً) على رأسه قائلاً: "ستذهب إلى بلدان وستفتحها!"؛ فغادر وفتح مصر. أما البلدان المتبقية التي لم تخضع بعد للإلهين آشور وشي سن، فسيفتحها الملك وسيد الملوك'." غير أن الأحلام لم تكن مجرد ظاهرة يتلقاها المرء فحسب، بل كان يمكن استحثاثها أيضاً عبر وسائل ملائمة ، إذ خُصصت غرفة في المعبد لهذا الغرض. وهناك، ومن خلال عملية تُعرف بـ "التحضين "كان كاهنٌ خاص من طبقة "البارو "يُدعى "شبرو "يعمل على استحضار حلمٍ لصالح السائل، ليقوم كاهن "البارو" بعد

ذلك بتفسيره له. وقد استندت مبادئ التفسير إلى التقاليد المتوارثة أي مجموع مادة الأحلام المنقولة من عصر إلى آخر وكذلك إلى الدلالات الخاصة المرتبطة بعناصر الحلم المختلفة، كالأرقام والحركات والمواقع (مثل اليمين أو اليسار) وغيرها من السمات التي كانت تحمل بالفعل معنىً محدداً في تقاليد العرافة. وتشغل نُذُر الولادة سواء كانت ولادة بشر أو حيوانات حيزاً كبيراً من نصوص النبوءات فالولادة في حد ذاتها كانت تُعد بالنسبة للبابليين عملية سحرية تحيط بها الطقوس وتفسرها أساطير شتى. أما بالنسبة للعراف، فكان لأي نوع غير طبيعي من الولادة دلالة خاصة تستوجب الملاحظة والتدوين؛ إذ كانت حالات الولادة المتعددة أمراً لافتاً، كما أن حدوث تشوهات خلقية حقيقية كان يُعزز بتأثير الخيال أو الأحلام. لقد سُجّلت لدينا نذيرٌ مفاده:

"إذا أنجبت امرأةٌ طفلاً برأس أسد، فسيحكم البلاد ملكٌ عظيم. وإذا أنجبت طفلاً بلا أذنٍ يمنى، فستنتهي أيام الأمير. وإذا أنجبت طفلاً برأس ثعبان، فتلك نذيرٌ من الإله نينغيزيدا الذي يلتهم الأرض، ونذيرٌ من جلجامش الذي يظلم الأرض؛ إذ سيسود البلاد ملكٌ يمارس حكماً عالمياً".

هناك أيضاً مجموعة من نصوص النبوءات (أو البشائر) المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بما سبق، والتي تسرد مظاهر متنوعة للوجه والهيئة البشرية وما تحمله من دلالات تنبؤية؛ على سبيل المثال: "إذا كانت قدما الرجل تشبهان أقدام البط، فسيصبح عظيماً (وهذا يعني أن قدميه عريضتان وممتلئتان)". وتلي ذلك النبوءات المستمدة من حركات الحيوانات، ولا سيما الطيور، فقد كان سلوك الحيوانات الأليفة يُرصد بدقة، وكانت خيول العربات الملكية مصدراً لنبوءات ملكية متنوعة ، كما استُمدت نبوءات عديدة من سلوك الكلاب، وهو أمر متوقع. فعلى سبيل المثال: "إذا تبوّل كلب أبيض على شخص ما، فسيحل به الفقر وإذا فعل كلب أسود الشيء نفسه، فسيصيب ذلك الرجلَ مرضٌ أما إذا فعل كلب بنيّ ذلك، فسيشعر الرجل بالفرح". وكان لسلوك وتحليق النسور وغيرها من الطيور الجارحة دلالة خاصة؛ إذ قيل: "عندما يصطاد الصقر ويمر من الجانب الأيمن للملك إلى جانبه الأيسر، فإن الملك سينتصر في وجهته". ولم تغب أفعال الزواحف عن الأنظار؛ فقد كانت طباع الثعابين وعاداتها تثير الريبة والدهشة دائماً، ولا سيما قدرتها على تجديد نفسها من خلال طرح جلدها. وتشكل حركات الثعابين في شهر "نيسان" موضوعاً لمجموعة من النبوءات، منها: "إذا سقط ثعبان خلف رجل ما في الفترة ما بين اليوم الأول والثلاثين من شهر نيسان، فإن صديقه سيتحول إلى عدو له". ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا النوع من النبوءات دلالة اليد اليمنى واليسرى، كما رأينا في نبوءة الصقر المذكورة آنفاً فبشكل عام، كانت اليد اليمنى تُعد فألاً حسناً، بينما كان العكس صحيحاً بالنسبة لليد اليسرى لأنها تتجه نحو بلاد "عيلام" المعادية ومن هنا جاء المعنى الشائع لكلمة كَوبار التي تعني "مشؤوم" أو "نذير

شؤم" وأصلها اللاتيني يشير إلى جهة اليسار .(أما أهم النبوءات المستمدة من مصادر طبيعية وتحديداً تلك القائمة على رصد الظواهر الفلكية والجوية – فسيتم تناولها في الفصل التالي. وعليه، سننتقل الآن إلى الأساليب "الآلية" أو الاصطناعية للحصول على النبوءات. كان شكل العرافة المعروف باسم "لكَانو ماسي "يعتمد على إسقاط الزيت أو الدقيق أحياناً من إناء كبير على سطح الماء في وعاء حيث كان يُستدل على البشائر من الأشكال التي يتخذها الزيت أو الدقيق الطافي. وفي لوح طيني يعود إلى عهد حمورابي البابلي، نقرأ ما يلي:

"إذا شكّل الزيت حلقةً باتجاه الشرق وبقي متماسكاً (دون انقطاع): فبالنسبة للرحلة، سأقوم بها وأجني نصيباً (أي أحصل على حصة من الربح الناتج عن مشروع تجاري)؛ وبالنسبة للمريض، فإنه سيشفى".

"عندما يُشكّل الزيت دائرتين، إحداهما كبيرة والأخرى صغيرة، فإن زوجة الرجل ستلد ذكراً؛ أما بالنسبة للمريض، فإنه سيشفى. وعندما ينتشر الزيت ويملأ الكأس، فإن المريض سيموت؛ وفيما يخص السفر، فإنه سيؤدي إلى موت المشاركين فيه". ومن بين طريقتي العرافة باستخدام الأعضاء الداخلية لحيوان مذبوح –أي فحص الأمعاء وفحص الكبد كانت الطريقة الأخيرة هي الأهم والأكثر انتشاراً، رغم أن مظهر الأمعاء والقلب كان يحظى أيضاً بأهمية كبيرة كمصدر للنبوءات (أو العلامات الغيبية). وقد انتقلت كلتا الطريقتين إلى ما وراء حدود بلاد الرافدين، واستخدمهما العرافون (الكهنة المتخصصون في قراءة الأحشاء) لدى الإتروسكيين والرومان. ويُعد نموذج الكبد البرونزي الشهير، الذي اكتُشف في بياتشينزا عام 1877، شاهداً على انتشار الطريقة البابلية في قراءة الكبد فوفقاً للمنظور النفسي السامي، كان القلب هو مقر العقل والذكاء، بينما كانت الأحشاء (الأمعاء) والكبد مقر العواطف والمشاعر. وتشير النصوص الطقسية البابلية إلى مسألة "إرضاء كبد الآلهة"، أما المصطلح الفني المستخدم للإشارة إلى الأمعاء عند كشفها للفحص أي "الأمعاء المتشابكة". كان الكاهن يستنبط نُذُره من شكل الأحشاء ولونها وعددها. وفي بعض الأحيان، كانت الأحشاء تتخذ هيئة وجهٍ عابسٍ يُعرف باسم "وجه هومبابا"، وهو شكلٌ وُثّق تصويره على ألواحٍ وتُرجِع التقاليد المتوارثة أصل هذا النمط من العرافة إلى عهد الملك سرجون الأول وخير دليل على ذلك المثال التالي: "عندما تكون الأحشاء محاطةً تماماً بالمرارة، فإن ذلك يُعد نذيراً يخص سرجون، الذي استناداً إلى هذه النبوءة غزا بلاد عيلام، وأخضع العيلاميين، وحاصرهم، وقطع عنهم الإمدادات". ولأغراض العرافة، كان الكهنة يضعون تخطيطاً دقيقاً ومفصلاً للكبد، ويطلقون مسمياتٍ محددة على أقسامه ونتوءاته المختلفة، مثل "الإصبع" و"الفم" و"القصر" و"الراية" وغيرها وتعود جذور النبوءات المستمدة من هيئة هذه الأجزاء المختلفة للكبد إلى عهدي سرجون الأول ونارام–سين.

يعود تاريخ نموذج مبكر جداً للكبد مقسم إلى أكثر من خمسين قسماً بخطوط عمودية وأفقية إلى عهد السلالة البابلية الأولى. وكان تحت تصرف الكاهن، الذي كان يتعلم فن قراءة الكبد، عدد من الكتيبات الإرشادية التي تشرح دلالات أجزاء الكبد المختلفة وتعلّق على أمثلة للنبوءات المستمدة منها. أما تقنية الملاحظة الفعلية فكانت تتم على النحو التالي: أولاً، يقوم الكاهن بفحص الكبد والمرارة والأحشاء المتصلة بها وهي مستقرة داخل تجويف بطن الخروف المفتوح؛ ثم يرفعها بيده اليسرى لفحصها عن كثب وبعد ذلك تُسحب الأحشاء للخارج للكشف تماماً عن الأعضاء الواقعة خلفها. وعندها يصبح من الممكن تمييز الجوانب الإيجابية (المبشرة بالخير) والسلبية (المنذرة بالسوء) في الكبد نفسه.

وفي دليله الإرشادي، كان الكاهن يجد تعليمات مثل: "عندما تكون العلامات الإيجابية كثيرة والسلبية قليلة، تكون النبوءة مبشرة بالخير. أما عندما تكون العلامات السلبية كثيرة والإيجابية قليلة، فتكون النبوءة منذرة بالسوء". وكذلك: "عندما تتوازن العلامات الإيجابية والسلبية بالتساوي، لا ينبغي الاعتماد على حظ هذه النبوءة". وإذا أسفر الفحص الأول عن نتائج سلبية، فقد يُجرى فحص ثانٍ أو حتى ثالث سعياً للحصول على نتيجة إيجابية. ولدينا سجل يعود لعهد الملك "أسرحدون" يوثق استفساراً وجهه الملك للإله "شي شمش" بشأن مدى ملاءمة الملك السكيثي "بارتاتوا" ليكون زوجاً لابنته وقد تم الاستفسار عن طريق فحص الكبد. ويبدأ السجل بمناشدة الإله التغاضي عن أي عيوب قد تشوب الأضحية أو تعتري نقل رسالة الإله بواسطة الكاهن. كانت نتائج فحص الكبد الأول الموصوفة بتفاصيل دقيقة سلبية، فأُجري فحص ثانٍ على الفور وأعطى نتائج إيجابية، مما مكّن "أسرحدون" من قبول الملك السكيثي صهراً له 3. ويبدو أن نصوص الكبد الأقدم – التي تعود لعصر السلالة البابلية الأولى والعصر الكاشي – تقتصر على تسجيل الملاحظات دون إرفاقها بتفسيرات؛ ولكن من ناحية أخرى، كانت النصوص المستمدة من مكتبة آشوربانيبال ومعابد العصر البابلي الحديث مصحوبةً جميعُها بتفسيرات.

كما صُنِّفت هذه العلامات وفقاً لأقسام الكبد المختلفة، وذلك لتسهيل عملية البحث على السائل. وقد عُرف النتوء الهرمي للكبد في نصوص العرافة باسم "الإصبع"؛ وفيما يلي بعض الأمثلة على النبوءات المستمدة من مظهر هذا "الإصبع:"

"إذا كان 'الإصبع' شبيهاً برأس أسد، فسيقوم الخدم بطرد الأمير؛ وإذا كان 'الإصبع' شبيهاً بأذن أسد، فلن يكون للأمير منافسون؛ وإذا كان 'الإصبع' شبيهاً برأس خروف، فسيحقق الأمير نجاحاً تاماً"، وهكذا دواليك. كما

استُمدت النبوءات من الكليتين؛ حيث كانت المقارنة بين الكلية اليمنى واليسرى تفضي إلى دلالات هامة، على سبيل المثال:

"إذا تلفت الكلية اليمنى، فستموت الأميرة؛ أما فيما يتعلق بالحرب (أي السلاح)، فهذا يعني هلاك سيدي؛ وإذا تلفت الكلية اليسرى، فستموت أميرة البلد المعادي؛ أما فيما يتعلق بالحرب، فهذا يعني هلاك الأمير المعادي". يمكن سرد أمثلة لا حصر لها، ولكن ما ذُكر يكفي لتوضيح الأساليب التي كان يتبعها الكاهن في التنبؤ استناداً إلى الأعضاء الداخلية للحيوان المذبوح. ويبدو أن المبدأ الكامن وراء طريقة العرافة برمتها -إن وُجد مبدأ محدد هو مبدأ تجريبي بحت فأحياناً كانت المصادفات المتكررة تؤدي إلى تفسير معين، وأحياناً أخرى كان القياس أو مجرد التلاعب بالألفاظ يقود إلى صياغة نبوءة ما. غير أن العنصر الديني الكامن خلف ما يبدو عملية آلية تماماً، يكمن في الاعتقاد بأن تلك الشبكة المعقدة من الأحداث قد نشأت بمشيئة الآلهة؛ ومن ثم، فإن أسلوب التجربة والخطأ قد يكشف لعقل الإنسان الذي يتحسس طريقه عن ماهية تلك المشيئة. أما العرافة عن طريق القرعة أو رجّ السهام وهي وسيلة كان يُلجأ إليها عادةً للإجابة عن استفسار ما ، فكانت تتخذ شكل إجابة بـ "نعم" أو "لا"؛ حيث كانت تُصاغ الأسئلة بطريقة تستدعي مثل هذه الإجابة .

قبل الانتقال إلى الجانب الأهم من أنشطة العرّاف ألا وهو رصد حركات الأجرام السماوية ومراقبة أحوال الطقس تجدر الإشارة إلى أنه عُثر، ضمن المجموعات العديدة لنصوص النذُر وكتيبات العرافة، على مجموعات تتناول علاماتٍ نذيرةً وأحداثاً خارقةً لا تندرج تحت أيٍ من التصنيفات المذكورة آنفاً، ولكنها اعتُبرت ذات دلالة نذيرة ولذا جرى تدوينها. ومن الأمثلة على ذلك المجموعة الشهيرة التي تضم سبعاً وأربعين علامةً نذيرةً صاحبت سقوط مملكة أكّد فمن بين تلك العلامات نجد: "صرخةً انطلقت من رأسٍ مقطوع"، و"فرساً نبت لها قرنٌ على الجانب الأيسر من جبهتها"، و"نخلةً ذكراً في بابل أثمرت بلحاً"، و"دخول أسد وضبع وخنزير بري إلى المدينة". وتتضمن بعض هذه العلامات المذكورة جرائم تتعلق بسفاح القربى. وعلاوةً على ذلك، وإلى جانب أساليب العرافة المتبعة لاستجلاء مشيئة الآلهة، توجد حالات موثقة لأقوال نبوية تضاهي تلك التي نُسبت إلى كوجكين ايزيديين وقد عُرف أفراد فئة "الباروتو "الذين مارسوا هذه الوظيفة المحددة باسم "برو" وهو مصطلح يوحي بحالة من "الوجد" أو "النشوة الروحية " التي عادةً ما تُنسب إلى ظواهر معينة في النبوءة العبرانية. والجدير بالذكر أن عدداً من أصحاب هذه النبوءات كنّ من النساء. إليك هذا المثال:

"لا تخف يا أسرحدون، فأنا الإله 'بيل' أخاطبك. إني أشدُّ أزرَ قلبك، تماماً كما فعلت أمك التي وهبتك الحياة. يقف معي ستون إلهاً عظيماً لحمايتك؛ فالإله 'سين' عن يمينك، والإله 'شمش' عن يسارك، وستون إلهاً عظيماً يحيطون بك متأهبين للمعركة. لا تثق بالبشر! وجِّه عينيك نحوي وانظر إليّ! أنا عشتارُ أربيل؛ وقد حوّلتُ رضا 'آشور' إليك. لقد رعيتُك حين كنتَ صغيراً. لا تخف، بل سبِّح بحمدي. أين ذلك العدو الذي هبَّ نحوك دون أن ألحظه؟ فالمستقبلُ كالمَاضي! أنا الإله 'نابو'، سيدُ قلمِ الألواح، فسبِّح بحمدي"!

نبوءةٌ على لسان المرأة 'بابا' من أربيل.

الفصل السادس

بين العرافة والتنجيم

شرحت في الفصول السابقة الفرق بين التنجيم والعرافة وطريقة النظر اليهما من قبل السومريين والبابليين والآشوريين ، وكانت هذه الحضارة تنظر الى الوجود نظرة أوسع من النظرة المادية الضيّقة التي وصل لها العقل البشري السطحي في العصر الحديث ، في نبوءة بارزة لجوديا تتنبأ بسقوط بابل، يخاطب الشاعر المدينة المحكوم عليها بالهلاك قائلاً:

(لن ينفعكِ العرافون والمنجمون يا بابل فقد إصطفت النجوم بطريقة تنذر بسقوطكِ) في حين تشير عبارة "العرافون بحوادث الشهور" إلى وظيفة هامة كان يضطلع بها كاهن البرّ وهي تحديد الأيام والشهور السعيدة وتلك المنحوسة. ولكن بحلول عصر "سرجون "، كان التنجيم البابلي قد أصبح ممارسة عريقة للغاية، وربما كان أقدم الوسائل جميعاً للكشف عن مشيئة الآلهة. فوفقاً للمعتقدات البابلية، كانت الظواهر السماوية بمثابة نموذج للأحداث الأرضية، وكانت حركات الأجرام السماوية تحدد مصائر البشر. وقد رأينا سابقاً كيف خُصِّص لكلٍّ من الآلهة العظام آنو وإنليل وإيا جزءٌ من السماء في إطار النظام الكوني الذي تلا الانتصار على "تيامات". وضمن "مسارات" الآلهة هذه كما كانت تُسمَّى حُدِّدت مواقع الكواكب ، إذ كان لجميع الكواكب والنجوم المعروفة آنذاك لدى البابليين والآشوريين أسماءٌ خاصة، وكان يُنظر إليها باعتبارها آلهةً متفاوتة المراتب، ولها مكانتها في الميثولوجيا والطقوس الدينية. وقد كان "شي شمش" (إله الشمس) و"أداي" (خالق الجميع) هما الراعيين الرئيسيين للجانب التنجيمي من العرافة، وإن كانت هناك آلهة أخرى عديدة مثل "ننار" أو "شي سين" (إله القمر) و"عشتار" (بصفتها "ديلبات" أو كوكب الزهرة) تلعب دوراً مهماً في عمليات الرصد والحسابات التي كان يجريها راصدو النجوم. وتُعد أقدم مجموعة لرصد الظواهر السماوية وتفسير دلالاتها كفألٍ أو نذير، هي ذلك الدليل القديم للتنجيم المعروف باسم البرّ والذي يُعتقد أنه يعود إلى العصر السومري.

تتجلى قِدم هذه النصوص من خلال إشارتها إلى التقسيم الرباعي القديم للعالم ليشمل أراضي أكاد وبابل وسيبار واشور، وهو تقسيم لم يعد مستخدماً في العصور اللاحقة ، كما يظهر ذلك أيضاً من ذكر ملوك قدامى مثل "ريموش" و"إيبي–سين"، الذين يعود عهدهم إلى منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد. وفي مراحل لاحقة، نجد إشارات إلى

الحيثيين مما يرجح أن هذه المجموعة قد تشكلت وتطورت عبر القرون من خلال إضافة ملاحظات أجيال متعاقبة من المنجمين. لا شك أن الزقورات كانت تُستخدم كمراصد فلكية، إلا أن المعابد كانت تضم أيضاً غرفة خاصة للمنجمين تُعرف باسم بيت نابو أو المتنبئ أي "بيت الرصد" حيث كانوا يراقبون القمر. وقد وُجدت سجلات تذكر: "في اليوم التاسع والعشرين، قمنا بأعمال الرصد في بيت الرصد: كان الجو غائماً، ولم نرَ القمر". وبطبيعة الحال، أدى هذا الاهتمام بحركات الأجرام السماوية إلى نشأة التقويم، كما وضعت الملاحظات والحسابات الدقيقة التي أجراها المنجمون البابليون حجر الأساس لعلم الفلك. غير أن اهتمامنا ينصبّ هنا على الجانب الديني للموضوع، وعلى كيفية توظيف العرّافين لمعرفتهم بالسماء.

ربما كان القمر أول الأجرام السماوية التي خضعت للرصد؛ فهو الأقرب إلى الأرض، وتتسم تغيراته بالانتظام والروعة في آن واحد، مما جعل أهميته لأغراض العرافة والتنبؤ تدرك في وقت مبكر جداً. ونظراً لتعذر تحديد أطوار القمر بدقة رياضية تامة، كان لا بد من مراقبة أوقات اختفائه وظهوره بعناية فائقة، حيث كانت التباينات في هذه الأوقات تُعتبر نذيراً بأحداث هامة أو مشؤومة. لدينا سجلٌ مبكرٌ يتعلق بظهورٍ مشؤومٍ للقمر في الشهر الكبيس:

"إذا شوهد القمر في هذا الشهر في اليوم السابع والعشرين على الهيئة التي يظهر بها في يوم ظهوره الأول، فإن ذلك ينذر بوقوع مكروه لبلاد عيلام؛ وإذا شوهد القمر في اليوم الثامن والعشرين على الهيئة التي يظهر بها في يوم ظهوره الأول، فإن ذلك ينذر بوقوع مكروه لبلاد أمورو". وتشير النصوص كذلك إلى وقوع مكروه لبلاد "غوتيوم" و"أكاد" على التوالي في حال حدوث الظاهرة نفسها في اليوم التاسع والعشرين أو الثلاثين من الشهر. ومن الظواهر السماوية الأخرى التي كانت تُراقَب بعناية: ظهور الشمس والقمر معاً في السماء ، إذ كان من الممكن أن تحدث هذه الظاهرة في أي يومٍ ما بين اليوم الثاني عشر واليوم العشرين من الشهر، وكانت دلالة النذير تختلف باختلاف اليوم الذي تقع فيه الظاهرة. وفيما يلي بعض النُذُر المستمدة من هذا الحدث:

"إذا شوهدت الشمس والقمر معاً في اليوم الثاني عشر، فإن ذلك ينذر بنهاية السلالة الحاكمة، وهلاك البشر، وقطع الرؤوس على يد اللصوص. وإذا شوهدا معاً في اليوم الثالث عشر، فإن ذلك ينذر بالاضطراب إذ لن تزدهر التجارة في البلاد، وستطأ أقدام الأعداء أرضها، وسيسلبون كل ما فيها. أما إذا شوهدا معاً في اليوم الرابع عشر، فإن ذلك يبشر بالرخاء؛ حيث سيعم السرور أرجاء البلاد، وستنظر الآلهة بعين الرضا إلى "أكاد"، وسيبتهج الناس، وستستريح ماشية "أكاد" في الحقول بسلام".

وتستمر القائمة في سرد النذائر للأيام المتبقية حتى اليوم العشرين.

وكان خسوف القمر حدثاً يحمل نذير شؤم خاصاً، وقد نشأت أسطورة محددة لتفسيره. وهذا هو وصف السيد "جاد (Gadd) "لتلك الأسطورة:

"كان "آدي" قد عيّن كلاً من " شي سين" و"شي شمش" لتسيير شؤون السماوات على النحو الصحيح، غير أن "الملائكة السبعة" انقضّوا على إله القمر وحاصروه بهالاتهم مما أدى إلى وقوع الخسوف وسط ذعر الآلهة. ومن الواضح أن هذه الأسرار يفهمها الايزيديون فقط تُعد جزءاً لا يتجزأ من التعاليم والطقس المصاحب لها، إذ بفضل القوة الكامنة فيها، أُطلق سراح إله القمر المحبوس ووُضع حدٌ لظاهرة الخسوف.

وبطبيعة الحال، لم يكن خسوف القمر مجرد حدثٍ بالغ الأهمية كمصدرٍ للنبوءات الايزيدية والنذُر فحسب، بل كان أيضاً مناسبةً لإقامة طقوسٍ خاصة تهدف إلى درء أي شرورٍ قد تهدد المدينة أو الدولة جراء هذا الخسوف. وفيما يلي بعض المقتطفات من لوحٍ طقسيٍ يتعلق بخسوف القمر:"

"في يوم خسوف القمر، يضع كهنة بيوت آلهة الشمس يُعرف بـ 'غرقو 'عند بوابة بيت آلهتهم. وعندما يخبو الضوء، عليهم أن يصرخوا بصوت عالٍ كي لا تقترب الكوارث، والقتل، والتمرد، والخسوف من مدينة 'أوروك '، والقصر، ومقدس ، تمثّل أحد عناصر طقوس الخسوف في إخراج الآلات الموسيقية المقدسة (الدف والشبّاب) من المعابد:

"كانت الآلة الأخيرة تحظى بقدسية خاصة – بل كان يُنظر إليها كإله – ومن الواضح أنها كانت تُخرج لطمأنة العامة في أوقات الخسوف أو حلول ظلام غير معتاد. وبالعودة إلى الطابع المشؤوم لخسوف القمر، نجد أن النذائر (أو التوقعات المستمدة من العلامات) كانت تختلف باختلاف الشهر ووقت الليل الذي يحدث فيه الخسوف.

"إذا وقع الخسوف في شهر 'نيسان 'خلال النوبة الأولى من الليل، فسيحل الدمار ويقتل الأخُ أخاه. وإذا وقع في شهر 'أيار'، سيموت الملك ولن يخلفه ابنه على العرش. وإذا وقع في شهر 'تموز '، ستزدهر الزراعة وترتفع الأسعار. وإذا وقع في شهر آب ، فسيُرسل الإله 'آدي 'طوفاناً على الأرض،" وهكذا دواليك.تتناول العديد من الرسائل المتبادلة بين الملوك الآشوريين تقاريرَ من المنجمين الملكيين حول الخسوف وجوانب أخرى تتعلق بمظهر القمر، وما ينجم عن ذلك من نذائر وتوقعات. غير أن القمر لم يكن المصدر الوحيد للنذائر؛ فرغم أن الشمس لم تكن تحظى بنفس القدر من الأهمية في هذا الصدد مقارنة بالقمر، إلا أنها كانت تخضع لمراقبة دقيقة؛ كانت حالات كسوفه وخسوفه، ولونه عند الشروق أو الغروب، مدعاةً للتطيّر.

كانت ظاهرة كسوف الشمس تُعتبر بشكل شبه مُجمع عليه نذير شؤم. كما حظيت الكواكب الأخرى بأهمية في مجال التنبؤ بالغيب، ولا سيما كوكب الزهرة الذي كان يُعرف في البابلية باسم "ديل بات"إذ كان يُرصد بدقة وقتُ شروق هذا الكوكب وغروبه (بالتزامن مع ظهور الشمس أو اختفائها)، مما كان يُستنبط منه العديد من النُذُر. ومثال ذلك:

"عندما يختفي كوكب الزهرة في اليوم الثاني عشر من شهر كانون الأول عند شروق الشمس ويظل محتجباً لمدة شهرين وأربعة أيام، ثم يعاود الظهور في اليوم السادس عشر من شهر 'شبات'عند الشروق، فإن ذلك يُعدّ بشارةً بازدهار الزراعة". أما كوكب المشتري أو نبيرو ، كوكب الآلهة فكان يُعدّ مصدراً للنُذُر المحمودة في الغالب، وكذلك الحال بالنسبة لكوكب زحل. كما كانت النجوم الثابتة والمذنبات والشهب مصادرَ أخرى للنُذُر ولدينا نص بابلي متأخر يُسجّل تأثير نجومٍ محددة على شتى المواقف المحتملة في الحياة اليومية.

ومن هنا نشأ اعتقادٌ راسخ لدى عامة الناس بتأثير النجوم والأجرام السماوية على لحظة الميلاد ومستقبل الفرد، وشاعت عادة اللجوء إلى العرّافين لإعداد "الطوالع" (الأبراج)، وهي ممارسة انتشرت في أنحاء الغرب واستمرت حتى يومنا هذا. وأخيراً، نأتي إلى النُذُر المرتبطة بالطقس، والتي كان يُعتقد عموماً أنها خاضعة لسلطة الإله "آدي "فدلالة الرعد كانت تعتمد على الشهر الذي يُسمع فيه وعلى نبرة صوته ، عندما يُسمع صوت آدي في شهر 'نيسان'، يزول حكم العدو وعندما يحدث ذلك في شهر 'تموز'، تزدهر الزراعة؛ وعندما يحدث في شهر آذار ، تتمرد البلاد على الملك وعندما يدوي كالأسد، يسقط ملكٌ عن عرشه"، أما دلالة البرق فكانت تعتمد على الجهة السماوية التي يظهر فيها "عندما يلمع البرق ليلاً في جهة الجنوب، يُحدث خالق الجميع فيضانات وعندما يلمع ليلاً في جهة الشمال، يغمر 'آداي' أرض 'غوتيوم'بالمياه"، وهكذا بالنسبة لكل جهة من جهات البوصلة. كان للمطر أيضاً دلالةٌ تعتمد على اليوم من الشهر الذي يهطل فيه، في حين كانت الزلازل تنذر دائماً بكوارث. أما ظهور قوس قزح فوق المدينة، فكان يُعد فألاً حسناً للمدينة والملك والنبلاء.

يبدو أن معظم ما جمعناه حتى الآن حول ديانة البابليين والآشوريين الشمسانية يشير إلى أنها كانت تتمثل أساساً في الأداء الآلي لنظام طقسي معقد لا يفهمه غير الايزيديون اليوم ، صاغ حياة الفرد ووجّهها من المهد إلى اللحد. ففي الأسرار القديمة، تتصرف الآلهة كما يتصرف البشر والانسان إذ يأكلون ويشربون، ويتشاجرون ويمارسون الخداع، ويشعرون بالغيرة من بعضهم البعض، ومع ذلك، فإن هذا الحكم يتطلب بعض التوضيح والتدقيق؛ ففي مقدمة شريعة حمورابي، يظهر الملك العظيم وهو يقول: "في ذلك الوقت، دعاني أنو وبل أنا حمورابي، الأمير الشمساني الذي يخشى

الآلهة لأجعل العدل يسود في البلاد، ولأقضي على الأشرار وفاعلي السوء، ولأمنع القوي من ظلم الضعيف". وهنا نجد في منتصف القرن الثامن عشر قبل الميلاد تقريباً تصريحاً واضحاً بأن الآلهة العظام تحركهم غاية أخلاقية، وأن المعايير الأخلاقية الواردة في الشريعة تمثل إرادة الآلهة. ويمكن العثور على آثار أقدم لمفهوم أخلاقي لواجبات المُلك في نقوش أور كورجيا ، ملك لجش المصلح، الذي حكم حوالي عام 2600 قبل الميلاد؛ إذ يصور هذا الملك نفسه بوصفه مبعوثاً من إلهه "نينجيرسو" لوضع حد لجشع الكهنة والمسؤولين الذي كان قد استفحل في عهود أسلافه، وإن كانت الأدلة تفتقر لما يثبت مدى شيوع مثل هذا الموقف خلال العصر السومري. وربما يكون من الممكن كما يقترح فون سودن رؤية دافع ديني وراء عزم الملوك الآشوريين على إخضاع العالم المعروف بأسره لإلههم "آدي".

بعد سقوط المملكة البابلية القديمة، يبدو أن هناك أدلة تشير إلى تغير في عقول الكهنة تجاه التصور غير الأخلاقي للآلهة الذي كان سائداً في الأسرار السومرية القديمة. ومن المحتمل أن نجد ما يشبه "التحرير النبوي" (الذي طرأ على التاريخ المبكر للإيزيديين) في عملية إعادة تحرير "ملحمة الخلق"، وفي استبعاد العديد من الأسرار السومرية عن الآلهة التي كانت تزودهم بالطابع الأخلاقي أو التربوي. ويبدو أن تجربة الخضوع الطويل لهيمنة دينية قد أثارت في أذهان البابليين المتأملين تساؤلاً حول سبب سماح آلهتهم بحدوث ذلك لهم . وفي كلتا الحالتين، كانت الإجابة واحدة: وهي أن مثل هذه الكوارث لم تكن سوى عقاب على الخطيئة.

وهنا لا بد لنا من وقفة قصيرة لاستكشاف المفهوم البابلي للخطيئة. ففي مجموعات التعاويذ والرقَى مثل "مقلو" و"شوربو" اللتين سبق ذكرهما نجد اعترافات متكررة بالخطيئة. ورغم أنه من الواضح أن الخطيئة بالنسبة للمواطن البابلي العادي كانت تعني عموماً تقصيراً في أداء الطقوس الدينية أي انتهاكاً لمحرم (تابو) جلب به المرء غضب الآلهة على نفسه دون قصد (كسر جرّة القوانين) ، أو عرّض نفسه لسلطة الارواح الشريرة إلا أن النصوص نفسها تُظهر أيضاً وعيَ الداعي بارتكاب مخالفات أخلاقية، ولا سيما تلك المتعلقة بالروابط والواجبات الأسرية كما يُشار فيها أيضاً إلى الكذب وانعدام الرحمة. وعلاوة على ذلك، ترد في الصلوات والترانيم الموجهة لآلهة شتى عبارات تعبّر بوضوح عن شعور عميق بأن الخطيئة قد تسببت في قطيعة بين الداعي وإلهه. فعلى سبيل المثال، نجد في صلاة موجهة للإلهة "عشتار" ما يلي:

"إليك صليتُ ، اغفر ديني. اغفر خطيئتي وإثمي وأفعالي المخزية وزلّتي. تغاضَ عن أفعالي المشينة ، اقبل صلاتي حُلَّ قيودي ، وحقّق خلاصي."

وعلاوة على ذلك، نجد في صلاةٍ لافتةٍ موجهةٍ إلى جميع الآلهة –سواء كانت معروفةً أو مجهولةً، وتُنسب على الأرجح إلى عهد آشوربانيبال– تعبيراً عن شعورٍ بأن الإنسان عاجزٌ عن معرفة مشيئة الآلهة، وبالتالي لا يمكنه أن يدرك ما إذا كان يرتكب خطيئةً أم لا ، وقد اتُخِذَ هذا الأمرُ أساساً لالتماس الرحمة. وإليك مقتطفاً منها:

"الإنسان أبكم لا يعلم شيئاً ، فالبشر كل من وُجد منهم ماذا يعلمون؟ إنهم لا يدركون حتى ما إذا كانوا يرتكبون خطيئةً أو يصنعون خيراً. يا سيدي، لا تطرح عبدك أرضاً فهو غارقٌ في مياه المستنقع؛ خذ بيده. حوّل الخطيئة التي اقترفتُها إلى خير واجعل الريح تحمل بعيداً التعدي الذي ارتكبتُه وانزع عني مساوئي الكثيرة كما يُنزع الرداء أزِلْ تعدياتي وسأشدو بتسبيحك. فليهدأ قلبك نحوي كقلب أمٍ حقيقية وليهدأ نحوي كأمٍ حقيقية وأبٍ حقيقي."

ومع ذلك، تجدر الإشارة أيضاً إلى أن الداعي يذكر للإله في الصلاة ذاتها أنه تناول طعاماً محرماً دون علمٍ منه، ووطئ أرضاً محرمةً عن غير قصد. ومن ثم، يبدو أنه لم يكن ثمة تمييزٌ حادٌ في ذهن البابلي في القرن الثامن قبل الميلاد بين هذين النوعين من الخطيئة وأنه كان يُنظر إلى كلا النوعين باعتبارهما سبباً –لا للمرض والكوارث فحسب، بل أيضاً لقطيعةٍ بين الإنسان وإلهه. من الضروري أيضاً الإشارة هنا إلى أن التصور البابلي للجزاء الإلهي عقاباً على الخطيئة ومكافأةً على الصلاح كان مقتصراً تماماً على هذه الحياة الدنيا، تماماً كما نجد في التصورات الايزيدية المبكرة للثواب والعقاب. أما التصور المصري للحياة الآخرة فقد تضمن الإيمان بوجود حساب بعد الموت، وبخلودٍ مفعمٍ بالنعيم لأولئك الذين يجتازون المحنة بنجاح. وقد طوّر الفكر الايزيدي اللاحق نظرةً مماثلة، وإن كانت ذات طابعٍ أكثر روحانية غير أن الأدلة المتاحة تشير إلى أن التصور البابلي للحياة الآخرة ظل حتى النهاية تصوراً كئيباً وموحشاً. ويبدو أن الوصف الذي قدمه "إنكيدو" لصديقه "جلجامش" حين سُمح له بالعودة إلى عالم الأحياء عن حال الموتى في العالم السفلي، قد ظل ثابتاً دون تغيير، وربما كان مصدراً للأفكار المبكرة حول الحياة الآخرة إذ يخبر "إنكيدو" صديقه "جلجامش" بأن الجسد الذي عرفه وأحبه قد أكلته الهوام وامتلأ بالتراب. كذلك، وفي مرحلة سابقة من الملحمة، يرى "إنكيدو" في المنام حال الموتى، ويقص رؤياه على "جلجامش":

لقد حوّلني (أي إله العالم السفلي) فصارت ذراعيّ كجناحي طائر ، وهو يقودني ناظراً إليّ نحو "بيت الظلام"، مسكن "إيركالا"، إلى ذلك البيت الذي لا يغادره من دخله، وعبر الطريق الذي لا رجعة منه إلى البيت الذي يُحرم قاطنوه من الضوء، حيث الغبارُ زادُهم والطينُ طعامُهم .إنهم يرتدون ما يشبه ريش الطيور، متخذين من الأجنحة لباساً، ولا يبصرون نوراً، بل يقيمون في الظلام.

تكشف الأسرار المبكرة مدى انشغال السومريين والبابليين بمسألة: لماذا سمحت الآلهة للموت والمرض بدخول العالم؟

ويبدو أن الإجابة السائدة كانت أن الآلهة كانت تغار من البشر، فاستأثرت بالخلود لنفسها، وتركت الموت ليكون نصيب الإنسان ، بعد أن اكتسب مفهوم الآلهة صبغة أخلاقية، سادت نظرة مفادها أن الآلهة تحكم العالم من خلال مكافأة الفضيلة ومعاقبة الخطيئة إذ تكون المكافآت والعقوبات مادية، تتراوح بين الرخاء وطول العمر من جهة، والكوارث والموت من جهة أخرى. وكما نعلم، كانت هذه هي النظرة السائدة أيضاً لدى الايزيديين ، وهو ما يتجلى بوضوح في أحاديث وصحب وأقوال الأعياد الدينية . غير أن الشكوك حول صحة هذا الافتراض يبدو أنها ظهرت لدى البابليين الشمسانيين في وقت أبكر بكثير مما حدث لدى الايزيديين ففي أواخر الألفية الثانية قبل الميلاد، كُتبت ترنيمة للإله "آدي" تُعرف بكلماتها الاستهلالية أي "سأسبّح رب الحكمة". وفي هذا العمل الأدبي البابلي الفريد الذي يُطلق عليه أحياناً اسم "أيوب البابلي" تُطرح إشكالية الحكم الأخلاقي للعالم إذ يصف المؤلف الذي يقدّم نفسه بصفته مسؤولاً رفيع المستوى كيف لاحقته المصائب وابتُلي بالمرض، رغم كل ما كان يتحلى به من تقوى وحرص شديد على أداء واجباته الدينية. وبينما يتأمل حاله المأساوي، يجد نفسه مضطراً للصرخة قائلاً: "ما يراه المرء خيراً، قد يكون شراً في نظر الإله؛ وما يراه المرء شراً في عقله، قد يكون خيراً لإلهه. من ذا الذي يدرك مشورة الآلهة في أعالي السماء؟ إن خطة الإله كالمياه العميقة، فمن يستطيع سبر أغوارها؟". وتتفاقم حالته سوءاً؛ فلا عراف ولا طارد للأرواح الشريرة يستطيع مساعدته، ولا إله يهب لنجدته، ولا إلهة تمتد إليه بيد الرحمة حتى يصل إلى نهر العالم السفلي، وحينها يتدخل "مردوخ" فجأة، فينتشله من "هوبور" (نهر العالم السفلي) ويعيد إليه صحته ورخاءه، مما يجعل كل من يرى ذلك يتعجب ويسبّح بحمد "مردوخ".

نجد هنا أيضاً إجابة مزدوجة. ففي ختام الجزء الشعري من عمله، يترك الشاعر البابلي أيوب وهو يرزح تحت وطأة شعور ساحق بضآلة شأنه وعجزه عن فهم أدنى جانب من طرق (آدي) إذ يختتم النص باعتراف أيوب بعدم استحقاقه الأخلاقي، دون أن يجد حلاً لمعضلته الفكرية. ومع ذلك، إذا اعتبرنا الفصل الختامي جزءاً من القصد الأصلي للشاعر، فإننا نجد أنه يقدم للقراء النهاية السعيدة التقليدية؛ حيث يُشفى أيوب وتُرد إليه ثروته مضاعفة، ويظهر وهو يقدم القرابين لـ (لسلطان آدي وجبروته). وبالمثل، يصور الشاعر البابلي صاحب المعاناة وهو يخلص إلى أن طرق الآلهة عصية على الإدراك، لكنه يُظهر "مردوخ" وهو يهب لنجدته في النهاية ويعيد إليه صحته ورخاءه، دون تقديم أي تفسير للسبب الذي سُمح بسببه لتلك المعاناة أن تقع.

وهناك نص ثانٍ، يعود لفترة لاحقة نوعاً ما، يأتي على هيئة حوار بين سيد وعبده، ويذهب بعيداً جداً في نزعته التشكيكية المدمرة وإنكاره لكل القيم الأخلاقية إذ يطرح هذا النص أوجه تشابه لافتة مع نصوص الخلق الايزيدية . ونظراً لأن نهاية النص مفقودة، فلا يمكننا معرفة ما إذا كان سينتهي بالنبرة ذاتها من التشاؤم المطلق.

لم تستطع هذه النزعة التشكيكية في الفكر الديني الايزيدي أن تخنق التيار الأعمق للتجربة الروحية التي غذّاها العرافون والكواجك بل تجلت تلك التجربة في مفاهيم مثل "العبد المتألم" في اسفار رسائل بابل السرية ، واستمرت في التدفق حتى بلغت ذروة اكتمالها في الشمسانية. في المقابل، لا نجد نظيراً لذلك في مسار تطور الديانة البابلية إذ ظل التناقض الجوهري قائماً دون حل بين مفهوم الآلهة التي تمتلك إرادة أخلاقية، وبين النظام المعقد للممارسات الطقسية التي تهدف إلى حث الآلهة على أداء واجبها الأخلاقي (إن جاز التعبير). وفي نهاية المطاف، طُمست الديانة البابلية تحت وطأة تراكم هائل من التقاليد غير المفهومة بين علم باطن وآخر ظاهر .

آدي الذي لا نظير لغضبه ، الملك الرحيم، سيد الأقاليم ، الذي هو رب الآلهة العظام ، الذي تُسقِط نظرتُه الجبابرة ، سيد الملوك ، نور الانسان ونور البشر، ومُحدِّد الأقدار . بابلُ مَقعدُك ، وبورسيبا تاجُك ، السماواتُ الفسيحةُ تُشكِّلُ أحشاءك ، بعينيك تُبصرُ الكون ، وبوحيِك تُديرُ النبوءات ، وبنظرتِك تَسنُّ القوانين ، وبذراعيك تسحقُ الجبابرة ، وبقية بيتك تمسكُ بيدِك ، وحين تراهم، تشفقُ عليهم وتُريهم النورَ ، فيُعلنون بأسَك ، سيد الأقاليم ، ونور "الإيجيجي"، وواهبُ البركات ، مَن ذا الذي لا يذكرُك؟ ومَن لا يُعلنُ بأسَك ؟ مَن لا يروي مجدَك ؟ ومَن لا يُثني على مُلكِك؟ سيد الأقاليم، الساكنُ في "إي-أود-أول" ، الساكن في عين سفني ، الساكن في أودي ، الساكن في الأوول ، الآخذُ بيدِ مَن سقط ، ارحم مدينتَك، بابل! ووجِّه وجهَك شطرَ معبدِك، "إيساجيلا!"وثبِّت حريَّةَ أبناءِ بابل،المشمولين بحمايتِك!

في اليوم الرابع من شهر "نيسان"، وقبل انقضاء الليل بثلاث ساعات وثلث الساعة، ينهض "الأور كالو" (كبير القوالون الكهنة) ويغتسل بماء النهر، ويرتدي ثوباً من الكتان ثم يقف أمام "بيت آدي" ليتلو هذه التعويذة وهذا الدعاء للإله (آدي) ..

أيها السيد القدير لآلهة "الإيجيجي"، وأسمى الآلهة العظام، وسيد الأقاليم، وملك الآلهة، يا "سلطان الخلق" مُحدِّد الأقدار ، أيها الأمير المجيد، السامي، والعليّ ، يا من تحمل المُلك وتملك السيادة ، يا نوراً متألقاً، يا "سلطان آدي الساكن في معبد "إي-أود-أول" ، يا من تغمر أرض الأعداء بالطوفان. فجوة في النص بمقدار أربعة أسطر يا من تجتاز السماوات وتُعلي الأرض ، يا من تكيل مياه البحر وتجعل الحقول تُفلح ، يا "سلطان الأرواح النقية" السامي الساكن في "إي-أود-أول" ، يا مُحدِّد أقدار الآلهة جميعاً ، يا من تمنح الصولجان المقدس للملك الذي يخشاك.

أنا "أور كالو" معبد "ايزيدا" الذي يباركك ، كن رحيماً بمدينتك "بابل" ، وارحم معبدك "إيساجيلا!" بكلمتك السامية، يا سيد الآلهة العظام ،ليُشرق النور على أبناء "بابل!" ثم يخرج من أمام "سلطانك" ليتلو هذا الدعاء للإلهة

"أم العذراوات" إنها قديرة، وإلهية ، وسامية بين الإلهات ، أسطع النجوم، الساكنة في "إي-أود-أول" ، يا سيدة الإلهات، المكتسية بالنور ، يا سيدة البيت الآداني ، يا من تجتازين السماوات وتُعلين الأرض ، يا ايتها الأم ذات المسكن السامي ، يا "نجمتي" المتألقة، السامية والعليّة ، لا مثيل لكِ بين الإلهات ، إنتِ من تشفعين لأبناء وبنات الشمس .. ليكن مجدكِ عالياً الى الأبد ! إمنحي الحياة لأهل بابل ، رعاياكِ المخلصين ، إشفعي لهم أمام ملك الآلهة سلطان الوجود ، إجعليهم يرون أمجادُكِ ، ويعّلون شأن مملكتكِ ، إجعلي مسيرتي عامرة بالفرح والسرور ، ليُذع إسمكِ ومآثركِ بين شعوب العالم أجمع ، ليكن مجدكِ عالياً في السماء !

بعد تلاوة هذه الصلاة يفتح الأبواب فيدخل جميع المؤمنون ويؤدون طقوسهم المعتادة ، وكذلك يفعل القوالون كهنة "الكَلو" والمُنشدون . وبعد ساعتين من شروق الشمس، وحين تكون مائدة "آدي" و"ايزيد" قد أُعِدَّت ورُتِّبت، يستدعي كبير الكهنة أو كبير القوالين كاهن "مشمشّو" (المختص بطرد الأرواح الشريرة) ليقوم بتطهير المعبد. ثم يرش المعبد بمياه من خزان نهر دجلة ومن خزان نهر الفرات، ويقرع الدف البرونزي -وهو الدف المقدس في وسط المعبد ، ويُدخل المِبخرة والمشعل إلى وسط المعبد. يبقى كاهن طرد الأرواح في وسط الفناء، ولا يدخل إلى مقصورة "آدي" و"بايزيد". وعند اكتمال تطهير معبد "آدي"، يدخل إلى "إيزيدا" مقصورة خادم الإله "نبو" فيقوم بتطهير معبد ومقصورة "نبو" مستخدماً المِبخرة والمشعل وإناء الماء، ويرش المكان بمياه من خزان دجلة والفرات. ويمسح جميع أبواب المقصورة بزيت الأرز. وفي وسط فناء المقصورة، يضع مِبخرة فضية يخلط فيها البخور وخشب السرو. ثم يستدعي جزاراً ليقطع رأس خروف ، فيمسح كاهن طرد الأرواح المعبد بجسد الخروف المذبوح، ويتلو تعاويذ لتطهير المعبد وطرد الأرواح منه. ويُطهِّر المقصورة بأكملها، ثم يرفع المِبخرة. يأخذ كاهن طرد الأرواح جسد الخروف، ويذهب إلى النهر، حيث يقف ووجهه نحو الغرب ويلقي بجسد الخروف في النهر، ثم يخرج إلى خارج المدينة. ويقوم الجزار بالأمر نفسه مع رأس الخروف ، فيخرج كل من الجزار وكاهن طرد الأرواح إلى خارج المدينة. وطالما بقي خادم الإله "نبو" في بابل، فلا يجوز لهما دخول بابل. عليهم البقاء في البلاد من اليوم الخامس وحتى اليوم الثاني عشر.

بعد تطهير المعبد، وحين تمضي ثلاث ساعات وثلث الساعة على شروق الشمس، يخرج كبير القوالين (كبير الكهنة) معبد "إيزيد" من المقصورة ويستدعي جميع الحرفيين. سيُخرجون "السماء الذهبية" من خزانة المعبد ثم يغطون "إيزيدا" محراب الإله "نبو" من السقف (؟) وحتى الأساسات ويتجهون جميعاً نحو قبلتهم الشمالية في الحرم المقدم في لالش. وسيتلو كبير الكهنة في معبد ايزيد والحرفيون هذه التعويذة:

سيطهرون معبد سلطان آدي ، الساكن في (إي . أودي . أوول) الساكن في عين سفني (الأزل) يرشون الماء الطاهر ، قبلتهم الى المركَة في الشمال حيث الحرم المقدّس هناك ، سيخرج جميع الحرفيين من البوابة. وفي... من اليوم، سيدخل كبير الكهنة أور كالو أمام "آدي" ويُرتّب مائدة ذهبية للقرابين ويضع عليها لحوماً مشوية ويضع عليها اثني عشر (رغيفاً) من القرابين المعتادة ويملأ وعاءً ذهبياً... بالملح ويضعه على المائدة ثم يملأ (إناءً) ذهبياً بالعسل ويضعه على المائدة ويضع أربع جرار ذهبية على المائدة؛ ويضع مبخرة ذهبية أمام المائدة؛ (ويضع) البخور والسرو عليها، ويسكب النبيذ ..

ولو انتقلنا للنصوص الاشورية نجد ان تشابه الطقوس يؤكد وحدة الطقوس الشمسانية التي تمتد من سومر عبر بابل الى اشور وحول نفس الموضوع وجدت الالواح تشرح نفس الطقوس في نينوى ..

آشور هو الحارس المُعيَّن عليه إنه يراقب أمام الحصن ذلك الشيء المربوط على مظلة "آدي" وهو رأس المُتجاوز الذي كان معه ، لقد كرموه ، ورأسه على مظلة "عشتار" الذي ذهب وعاد إلى "بورسيبا"، والمظلة التي يوجد فيها... (بعد) أن دخل "الحارس" إلى الجبل، سادت الفوضى في المدينة بسببه ودارت معركة داخلها وهناك في طريق "نيبو" حين يأتي من "بورسيبا" لأداء مراسم التبجيل، فيقف "نيبو" أمامها وينظر إليها وذلك المُتجاوز الذي كان مع "آدي" هو المقصود حين ينظر الإله من الأعالي من مسكنة في أي وأودي وأوول . ويجب على طاردي الأرواح الشريرة الذين يسيرون أمامه أن يرددوا التعويذة فهم قومه الذين ينوحون عليه. أما كاهن "الماهو" الذي يسير أمام "سيدة بابل"، فهو الرسول الذي يبكي أمامها قائلاً: "لقد أدخلوه إلى الجبل". فتصرخ هي قائلة: "أخي، أخي!". وتُحمل ملابسه إلى "سيدة أوروك"، وكذلك حُليه (؟) سواء كانت من الفضة أو الذهب أو الأحجار الكريمة التي تُنقل من معبد "إيساجيلا" إلى المعابد الأخرى، فتلك هي بيته. و... التي يُكسى بها في... والحليب الذي يقدمونه... أمام "عشتار نينوى" ولأنها هي التي أرضعته، فإنهم يُظهرون لها التبجيل .

وفي ملحمة "إينوما إيليش" (ملحمة الخلق) التي يتلونها أمام الإله في شهر نيسان إنهم ينشدونها لأنه أسير. يؤدون صلواتهم ويرفعون ابتهالاتهم... إذ يقول المصلي: "لقد فعلتُ أعمال آشور الصالحة"، و"ما هو ذنبي؟". وهو (أي من يتطلع إلى السماء، إلى الإله "سين" و الإله "شمش" يصلي قائلاً: "امنحني الحياة"؛ أما من ينظر إلى الأرض... فيرجو أن يخرج من الجبل. (ومن يكون مع) الإله "آدي" لا يذهب إلى معبد "أكيتو"... بل يتحمل وضع السجين فيجلس معه. وهناك "سيدة بابل" التي (تحمل) صوفاً أسود خلفها وصوفاً مرقطاً أمامها... وتحمل بيديها دماً مسفوكاً من القلب. وفي اليوم الثامن من نيسان، وقبل ذبح الخنزير، تسأل سيدة البيت: "من هو المذنب؟"... فيُؤتى به

ويُذبح... وفي شهر نيسان يُعدّون الكثير من الطعام لأنه أسير. وماء غسل اليدين الذي يقدمونه (والذي يقولون إنه) يزيل الوباء وثوب "شيرتو" الذي يرتديه، (والذي) يقولون عنه: "ذلك الماء هو المرض". وفي الداخل، يتلو ذلك الشخص ملحمة "إينوما إيليش" ..

لقد طرح الفلاسفة اليونانيون والرومانيون العديد من الأسئلة حول طبيعة القدر وعلاقته بالتنجيم، وتوجد مصادر مسمارية مماثلة لمعنى المصطلح الأكادي (شمو) الذي يُترجم عمومًا الى كلمة الأقدار وتأكدوا من أن لها علاقة مباشرة بالتنجيم في الخطاب اليوناني الروماني (صمو) ، غالبًا ما كان يُربط بينهما لأنه كان من المفاهيم الهلنستية الشائعة أن التنبؤ بالمستقبل أصبح ممكنًا بفضل مبدأ يُسمى القدر ، ويبدو أن مثل هذا المبدأ كان موجودًا على هذا النحو في بلاد ما بين النهرين ، وانه يشكل مصدراً لتعاليمهم ، أننا نمتلك كمية هائلة من النصوص المتعلقة بالتنجيم في بلاد ما بين النهرين النذر بجميع أنواعها، والتنبؤ بالغيب، والتقارير "الفلكية" والتعليقات والرسائل من الكُتّاب المنجمين ..

Sources

Les Religions de Babylonie et d'Assyrie. By E. Dhorme. Paris, 1945.

BabylonienundAssyrien. Vol. II. By B. Meissner. Heidelberg, 1925.

Babylonian Magic and Sorcery. By L. W. King. Luzac, 1896.

Semitic Magic. By R. Campbell Thompson. Luzac, 1908.

The Babylonian Akitu Festival. By S. A. Pallis. Copenhagen, 1926.

The Code of Hammurabi. By R. F. Harper. Chicago, 1904.

The Assyrian Laws. By G. R. Driver and Sir J. C. Miles. Oxford, 1935.

Das weltliche Recht im Alten Testament. A. Jirku. Gutersloh, 1927.

Rituels Accadiens. By F. Thureau–Dangin. Paris, 1921.

Legends of Babylon and Egypt. By L. W. King. Schweich Lectures, 1916.

Ideas of Divine Rule in the Ancient East. By C. J. Gadd. Schweich Lectures, 1945.

Babylonian Menologies and the Semitic Calendars. By S. Langdon. Schweich Lectures, 1933.

The Origins of Early Semitic Ritual. By S. H. Hooke. Schweich Lectures, 1935.

Myth and Ritual. Ed. S. H. Hooke. Oxford, 1933.

Sumerian Mythology. By S. N. Kramer. Philadelphia, 1944.

State Letters of Assyria. By R. H. Pfeiffer. New Haven, 1935.

Die assyrische,," .," Maqlu. By G. Meier. Berlin, 1937.

Cylinder Seals. By H. Frankfort. Macmillan, 1939.

The Intellectual Adventure of Ancient Man. Ed. H. Frankfort. Chicago, 1946.

Kingship and the Gods. By H. Frankfort. Chicago, 1948.

Akkadische Götterepitheta. By K. Tallqvist. Leipzig, 1938.

Die physiognomischen Omina der Babylonier. By F. R. Kraus. Leipzig, 1935.

La Magie Assyrienne. By C. Fossey. Paris, 1902.

Aus dem Tagewerk eines assyrischen Zauberpriesters. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

Das assyrische Ritual By K. F. Miiller. Leipzig, 1937.

Assyrische–Bdbylonische Briefe kultischen Inhalts. By E. Behrens. Leipzig, 1906.

The Legend of Etana and the Eagle. By S. Langdon. Paris, 1932.

Chronicles concerning Early Babylonian Kings. By L. W. King. Luzac, 1907.

Ancient Near Eastern Texts relating to the Old Testament. Ed. J. B. Pritchard. Princeton, 1950.

The Devils and Evil Spirits of Babylonia. By R. Campbell Thompson. Luzac.

Tod und Leben nach den Vorstellungen der Babylonier. By E. Ebeling. Leipzig, 1931.

Studies in Divine Kingship in the Ancient Near East. By Ivan Engnell. Uppsala, 1945.

The Early History of Assyria. By Sidney Smith. Chatto and Windus, 1928.

A History of Sumer and Akkad. By L. W. King. Chatto and Windus, 1923.

A History of Babylon. By L. W. King. Chatto and Windus, 1915.

Die Religion Babyloniens und Assyriens. By M. Jastrow. Giessen, 1912.

Babylonian–Assyrian Birth–Omens. By M. Jastrow. Giessen, 1914.

كان يُطلق على المعبد الرئيسي في بابل اسم إيزيدا ، أي "معبد رفع الرأس". يُكتب الاسم عادةً بشكل تصويري: إساج-إيل، ولكن يُكتب أيضًا إساج-جيل) بيزولد، كتالوج DT 1559] رقم 197 .([وفي نص متأخر جدًا، يظهر التهجئة إساج-كي-لا أيضًاZA III) ، ص 146، رقم 7، بتاريخ 20 يونيو 219، العصر السلوقي .(يُعد هذا المعبد بطبيعة الحال من بين أكثر معابد بابل ذكرًا. لذلك، سأكتفي بذكر بعض النصوص المهمة. ب. طقوس احتفال رأس السنة (ثورو

دانجين، الطقوس الأكادية)، والتقويم الشهري للأعياد في بابلVAT 13)

662، رايزنرSBH ، ص 145 وما بعدها)، ولكن قبل كل شيء الوصف التفصيلي

للمعبد وملحقاته في اللوح المسماري من عام

229 قبل الميلاد (السنة 83 من العصر السلوقي)، والذي يُطلق عليه عادةً اسم "لوح سميث" أو "لوح إساجيلا"، وينتمي إلى وصف المدينة 1

(القسم ك).1) وهو اللوح السادس من وصف المدينة،

ويبدأ بالكلمة المفتاحية "إساجيلا"، التي يختتم بها اللوح الخامس

(القسم 1، السطر 11). يصف اللوح مختلف أحياء المعبد بدقة، وغالبًا ما يتضمن قياسات تفصيلية للمساحة، وحتى قياسات الحجم، والتي كانت تُستخدم في بابل لحساب مساحة منطقة ما وفقًا لمحصول الحقل، كما هو الحال لدينا حتى الآن (البوشل). تبرز ستة أحياء بوضوح، والتي يتكون منها حرم المعبد:

انظر، للحصول على ملخص، أحدث ما ورد في ;171–162 ,E. Unger in ZATW 1927, 8 بالإضافة إلى:

في. شيل في(1913) Mimoires del'Acadimie de France 39 ، ص 293 وما بعدها. فايسباخ في,OLZ 1914

ص. 166؛ مايسنر وشفينزنر فيOLZ 1920 ، الصفحات من 112 إلى 114؛ ثورو-دانجين، تابليت

لوحات أوروك60-59 (TC VI) ؛ Thureau-Dangin في .Revue d'Assyr السادس عشر، ص 59-60؛ إس لانغدون

في مجلة آسير. الخامس عشر، ص. رقم. ر. كولديوي في ;(1918) MDOG 59 تي دومبارت، دير ساكرال

تورم الأول، زيكورات، ميونيخ 1920؛ دومبارت في(1924) JSOR VIII ، الصفحات من 103 إلى 122؛ دومبارت في Klio XXI (1927)، الصفحات من 135 إلى 174؛ دومبارت في(1927) OLZ 30 ، الصفحات من 425 إلى 426؛ إ. أنغر في (1926) II "Forschungen und Fortschritte"، العدد 21؛ أنغر في "Hirts Literaturbericht" رقم 37 (1927)، الصفحات من 541 إلى 542؛

أنغر، الفن الآشوري والبابلي ("مكتبة جيدرمان") 1927، 8، 61، الشكل 104، ص. 92.

THE CIVILIZATION OF BABYLONIA AND ASSYRIA MORRIS JASTROW, JR. LECTURES DELIVERED CHDEBTHC BICHARD B. WESTBROOK LECTURESHIP FOUNDATION ASSYRIA ITS PRINCES, PRIESTS, AND PEOPLEA. H. SAYCE, M.A. DEPUTY PROFESSOR OF COMPARATIVE PHILOLOGY, OXFORD, HON. LL.D. DUBLIN, ETC. AI–THOR OF FRESH LIGHT FROM THE ANCIENT MONUMENTS, AN INTRODUCTION TO EZRA, NEHEMIAH, AND ESTHER, LONDON: THE RELIGIOUS TRACT SOCIETY, 56, PATERNOSTER Row, 65, ST. PAUL S CHURCHYARD, AND 164, PICCADILLY. .1885

.Studies in Divine Kingship in the Ancient Near East. By Ivan Engnell. Uppsala, 1945

The Early History of Assyria. By Sidney Smith. Chatto and Windus, 1928. A History .of Sumer and Akkad. By L. W. King. Chatto and Windus, 1923

.A History of Babylon. By L. W. King. Chatto and Windus, 1915

.Die Religion Babyloniens und Assyriens. By M. Jastrow. Giessen, 1912

.Babylonian–Assyrian Birth–Omens. By M. Jastrow. Giessen, 1914

A HISTORY OF ART CHALDy^A AND ASSYRIA. Xonbon: chapman and hall, Limited. ftfe yorh : A. C. ARMSTRONG AND SON. 18S4. THE RELIGION OF BABYLONIA AND ASSYRIAMORRIS JASTROW, JR., PH.D. (LEIPZIG) PROFESSOR OF SEMITIC LANGUAGES IN THE UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA, BOSTON, U.S.A. GINN & COMPANY, PUBLISHERS 1898 MYTHS &? LEGENDS OF BABYLONIA &f ASSYRIA , LEWIS SPENCE F.R.A.I. AUTHOR OF " THE MYTHS OF MEXICO AND PERU LIZATION OF ANCIENT MEXICO " " THE POPOL VUH "the myths OF THE NORTH AMERICAN INDIANS" " MYTHS AND LEGENDS OF ANCIENT EGYPT " ETC. WITH EIGHT PLATES IN COLOUR BY EVELYN PAUL AND THIRTY–TWO OTHER ILLUSTRATIONS THE SEVEN GREAT MONARCHIES OF THE ANCIENT EASTERN WORLD; OR, THE HISTORY, GEOGRAPHY, AND ANTIQUITIES OF CHALDAEA, ASSYRIA 329 BABYLON, MEDIA, PERSIA, PARTHIA, AND SASSANIAN, OR NEW PERSIAN EMPIRE. A HISTORY OF SCIENCE,HENRY

SMITH WELLIAMS; EDWARD WELLIAMS A History of Babylonia and Assyria .Volume I Robert William Rogers Published 1900 A.D

A History of Babylonia and Assyria Volume II Robert William Rogers Published 1900 A.D. EVERYDAY LIFE IN BABYLONIA AND ASSYRIA H. W. F. SAGGS Drawings by Helen Nixon Fairfield Published 1965 A.D. Assyrian International News Agency People Of Ancient Assyria Jorgen Laessoe Translated from the Danish by F. S. Leigh–Browne Published 1963 A.D. Assyrian International News Agency Assyrische Historiographie –Eine Quellenstudie Studien an der Universität von Missouri Reihe Sozialwissenschaften, Band III, Nummer 1.1916 Assyrische Historiographie THE EPIC OF GILGAMESH, N. K. Sanders Assyrian International News Agency Books Online www.aina.org Spelling and error correction by John Paulose THE STOBY OF AHIKAEFROM THE SYEIAC, AEABIC, AEMENIAN, ETHIOPIC, GEEEK AND SLAVONICYEESIONS BY F. C. CONYBEARE, J. RENDEL HARRIS, AND AGNES SMITH LEWIS. LONDON: C. J. CLAY AND SONS, CAMBRIDGE UNIVERSITY PRESS WAREHOUSE, AVE MARIA LANE. GLASGOW: 263, ARGYLB STKBET. 1898